متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام

نظريّة في فلسفة الاتصال في عالم متغير

الدكتورة مي العبدالله



متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام

نظريّة في فلسفة الاتّصال في عالم متغيّر

الدكتورة مي العبدالله



متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام

نظريّة في فلسفة الاتّصال في عالم متغيّر



بيروت – شارع الجامعة العربية – مقابل كلية طب الأسنان

بناية اسكندراني رقم 3 – الطابق الأرضي والأول

منشورات: دار النهضة العربية

ISBN 978-614-442-895-5

رقم الكتاب: 4540

اسم الكتاب: متاهة التواصل الاجتماعي

المؤلف : د. مي العبد الله

الموضوع : إعلام

سنة الطبع : 2020م

القياس : 17 × 24

عدد الصفحات: 223

تلفون : 854161 – 1 – 961+ / 833270 – 1 – 961+

darnahda@gmail.com

إهداء

إلى كلِّ مؤمن بالمحبّةِ والسلامِ، إلى كلِّ مناضلٍ في سبيل بناءِ الأوطانِ على أسسِ العدلِ والمشاركةِ والتفاهمِ بين الناسِ، إلى كلِّ صاحبِ ضميرٍ حيٍّ وأخلاقٍ تسمو فوق المصالحِ الماديةِ، إلى كلِّ رافضٍ للظلمِ والحقدِ والعنفِ وكلِّ أشكالِ التمييزِ بين البشر، إلى العالِمِ الباحثِ الذي يجتهدُ لتغليبِ منطقِ الحكمةِ والعقلِ على غرائزِ الطمعِ والاستبدادِ..

إلى الثوّارِ الوطنيينَ المستقلّينَ الأحرارِ أهدي هذا العملَ.

مي العبدالله
بيروت في 21/6/2020

قائمة المحتويات

مقدمة عامة

مع تطور المشهد الإعلامي الاتصالي، في الثمانينات من القرن العشرين، ظهرت علوم الإعلام والاتصال التي اختصّت في تفسير الظواهر المرتبطة بالاتصال الإنساني، بصورة مختلفة، وفق منطلقاتها الفكرية والمنهجية، فطوّرت نظريّاتها ودراساتها بناء على مناهجها الخاصة، وبناء على وجهات نظر مختلفة حول قضايا الاتصال وأبعادها. منذ نشأته، إرتكز هذا المجال العلمي الحديث على الفلسفة والعلوم الاجتماعية لتفسير ظواهره وتكوين إتجاهاته البحثية، لكون النظريات الفلسفية والاجتماعيّة تحاول دائما كشف المبادئ العامة للاتصال والتواصل بين الأفراد والجماعات، التي تمكِّن الباحثين من فهم الواقع الاجتماعي فهمًا عميقا ومتناميًا. ومع الثورة المعلوماتيّة، طرحت الاتجاهات النقدية الحديثة رؤى أخرى مغايرة لما قدّمته الاتجاهات الكلاسيكيّة المبكرة.

أولى العديد من المفكرين إهتمامًا كبيرًا بميدان الاتصال الانساني، كالفلاسفة من أرسطو Aristotle إلى ليبنيز Leibnitz وديوي Diwi، وعلماء الاجتماع كهوسرل Husserlوميرلو بونتي Merleau Ponty وهابرماس Habermas. ولكن النقاش المنهجي للفكر الاتصالي كان مفتقدًا حتى في أوروبا، وكذلك النقاش المنهجي لفلسفة الاتصال نفسها، حتى ولو أتيحت للمفكرين الفرصة للإشارة إلى التواصل في اجتهاداتهم النظرية، لكنهم فعلوا ذلك في كثير من الأحيان من زاوية اختصاصهم، حيث سلّطوا الضوء على جوانب محددة من التواصل وأهملوا الجوانب الأخرى، واستمروا في كثير من الأحيان في إنتاج أبحاثهم في عزلة نسبية. أمّا الطروحات المتعارضة لهابرماس وغيره، عن الطبيعة والدور الاجتماعي للتواصل مثلا، فنادرا ما تم مقاربتها من وجهة نظر مزاياها النسبية لفهم فلسفي عام للتواصل، أو فهم تواصلي للفلسفة.

من هنا نعتقد أن التفكير الفلسفي في التواصل قد يخلص إلى نتائج تساعد في التخفيف من القلق من مخاطر الاتصال على الانسان والثقافة والمجتمع، وتساهم في التوصل إلى نقاش مفتوح وناقد. ونرى أن «فلسفة الاتصال» ترتبط بمجموعة متنوعة من المجالات النظرية والتحليلية والمعيارية والتاريخية المتعلقة بالاتصال كظاهرة، أو عملية جدلية، أو واقع اجتماعي، أو شكل من أشكال التعبير، أو كبنية نظرية.

ولكن، ما يميّز فلسفة الاتصال عن المجالات الأخرى هو البعد التأسيسي، إذ تهتم فلسفة الاتصال بالأسئلة المتعلقة بتكوين النظريات الاتصالية، وبالأسئلة الأساسية المتعلقة بأهميّة ودور الاتصال في الوجود الإنساني. من هنا، ليست

هناك حاجة فقط للتفكير الفلسفي في التواصل من منظور علوم الاتصال، أو منظور أكاديمي، ولكن أيضا من منظور الفلسفة نفسها في الاتصال، وهي سوف تستفيد من الإدراك الهيكلي والصريح للرؤى المتعلقة بـالإنسان الاتصالي.

ويمثّل التواصل تحديًا في أدائه واستكشافه ووصفه وتفسيره، وهذا التحدي هو الذي يشجّع المتخصصين والباحثين من عدة تخصصات على تجاوز حدود تخصصاتهم الأكاديمية، على أمل أن تكون تجربة الخطاب المفتوح منبثقة من اهتمامات متباينة: مثل علاقة الذات والمجتمع، والتفاعل بين التواصل والثقافة، والعلاقة بين السياسة والاقتصاد، وعلم الدلالات وعلم الأحياء العصبي، وظواهر التفاعل الإنساني ومعرفة العلوم، ونظرية المعرفة وعلم المعلومات، والحوار وعدم اليقين، ومعايير تواصلية العمل والطبيعة العقلانية، وخطابة الفلسفة وفلسفة الخطابة.

من هنا، يدعو هذا الكتاب إلى إعادة اكتشاف وتعزيز التفكير النظري، والتفكير الفلسفي في بحوث الإعلام والاتصال، وإلى تكثيف التعاون بين مختلف الاختصاصات، لمعالجة ومناقشة المخاوف والحجج والمواقف والمفاهيم المستجدة مع التغيرات الانسانية العالمية، وخصوصا مع ما شهدناه مؤخرا من انقلابات في المشهد الاتصالي العالمي. كما يهدف الى الكشف عن الدور الذي باتت تلعبه فلسفة الاتصال في فهم الذات العلمية، في زمن «ما بعد الحقيقة».

عندما بدأت بتحرير هذا الكتاب، كان الهدف منه مراجعة نتائج أبحاثي في علوم الإعلام والاتصال، والتركيز على موضوع المشاركة والوعي، للوصول إلى نظرية حديثة مرتبطة باستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي في البيئة العربية، أعمل على بلورتها منذ خمس سنوات. وهكذا توصلت، من خلال أعمال فريقي البحثي، إلى بلورة العديد من عناصر نظرية **«متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام» Social Communication Maze in Public Space** التي تمثّل الواقع الاتصالي بامتياز.

كان الهدف بلورة أساليب الحرب الناعمة والتلاعب بالعقول بواسطة وسائل الإعلام والاتصال، وكنا مدركين لخطورة الاستراتيجيات الدعائية العالمية والمنظمات الإعلامية والتجارية الكبرى في هذا المجال. لكننا لم نتوقع ولم نتنبأ بالأحداث التي جرت مؤخرًا، وتجري في العالم وتقلب كل الموازين، منذ مطلع سنة 2020. فقد سجلت إنتافضة 17 تشرين 2019 في لبنان، ومعها الانتفاضات الشعبية في معظم الدول العربية الأخرى، حدثًا هامًا قلب الموازين وفرض علينا مسارات بحثيّة جديدة، وإشكاليّات وأسئلة عديدة، لا سيما في ما يتعلق بالدور الخطير لوسائل الاتصال في التلاعب بمصير الشعوب وتوجيهه. وجاء الحدث

الثاني في ك2 2020 مع ظهور فيروس كورونا، وانتشاره السريع في معظم دول العالم، ليأخذنا قسريا إلى ذلك البعد الفلسفي للاتصال، ويضعنا أمام أسئلة بحثية يصعب ضبطها.

المرحلة الحاليّة غامضة، وأسئلة كثيرة ستبقى من دون أجوبة لفترة طويلة. وجدت نفسي كباحثة في علوم الاتصال أمام بركان عالمي زعزع كل المعتقدات والاتجاهات الفكرية السائدة والنظريات العلمية، وأرغمني على مراجعة كتاباتي ومشروعي البحثي، بحيث لا يمكنني تجاهل كل الأسئلة الجديدة التي أثارها هذا «الفيروس» القاتل عالميا، حول ماهيته ودور الساسيات العالمية وقدرات الانسان وعلمه، ولا سيما أيضا قوّة وسائل الاتصال التي تلعب دورًا أساسيًّا في نشر المعلومات الطبيّة، وتغطية الأحداث المتعلقة بهذا المرض، إضافة الى دورها الأساسي في ارتباط الناس بعضهم ببعض، وتواصلهم وتفاعلهم عن بعد في زمن الحجر الصحّي القسري.

من هنا تم الرجوع بالدرجة الأولى إلى المقالات الإعلامية الحديثة التي ناقشت هذه القضايا المستجدة، وهي تتّفق على أن مقاربة القضايا المعاصرة لا يمكن فصلها عن الموضوع التكنلوجي، وعن سؤال: هل يمكن أن يتفوق الذكاء الاصطناعي على البشر؟ فمن ناحية، يتقدم الذكاء الاصطناعي بشكل أسرع بكثير من جميع التوقعات، إذ يتم ضرب سرعة تعلم الذكاء الاصطناعي في 100 كل عام، فبينما يستغرق تدريب مهندس أو أخصائي أشعة ثلاثين عامًا، يتطلب تعليم الذكاء الاصطناعي فقط بضع ساعات. ومن ناحية أخرى، لم تتطور المدرسة منذ 250 عامًا، ولم تأخذ بعين الاعتبار الاضطرابات الحتمية التي ستحصل في سوق العمل. فكيف نجعل أدمغتنا البيولوجية تقاوم الذكاء الاصطناعي وتظل منفتحة؟ كيف يمكن لأطفالنا الحفاظ على قدرتهم التنافسية مع الذكاء الاصطناعي؟ كيف سيجد التعليم، مكانته جنبًا إلى جنب مع أدمغة السيليكون التي تدعمها وسائل الشركات الكبرى GAFA وعمالقة الأمريكيين والصينيين وغيرهم؟

ما هي السيناريوهات التي يجب أن تختارها الإنسانية؟ هل يجب أن نقبل بذلك الدوار لما بعد الإنسانية الذي يجعلنا نتقدم بيولوجياً ونبقى بشرا؟ أو نندمج مع الذكاء الاصطناعي فنتحول إلى ناس آليين cyborgs؟

هل نحظّر الذكاء الاصطناعي أو نضع له الحدود؟

تزداد أهمية الكتاب والحاجة إليه اليوم، مع كون الاتصال أو التواصل هو الذي حوَّل العالم إلى «قرية كونية»، وهو الذي أدى إلى نشر الأمراض والأوبئة، وإلى انتشار فيروس الكورونا وإصابة الملايين من الناس وموت الآلاف. هو

الذي تسبب بقلب النظام العالمي وأدخلنا في العولمة، ويتسبب الآن من جديد بخلق نظام عالمي جديد ربما يعيدنا إلى القرية البدائيّة، أي إلى نظريّة مارشال ماك لوهان Marshall McLuhan. بغضون شهرين وجدت نفسي أبحث في خصائص النّظام العالمي الجديد، وأنتقل من التنقيب عن أساليب الحرب الناعمة، إلى التساؤل عن حقيقة ما يجري عالميا، وعن جذور الأزمة والحقائق الخفيّة فيها.

هل هي نتيجة طبيعية أم مفتعلة؟ كيف يتشكل النظام العالمي الجديد؟ ما هي ملامحه وأبعاده وآفاقه؟ من هم أبطاله الحقيقيون، وكيف يوظفون وسائل الاتصال لأهدافهم؟

ما أظهرته الأحداث المفصليّة في تاريخ البشرية الحديث، وما أثبتته نتائج دراسات فريقي البحثي، إضافة إلى نتائج الرّصد والملاحظة والتحليل، كلها مكّنتني من تأكيد فرضيات النظريّة التي خرجت بها، وهي نظرية «متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام»، لأن كل الدروب البحثية في علوم الإعلام والاتصال قد أدت بنا إلى مفهوم «المتاهة». وهذا الكتاب يهدف إلى بلورة عناصر هذه المتاهة، إذ إنها مبنية على مبدأ مشاركة المجتمع بكامل أعضائه ومؤسساته في عملية الاتصال والتواصل، وأهمية الوعي والإدراك، ودور هذا التواصل وهذه المشاركة الواعية في حماية المجتمع وبنائه وإنمائه.

وقد تبلورت عناصر النظريّة من خلال دراسة دور وتأثير وسائل الإعلام والاتصال في الدول العربية في التغيير الاجتماعي، ورصد الإشاعات والشعارات وكل الأساليب المستخدمة للاقناع والتأثير، أوالتلاعب بالعقول، وتبيَّنت حدود حضور أو غياب الوعي في المشاركة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ودور المجتمع المدني ومدى استخدامه بفعالية ووعي لهذه الوسائل.

يؤكّد هذا الكتاب للباحثين أن الفكر الاتصالي، أو «فلسفة الاتصال»، هي اليوم مجال جديد يستحق المقاربة، بالنظر إلى الفهم المتزايد للدور الأساسي الذي يلعبه الاتصال والتواصل في جميع جوانب الحياة المعاصرة. ويزداد دور فلسفة الاتصال أهمية مع تسارع التطورات والتغيّرات العلمية والاجتماعية التي تطال الفضاءات العامة، إذ تتطلب هذه التطورات استكشاف العلاقات بين علوم الإعلام والاتصال والمجالات التقليديّة للفلسفة، مثل الميتافيزيقيا وعلم الوجود، وفلسفة اللغة، ونظرية المعرفة، والفلسفة الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، وما إلى ذلك من مجالات فكرية ومعرفية معنية بقضايا الإعلام والاتصال.

الدكتورة مي العبدالله - 21/6/2020

الفصل الأول:
الفلسفة وعلوم الإعلام والاتصال

أولا: تطور الفكر الفلسفي

1 - معاني الفلسفة:

يتضمّن السؤال عن الفلسفة نشاطًا فلسفيًا تأمليًا لا يحوم حول الفلسفة قصد تحديدها، بل يقحم الفكر في خضم الممارسة التأمّليّة. من هنا، تعرّف الفلسفة بأنها كلمة مشتقّة من اللغة اليونانيّة (فيلوسوفيا)، مركبة من الأصل «فيليا» أي محبّة و«صوفيا» أي الحكمة، أي أنها تعني محبة الحكمة. وفي عملية التفسير هذه، نجد أنفسنا أمام لحظة البداية مع الفيلسوف الإغريقي فيثاغورس Phythagoras of Samos حيث يعتبر أول فيلسوف أعطى تعريفا لفلسفته حين قال: « الفلسفة هي محبة الحكمة لذاتها»: وهذا التعبير كان لحظة حاسمة في تاريخ الفلسفة، حيث اعتبر فيتاغورس نفسه «محبا للحكمة» وذلك تواضعا أمام عظمة الآلهة، إذ اعتبر أنه من الغرور أن يدّعي الإنسان لنفسه الحكمة، وأن إسم الحكيم لا يليق بالإنسان بل هو للآلهة. وعرّف أفلاطون Plato الفلسفة بأنّها «علم الحقائق المطلقة الكامنة وراء ظواهر الأشياء»، ذلك لأن حقيقة العالم ليست كما نعتقد، فما نراه بأعيننا لا يمثّل الحقيقة، وإنما هو مجرد ظلال وصور مشوهة عن عالم حقيقي مثالي يمكن إدراكه بالعقل وليس بالحواس، وهنا يتوضح التباين بين عالم المحسوسات وهو عالم زائف، وعالم المعقولات (المثل) وهو عالم حقيقي. في حين رأى تلميذه أرسطو أن الفلسفة هي «علم المبادئ والعلل الأولى للوجود، أو هي علم الوجود بما هو موجود»، ذلك لأنه كان يفكر في الأسباب التي تقف وراء الظواهر، وتبيّن له أن هذه العلل تنقسم إلى أربعة أسباب، وهي العلة المادية، والعلة الصورية، والعلة الفاعلة، والعلة الغائية (أحمد زكرد، 2019).

تعريف الفلسفة بأنها «محبة الحكمة»، له أكثر من دلالة: دلالة لغوية تتعلق بلغة الإغريق التي بها تم تركيب هذه الكلمة، ودلالة معرفية حددت التعريف وحصرته في محبة الحكمة كشكل للإعراب عن عدم توفر المعطيات العلمية والمعرفية في ذلك الوقت، فكانت الحكمة أحد أشكال التحايل على المجهول كمادة أولى، لكي يصنع منها الفيلسوف نظامه المعرفي، وفق التصور الذي كان سائدا في ذلك الزمن.

وتعني الفلسفة أيضا طلب المعرِفة أو البحث عن الحقيقة، وهي، بشكل عام، نشاط إنساني يقوم على الدراسة النظريّة والعمليّة للمجتمعات والثقافات منذ أقدم العصور، وتستخدم الكلمة في العصر الحديث للدلالة على السّعي وراء المعرفة الجوهريّة فِي حياة الإنسان.

ومن تعريفات الفلسفة أيضا أنها «إعادة صياغة سؤال جديد»، ولا تنتهي سيرورة التعريف عن ماهية الفلسفة. فمثلا، عندما عرّف ارسطو Aristotle الفلسفة، أعطى بالأحرى تعريفا لفلسفته هو، ومن هنا قد نفهم تعريف جيل دولوز Gilles Deleuzeوصديقه جاتاري Félix Guattari للفلسفة بقولهما : «إن الفلسفة اختراع، صنع، وإبداع للمفاهيم» بمعنى أن الفلسفة هي دائما في لحظة انفلات، إذ لا نفتأ نعطيها تعريفا حتى نجدها في مكان آخر تحتاج لتعريف آخر. يقول مارتن هايدجر Martin Heidegger :«إن هناك معانٍ للفلسفة بعدد الرؤوس التي تتفلسف» .هذا يعني أن كل تعريف للفلسفة مشروط بفلسفة صاحبه، فإذا كان لكل فيلسوف رؤيته الخاصة حول «المفاهيم»، فإن ذلك حتما سيؤثر على تصوره الفلسفي. وعندما قلنا أن كل تعريف مشروط بفلسفة صاحبه فإننا نقصد بذلك ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر بقوله : «عندما نسأل ما هي الفلسفة؟ الهدف هو أن ندخل في الفلسفة وأن نقيم فيها، أي أن نتفلسف » . أما ديكارت فيشبّه الفلسفة بشجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها علم الطبيعة، وأغصانها الكبرى المتفرعة من هذا العلم هي: الطب والميكانيك والأخلاق. (أحمد زكرد، 2019)

في العصر الحديث، تطرح تساؤلات كثيرة حول استمرارية الفلسفة، أو موقعها ودورها، وبعد أن كانت قد بدأت تتراجع مع عودة التفكير العقلي بقوة، عادت لتطرح علاقة الفلسفة بالعلم كعلاقة جدلية، إذ إن تطور أحدهما يؤدي بالضرورة إلى تطور الآخر والعكس بالعكس. فاليوم، بالنظر إلى ما هو متوفر من المعارف وما هو متراكم من أسئلة وقضايا مطروحة في العديد من المجالات، وبالنظر إلى التقدم الذي حققه الفكر البشري في مختلف المجالات، لم يعد دور الفيلسوف فقط حب الحكمة أو الذهاب إليها، والبحث عنها بنفس الأدوات الذاتية، وفي نفس المناخ من الجهل الهائل بالمحيط الكوني وتجلياته الموضوعية كما كانت عليه الحال سابقا. بات الفيلسوف مقيّدا بالكثير من المناهج والقوانين المنطقية، وبالمعطيات اليقينية في إطار من التراكمات المعرفية وتطبيقاتها التكنولوجية، التي لا تترك مجالا للشك في مشروعيتها.

بناء على ما تقدم، فإنه لا مفر من إعادة النظر في تغيير معنى الفلسفة، بحيث يكون «إنتاج الحكمة». وفي النهاية يمكن ان تعرّف الفلسفة انطلاقا من أهدافها، وهي تفعيل الفكر والادراك وتحفيز الفهم والتعامل مع القضايا، وتربية الحس النقدي.

2- الفلسفة في البدايات:

قسّم المؤرخون تاريخ الفلسفة إلى ثلاث مراحل أساسية: مرحلة العصر اليوناني (فِي القرن السادس قَبل الميلاد)، التي تعتبر لحظة تطور الفكر الفلسفي

في تاريخ الفلسفة الغربية. وقد اهتم الفلاسفة بالقضايا الوجودية أي بعلم الوُجود Ontologyالذي يبحث في استمراريّة الواقع، وبأصل الكون وجوهره الأساسي، الخالق، والتساؤل حول وجوده وعلاقته بالإنسان، ثم اهتموا بالعقل وأساس التفكير السّليم، وبالإرادَة الحرّة وأصل وجودها، وبتحديد الهدف من الحياة وطريقَة العيش السّليم، وبنظرية المعرِفة Epistemology وهي فهم صلاحيّة معايير حدود المعرفة، وبالأخلاقيات Ethics وهي دراسة نَقديّة لسلوك الإنسان البشري، إضافة إلى علوم أخرى مثل علم الكون، والرياضيات، والطب.

وقد أحدث سقراط Socrates ثورة كبيرة في نطاق الفلسفة، إذ اهتم بصورة خاصة بالإنسان، وبالتالي بالسياسة والأخلاق والاقتصاد، وَلَم يهتم بقضايا أخرى مثل الفلك والطبيعة، لأنّه كان يعتبر أنّ الإنسان هو مقياس كلّ شيء. أما أفلاطون Platoفكان يبحث عن الوجود وعن المعنى الحقيقي للإنسان على الأرض، بينما كان أرسطو Aristotle يبحث عن أصل الوجود. بالتالي، بقيت اليونان مرتبطة بالبحث عَن الحقيقة، والوصول إليها بالاعتماد على العَقل ومنهج البحث، لكن اليونانيين بقيوا يعتمدون فِي فلسفتهم على الوحي والدين وهو المكوّن الأساسي لثقافتهم.

العَصور الوسطى هي الفترة الممتدّة من سقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة في القرن الخامس الميلادي حتّى عصرِ النّهضة فِي القرن السادس عشر. في هذه الحقبة التاريخية، تكيّفت الفلسفة لتصبح من مكوّنات الثقافة الإنسانيّة في المجتمع، وظهر نوعان من الفلسفة وهما الفلسفة المسيحيّة والفلسفة الإسلامية. فأصبحت الفلسفة أكثر تعقيداً وترابطاً من خلال المواضيع التي تتناولَها، وبعد ظهورِ الديانه المسيحيّة تأمّل الفلاسِفة بالكثير من الأمور، منها الوجود والكون، والمبادئ الراسخة كالأخلاق والقيم، والبحث عن الحقيقة، والمعرِفة، والجمال. (Allen E. Reginald, 1991) فقد بنى المسيحيون الأوائل الفلسفة المسيحيّة على الفهم العبرِي القديم، والكثير من المفكّرين المسيحيين أرادوا فهم طبيعة القانون وعلاقته بالكنيسة، منهم ارينيوس ليون Irenaeus، وتيرتوليان Tertullian، وأوريغن Origen، وهم من الفلاسفة الأكثر أهمية في العصورِ الوسطى.

أما عن الفلسفة الإسلامية، فيقول المؤرخون أنها فلسفة مستمدّة من نصوص الإسلام (القرآن والسنّة)، بحيث تقدّم رؤية كاملة حول الكون والخلق والحياة والخالق. والتعريف العام لها هو التصوّرات الفلسفيّة التي تمّت وبحثت في إطارِ الحضارة الإسلاميّة، وليس من الضروري أن تكون مرتبطة بحقائق ونصوص دينيّة، وقد تطوّرت إلى أن انحصرت بإثباتات وأدلّة عقليّة. وكان المنعطف الأهم على يد إبن رشد، من خلال تمسّكه بمبدأ الفكر الحرّ وتحكيم العقل من خلال المشاهدة والتجربة. (إبراهيم أبو غزالة، 2020)

3- الفلسفة الحديثة:

أما الفلسفة في العصر الحديث فهي جزء من الفلسفة التي ظهرَت فِي أوروبا الغربيّة فِي القرن السابع عشر، والتي بقيت إلى غاية القرن العشرين، ولا تعتمد على عقيدة محدّدة أو مدرسة معيّنة. وهي فلسفة نقديّة تعتمد على العقل فقط. وهي تهتمّ بمشاكل الإنسان المعرِفيّة وخدمة الإنسان، وقد حاول أحد أهم فلاسفتها ديكارت Descartes أن يخلّص العقل من الأفكار السّائدة والآراء المسبقة من أجل الوصول إلى الحقيقة، وكان محور اتّجاه فكره الاعتزاز بالعقل. وقد أثار أسئلة كثيرة جديدة مرتبطة بالمعرفة والعلم إلى جانب الإنسانيّة والأخلاق والدين. (إبراهيم أبو غزالة، 2020)

إنشغل الفلاسفة إذن في العصر الحديث بإشكاليات الثقة المفرطة بالعقل والاعتماد عليه بشكل مطلق، واجتهدوا في تأكيد أنّه معرّض للخطأ ويتأثر بالعواطف والعقائد. بل ظهرت أراء سلبته كل قدرة على قيادة البشر، ورأت أنه بدوره مُسيّر من قبل قوى اخرى مثل البراجماتية Pragmatism، التي يرى أحد أعلامها وهو وليام جيمس William James أن هدف الفلسفة هو تحقيق منفعة عملية، أي أنها ليست بحثا في إشكاليات نظرية وقضايا تأملية فقط، بل هي تفكير على نحو يحقق للإنسان النجاح في حياته العملية. وكذلك ذهب كارل ماركس Karl Marx إلى القول إن الفلاسفة قد دأبوا على تفسير العالم بطرق شتى، ولكن مهمّتهم هي العمل على تغيير العالم وتعديل النظم القائمة، وتخليص الإنسان من الظلم وطغيان الخرافة: «لم يعمل الفلاسفة حتى الآن سوى على تفسير العالم بطرق مختلفة، لكن الهدف هو تغييره». (أحمد زكرد، 2019)
كما ظهرت إلى جانب الفلسفة البراجماتية والماركسية مذاهب أخرى كالتحليلية، والوضعية المنطقية والوجودية. وما أحدثته ثورة المعلومات، وما واكبها من تطورات هائلة في الأوساط الثقافية والاجتماعية، أدى إلى إعادة إنتاج مفاهيم تغيرت ذاتيًا، من خلال إعادة التأصيل لتقديم صورة علمية جديدة تحل محل تلك التي ظلت معتمدة لعقود طويلة من الزمن. وما زال تطوير تلك المفاهيم واردًا، ما دمنا في مرحلة التأصيل الفكري الذي لا سقف له زمنيّاً.

هنا نصل إلى موقع فلسفة الاتصال من هذه التطورات الفكرية، ونشير إلى أن مصطلح «فلسفة الاتصال» قد ظهر وتمت مناقشته في العالم الأنجلو ساكسوني مع بدايات الثورة التكنلوجية. وقد ساهم كتاب «التخيلات» Imagologies حول «الضجيج الإلكتروني» لمارك سي تايلور وإيسا سارينين Esa Saarinen & Mark C. Taylor بشكل كبير في نشر هذا المصطلح، إذ أشار إلى سطحية الخيال، وإلى أبعاد التواصل الالكتروني، بحيث أنه «لا يكفي أبدا ربط الطلاب والباحثين عبر البريد الإلكتروني والأقمار الصناعية» (Esa Saarinen, 1994

(Mark C. Taylor &

من جهته، أدرك هارولد إنيس Harold Innis، أن التكنولوجيا تتغير وفقًا لنوع الوسيلة المعتمدة، وأن العمل البشري هو امتداد لأشكال وسائل الإعلام والاتصال. هذا يعني أن مدح التكنولوجيا، أو الاحتفال بالتقنية الجديدة، ليس كافيًا، وأنه من المتوقع من الفلاسفة أن يرفضوا ويتحايلوا على الواقع الاجتماعي، وأن يذهبوا إلى النقاش حول ما بعد الإنسانية، أي تجاوز الحاضر واستكشاف المستقبل الغامض، ورفض إغراءات «الحاضر البارد» (Harold Innis, 1951).

كما أنه لا يكفي التراجع إلى مجرات جوتنبرج Gutenberg الآمنة للنظرية النقدية. فعلى فلسفة الاتصال أن تخاطر وتتخطى الحدود، ويمكن أن يتمحور الجدل حول «المنعطف الأيقوني» كما لخّصه هارتمان Hartman، بوصفه له بأنه من إحدى البدايات، ويؤشر لمدى صعوبة «التفكير الوصفي» القاصر (Geoffrey Hartman, 1980)

ثانيا: النماذج التأسيسية وآفاق النهج الفلسفي

1- الدراسات الإعلاميّة الأولى:

تعود الدراسات العلمية الإعلامية الأولى في العالم إلى فترة ما بين الحربين، وقد أطلقها الانتشار القوي والمتسارع لوسائل الإعلام الجماهيرية لأغراض الدعاية. في هذا الاطار، ظهر نموذج الرصاصة السحرية الذي يعتبر تأثير الوسائط على رأي المستخدمين بمثابة رصاصة موجهة نحو المتلقي السلبي، الذي لا يعارض أو يقاوم الأفكار المقدمة إليه. لكن هذا النموذج انتُقد سريعًا، واعتبر الباحثون أن رسائل وسائل الإعلام والاتصال لها تأثير غير مباشر، حيث يتم اعتبار أن الجمهور يدرك الرسالة ويقبلها فقط إذا كانت تتفق مع الأفكار التي يشعر أنه ينتمي إليها. إذ يضع الفرد ثقته في قائد فكر يكون جزءًا من مجموعته، ويعتبره قادرا على تلقي الرسائل من وسائل الإعلام وكشف الحقيقة من الخطأ، والتأثير الشخصي للقائد يمر عبر المحادثة النشطة التفاعلية. علاوة على ذلك، بما أن الفرد يشعر بالتواطؤ مع زعيمه، فهناك رابط عاطفي يعطي أهمية لفكرته (Pierre Bourdieu, 1997).

لقد بذلت محاولات علمية عديدة لتحليل عملية الاتصال ووصف أبعادها وعناصرها، أكدت أهمية وسيلة الاتصال، ودورها المؤثر في المجتمع. ومن أهم نماذج الاتصال التي أسّست لعلوم الإعلام والاتصال نموذج كاتز ولزرسفيلد Katz et Lazarfeld، وهو يبحث في تأثير الأفراد في عملية الإعلام الجماهيري، على أساس أن الإعلام لا يؤثر في الناس مباشرة بل من خلال قادة الرأي العام. كذلك نذكر نموذج ورايت Wright وهو يهتم بالوظيفة والدور الذي تقوم به وسائل الاعلام، ويتناول نموذج دوفلور Defleur المؤسسات الإعلامية من خلال أسلوب عملها، وسبب وجودها وحجم تأثيرها في المحيط الإجتماعي.

بناء على نموذج نيوكومب Newcomb، يجب أن يكون لنا مواقف حيال الأشخاص والأحداث المحيطة بنا. ويتناول نموذج برلو Berlo العمليات التي تصاحب المواقف الاتصالية ويحدد العوامل المسؤولة عن نجاح وفشل العمل الاتصالي وعلاقة العناصر ببعضها، إذ يرى برلو أن مكونات عملية الاتصال تشمل أربعة عناصر هي المرسل، والرسالة، والوسيلة، والمتلقي (مي العبدالله، 2005).

2- نموذج معاملات الاتصال:

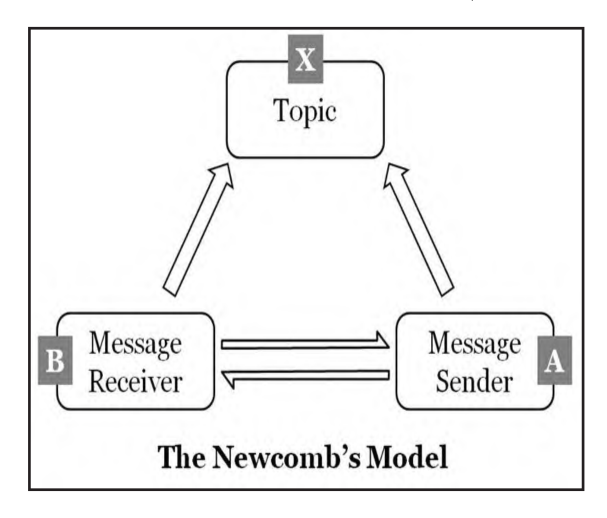
وقد أضاف ولبر شرام Wilbur Shramm إلى المعرفة نموذج النظام الوظيفي لعملية الاتصال، وقدم من خلال هذا النموذج مفاهيم مهمة مثل الإطار الدلالي، والخبرة المشتركة وأهميتها في عملية الاتصال. أما نموذج معاملات الاتصال Transactional model of Communication فهو نموذج علمي مستمد من النهج النظامي، طوّره إريك بيرن Eric Berne وحقق نجاحًا هائلاً في الولايات المتحدة وأوروبا. ولا يزال يستخدم على نطاق واسع، وخاصة في علاجات التغيير في الشخصية، وهو يقوم على تحليل جميع الاتصالات الشخصية من مفهوم المعاملة. ويمكن اعتباره نموذجا مبسّطا، حيث ينطلق من فكرة أن المتلقي والمرسل أساسيّات مستقلة للعمل. وتختلف أدوار المتلقي والمرسل في نموذج المعاملة عن النماذج الأخرى، إذ هو مبني على إجراء التحول والتغيير المستمر. وبسبب هذا، يتحكم المستخدمون بتصرفاتهم بالطريقة التي تلائمهم. ونظرًا لأن كل من المتلقي والمرسل ضروريّان للحفاظ على التفاعل نشطًا في نموذج المعاملات، فإن المستخدمين يعتمدون أيضًا على بعضهم البعض.

نموذج المعاملات هو الطريقة الأكثر شيوعًا اليوم للتواصل الاجتماعي. فالتفاعلات العادية والأحاديث هي أيضًا شكل فعّال للتفاعل أو التواصل. وهي أكثر فعالية وتنظيمًا للمستخدمين الذين لديهم قواسم ثقافية مشتركة، وللذين يعرفون بعضهم البعض. وتعتمد موثوقية وكفاءة الرسائل المترابطة أيضًا على الطريقة المستخدمة، فالعديد من العوامل يمكن أن تؤثر على إجراء التفاعل أو التواصل، كالخلفية والضوضاء غير المرغوب بهما.

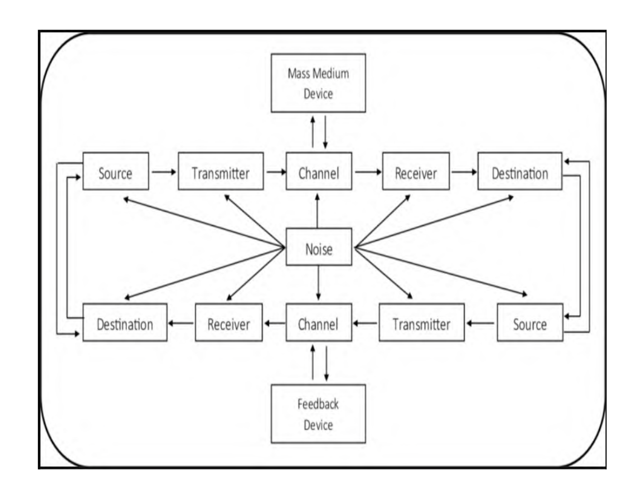
نموذج المعاملات للاتصال يربط بين التواصل، والخلفيات الاجتماعية والعلائقية والثقافية للأفراد. ولا يمكننا التنبؤ بردودهم لأنه قد يكون لديهم خلفيات متنوعة وظروف دماغية متنوعة. وتتوقف أنماط الاتصال على عدة عوامل مادية واجتماعية وثقافية، وعاطفية ونفسية. وتعد الاستجابة مكوّنًا أساسيًا في إجراء التفاعل أو الاتصال، خاصة في الاتصالات العلائقية لأنها توفر مساحة لشرح سوء الفهم.

في إجراء المعاملات، كل عنصر يتعلق بجميع العناصر الأخرى، فيتفاعل كل فرد مع الآخرين بناء على خبراته السابقة ومعتقداته الثقافية. هذا يعني أن الاتصال في نموذج المعاملات هو إجراء دائري دائم، ويحتوي على العديد من المكوّنات والعمليّات المعتمدة على الرموز، بما في ذلك عمليات فك التشفير والرسالة والضوضاء. فيُعرّف كل من المرسل والمستقبل باسم المُتّصل، وينعكس دورهم في كل مرة في عملية الاتصال، حيث تحدث كل من عمليتي

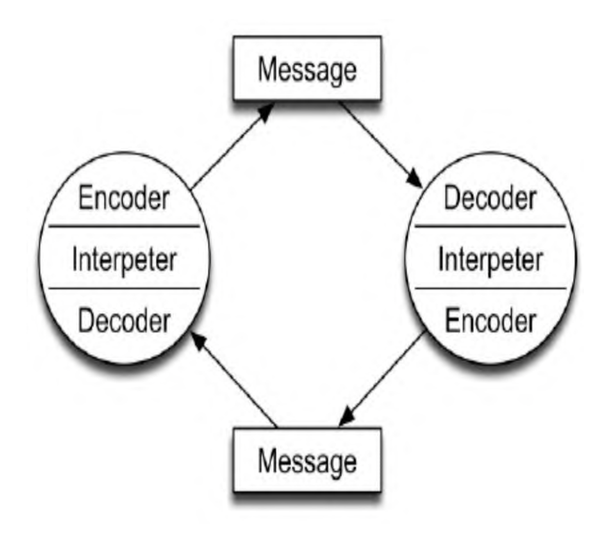
الإرسال والاستقبال في نفس الوقت، كما يمكن أن يكون المتّصلون بشرًا أو آلات (Ian Stewart, 1992)



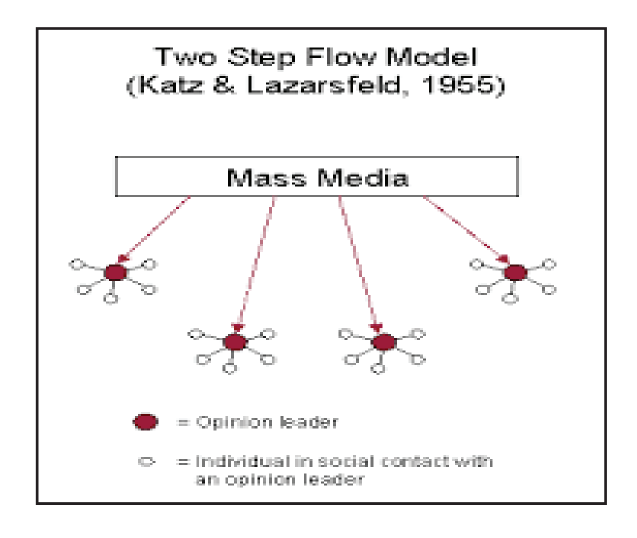
نموذج نيوكومب 1953



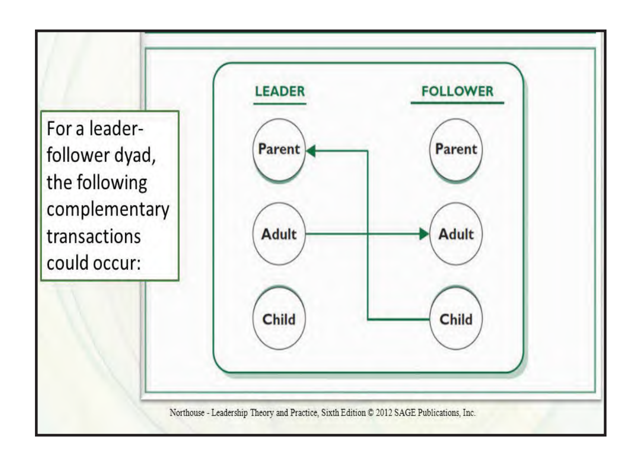
نموذج دوفلور1954



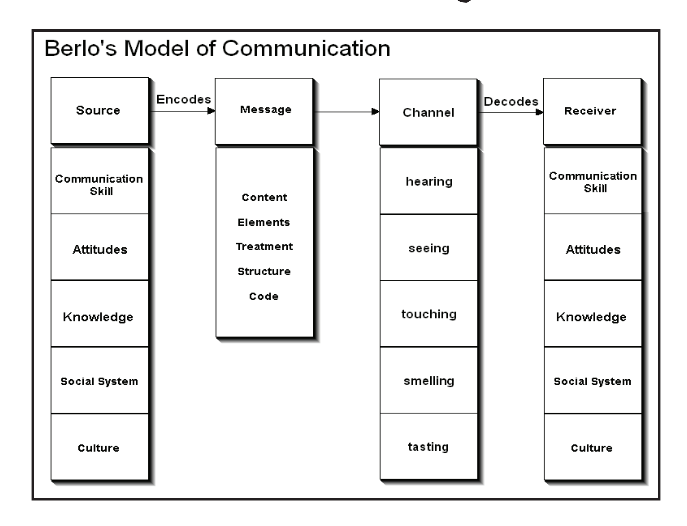
نموذج شرام 1954



نموذج كاتز ولازارفلد 1955



نموذج معاملات الاتصال 1956



نموذج برلو 1960

https://www.researchgate.net/figure

3- معوّقات النهج الفلسفي في العالم العربي:

يرتكز مفهومنا للبحث العلمي على أهمية الإضافة العلمية، والوصول إلى نتائج يتم تحليلها وتفسيرها وتوضيح أبعادها من خلال مقاربة نظرية محددة، تشكّل منذ البداية إطار البحث. وينطلق تحليل النتائج ومناقشتها من الاطار

الفلسفي الذي تفرضه الإشكاليّة وأهداف البحث. والمنهجية البحثية تكون في خدمة الأهداف، ودائما ضمن الإطار الفكري الفلسفي العام، وما نراه مهمّا اليوم في علوم الإعلام والاتصال هو التفكير في النهج الذي يوجّه الرؤية، ويفرض أدواته المنهجية وطرقه. وليس المطلوب نكران أو رفض أو تجاهل كل التيارات الغربية الفلسفية والمعرفية التي أسست لعلوم الإعلام والاتصال، ولكن، لا بد لنا كباحثين في علوم الإعلام والاتصال في العالم العربي من المشاركة في إنتاج المعرفة العلميّة في مجالنا، إنطلاقا من خصوصيتنا الثقافية ودراساتنا الميدانية الخاصة، والخروج عن الموروث النظري الذي أطَّر تفكيرنا (مي العبدالله، 2014).

برأينا، إن العائق الأساسي للمشاركة في الانتاج المعرفي، هو غياب السياسات والرؤى البحثية، والمختبرات والفرق البحثية التي تحتضن الأعمال البحثية وتستثمر نتائج الدراسات التي تذهب سدى وتبقى من غير فائدة عملية. والجهود البحثية موجودة في عالمنا العربي، لكنها لم تثمر بسبب غياب سياسات البحث العلمي وضعفها. من هنا، يضيع مفهوم البحث العلمي لدى الباحثين أنفسهم، فيركّزون على المناهج الثقيلة والأفكار الشائعة والنظريات الموروثة، دون محاولة تقديم المختلف والجديد. فالبحث هو إمّا للترقية أو واجب مفروض، أو وسيلة للتكوين الأكاديمي للتخرج لممارسة مهنة التعليم في الجامعة، ولا فائدة منه أكثر من ذلك في نظر الباحثين. أمّا الخروج بنظريات علمية فهذا ليس من شأنهم، أو أكثر من ذلك، ما لا قدرة لهم عليه (مي العبدالله، 2015).

يطرح إنتشار وسائل التواصل الاجتماعي في المنطقة العربية أسئلة إشكالية عديدة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، تستحق البحث. والدراسات الوصفية حول عدد المستخدمين، أو حول الخصائص الديموغرافية والاجتماعية، غير كافية. فأبعاد هذه المعلومات وتفسيراتها هي التي تهم الباحثين وتمكنهم من معرفة كيفية التأثير، أو المساهمة في التغيير الاجتماعي، أو ماذا تعني هذه الأدوات للمستخدم، وكيف تؤثر على تفكيره وشخصيته وعلاقاته بالآخرين، وبالتالي ما هو دورها في المجتمعات. وهذا يتطلب الغوص في عمق الممارسة الإعلامية والاتصالية في المجتمعات العربية، ودور علماء الإعلام والاتصال اليوم هو السعي إلى بعث النقاش العلمي حول المنطلقات الفلسفية لبحوث الإعلام والاتصال، وتشجيع الإنتاج البحثي الهادف، بتطبيق النهج الفلسفي. عليهم أن يسعوا لبلورة الإشكاليات المرتبطة باستخدامات وسائل الإعلام والاتصال، خاصة الجديدة منها، في البيئة الثقافية العربية، وإخراج المؤشرات التي تكشف عن خصوصية الاتصال في البيئة العربية (نصر الدين لعياضي، 2011).

لقد اكتفى إلى الآن معظم الباحثين العرب بإجراء البحوث الكمية، فالطلب

الاجتماعي على بحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية ما زال محدودا، ومرتهنا بمنطقيّ السوق والإيديولوجيا. وإذا اعتبرنا السّوق قوة ناشئة في المنطقة العربية تحرّك الاستهلاك الإعلامي والثقافي، فإنها تحتاج إلى الدراسات الكيفية، التي ترتكز على تحليل حاجات الجمهور وكيفية تلبيتها (مي العبدالله، 2009).

ثالثا: الفكر الفلسفي والإعلام والاتصال

1- الإعلام والفكر السياسي:

منذ ظهور وسال الإعلام الجماهيرية وتطورها، سعى علماء الاجتماع إلى وضع نماذج ونظريات تحدد لأجهزة الإعلام أهدافها ومنطلقاتها ومناهج عملها. وقد أثمرت جهودهم مجموعة من الأفكار السياسيّة الفلسفية التي عكست توجهاتهم، وصاغت رؤاهم. وقد طوّروا أفكارهم، فمنهم من صاغها في أربع نظريات، هي النظرية الليبرالية، الماركسية، الاستبدادية، ونظرية المسؤولية الاجتماعية، ومنهم من زادها إلى ست نظريات فأضاف إليها نظرية التنمية في الاعلام، ونظرية المشاركة الديمقراطية.

ومن أهم منظّري الفكر الليبرالي، نذكر جون ستوارت ميلJohn Stuart Mill، الذي رأى أن البشر جميعًا لو اجتمعوا على رأي، وخالفهم في هذا الرأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، بنفس القدر الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتى لو كانت له القوة والسلطة. يعني أننا إذا أسكتنا صوتًا، فربما نكون قد أسكتنا الحقيقة، وأن الرأي الخاطئ ربما يحمل في جوانحه بذور الحقيقة الكامنة، وأن الرأي المجمع عليه لا يمكن قبوله على أسس عقلية إلا إذا دخل واقع التجربة والتمحيص، وأن هذا الرأي ما لم يواجه تحديًا من وقت لآخر، فإنه سيفقد أهميته وتأثيره (John Stuart Mill, 1963-91) .

تقوم النظرية الاستبدادية على أن السلطة تنبع من مصدر آخر فوق الشعب، فلا تسمح بتشكيل المؤسسات والتنظيمات التي تسهم في صناعة الرأي، بدعوى أنها أقدر على معرفة ما يصلح وما لا يصلح، انطلاقًا من أن الدولة في النظرية الاستبدادية تعلو على الفرد في ميزان القيم. وترى هذه النظرية أن الإنسان شخصية غير مستقلة، وغير قادرة على بلوغ المستويات الرفيعة إلا تحت رعاية الدولة.

أما النّظرية الماركسية، وإن كانت شبيهة بالنظرية الاستبدادية في بعض الجوانب، إلاّ أن وسائل الإعلام والاتصال وفق هذه النظرية ليست ملكًا للأفراد، بخلاف النظرية الاستبدادية التي تجيز للأفراد هذا الحق. وفي هذه النظرية نجد أن النقد الموجه من عامة الشعب ضعيف التأثير ومحدود الفاعلية. وتسخّر النظرية الماركسية وسائل الاتصال لتحقيق أغراضها، معتمدة في ذلك على التهويل والمبالغة (مي العبدالله، 2013).

2- الفكر الاتصالي والمعرفة:

في نهاية التسعينيات من القرن العشرين، قدمت شبكة الإنترنت لعامة الناس الأدوات والبرامج التي مهدت لبناء منصات جديدة مترابطة أدت إلى ثورة اجتماعية ومعلوماتية، وإلى تبادل جديد للمعلومات. فأصبح الفرد هو المنتج والمستقبل لمحتوى الوسائط، وهذا ما يطلق عليه الباحثون الجدد في الدراسات الإعلامية الاتصالية «المتلقي المعقد». هنا ظهرت فعليا علوم الإعلام والاتصال، وطوّرت مقارباتها النظريّة ونماذجها الفكريّة، واجتهد المفكّرون المتخصّصون في رسم إطار معرفي خاص لهم، وأصبح هذا المجال العلمي في غاية الأهميّة والتعقيد في آن واحد.

في هذا العالم المتغير والعابر، يتوق الناس إلى «الأخلاق» و«القيم» ويحلمون بمستقبل مجتمع يعرف فيه الفرد مكانه. ويمكن أن تكون الفلسفة واحدة من تلك «الديانات الزائفة»، ففي الفكر اللامتناهي، يدعو آلان باديوAlain Badiou للعودة إلى الفلسفة. لا يريد أن تخضع الفلسفة لـ «تعدد ألعاب اللغة»، فاللغة ليست أفق الفكر المطلق، لذلك يدعو باديو إلى إعادة مبدأ الانفتاح. كيف يمكننا ترجمة ذلك في فلسفة الإعلام، أو ينبغي أن نرفض دعوة باديو لأنه ينظر إلى النظام الإعلامي على أنه في العمق «غير منطقي»؟ هذه هي المعضلة التي تواجهها فلسفة الإعلام: هل يجب أن نعود إلى رؤية مستقرة، أم نقفز إلى المجهول ونخاطر بفقدان كل الروابط مع المعرفة المؤسسية؟ . «كان نيتشه Nietzche بالتأكيد سيختار هذا الخيار الأخير، ولكن بعد ذلك أصبح نيتشه نفسه محاطًا ومؤطرًا ومؤسسيًا مثل أي فيلسوف آخر!» (Geert Lovink, 2020).

وما زالت العلوم الاجتماعية خصوصا تساهم إسهامًا كبيرا في تطور دراسات الإعلام والاتصال، وخاصة تلك المتعلقة بالقضايا المرتبطة بتأثير وسائل الإعلام والاتصال في إدراك الأفراد للحقائق الاجتماعية، حيث كشفت أن هذه الوسائل قد تقدم للجمهور واقعًا مغايرًا تمامًا لما هو كائن بالفعل. ولكن، يبقى من الصعب تحديد كل عناصر العلاقة بين الفلسفة والاعلام والاتصال، فعلى سبيل المثال، هناك فلسفة للاتصال السياسي، أو فلسفة للأدوات التقنية. ولا بد من تحديد للمفاهيم التي تثيرها الفلسفة المعرفية، أو فلسفة العقل، عند فلاسفة مثل سيرل John Searleأودينيت Daniel Dennett أو سبربرDan Sperbe، أو المؤلّفين الذين يحاولون توليف الأسئلة المعرفية والمشاكل الفلسفيّة. وانطلاقًا من فكرة المعرفة، يمكن تسليط الضوء على الأطر الفلسفية والإبستمولوجية المختلفة التي يتحرّك في فضائها علماء الإعلام والاتصال. فالانضباط العلمي هو الاشكاليّة الأساسية، إذ تشير عبارة «علوم الإعلام والاتصال» التعدديّة، إلى مسألة أساسيّة وهي وجود تقاطع بين الفلسفة والاتصال.

في كتب الإعلام والاتصال، يمكن لحظ العديد من المراجع الفلسفية، يعني أن هناك تلميحات واضحة للفلاسفة. إذ يشير لوسيان سفيز Lucien Sfez مثلا إلى سبينوزا Spinoza لشرح فكرة الاتصال التعبيري، ويشير الباحثون على أنه، منذ أرسطو Aristotle، تمّ تصوّر الروح كمجموعة من الخصائص أو السّمات. كما يمكننا أن نلاحظ التلميحات إلى الإشكاليات الفلسفية: مثلا تشكك الكتابات الحديثة في مبادئ عقيدة الإرادة الحرّة، فبالنسبة لروبرت اسكربيت Robert Escarpit، تتمتع الأجهزة الاتصالية بهوية، وهذه الهوية تأخذ شكلاً آخر نسميه الوعي (Michel Pirotton, 2015).

لقد بذلت محاولات كثيرة لمواءمة مواضيع الإعلام والاتصال مع الأسئلة الفلسفية، في مساهمتها في التفكير في المعرفة، وقد ركز الباحثون على أربعة مسائل أساسية مشتركة بين علوم الإعلام والاتصال والفلسفة: الانفتاح الإدراكي للعالم، الفكر والذكاء، مكانة اللغة، حدود المعرفة. في مسألة المعرفة، لا يوجد اتصال دون الانفتاح الإدراكي للعالم. ونشير هنا بشكل خاص إلى مدرسة باولو التو Paolo Aalto التي وصفت الانفتاح على الآخرين بأنه نوع من الانفتاح على العالم. وتعتبر هذه المدرسة الفرد البشري نظامًا مفتوحًا، وهو في تفاعل مستمر مع الآخرين ومع بيئته، حيث يتبادل معهم المواد أو الطاقة أو المعلومات، فهو يتعرض للأحاسيس التي تسمح له باكتساب أفكاره الأولى.

يمكننا أيضًا أن نجد في بحوث الإعلام والاتصال مفردات الفلسفة، ك «الخصائص»، و«السمات»، و«الأنطولوجيا». كما أن هناك تفسير للمواقف المعرفية، كما في كتابات باتسون Gregory Bateson الوضعية، ودور القياس في فكر فون نيومان John Von Newman، وحالة التحليل النفسي عند هابرماس Jürgen Habermas، والعلوم الطبيعية والعلوم التأويلية. أما بالنسبة لدانييل بونيو Daniel Bougnoux، فهو يرى أن علوم الإعلام والاتصال، في تباينها الحالي، لا تفي بمعايير العلم (Jean-François Lyotard, 2015) .

3- التجربة والتعلم:

يتم التعلم عن طريق التلقين أو تراكم الخبرات، أو الاستجابات العصبية للمنبهات الخارجية. بالنسبة إلى لوك John Locke، تبنى التجربة من خلال الاتصال الذي نجريه بين أحاسيسنا الداخلية وأحاسيسنا الخارجية، وينتقل الفرد بعقلانية من تكوين الأحاسيس أو المعلومات الشخصية، إلى بناء المعرفة بالعالم، أما بالنسبة للتجربة، فإن الاستمرارية واضحة بين الإحساس والمعرفة. بالنسبة إلى دافيد هيوم David Hume، الفضيلة هي شكل معيّن من الخبرة:

إذ تجمع بين تجربة ملموسة واكتشاف نوع معين من الرضى داخل المرء (Meunier, William Bateson Peraya, De Boeck, 2004).

ولا يتعامل وليم باتسون William Bateson حقًا مع الانتقال من التجربة إلى التفكير، ومن المعلومات إلى التعلم، لكنّه يميّز بين استقبال المعلومات، وهو المستوى الأول فقط من التعلم، والثاني هو تعلم تلقّي الإشارات. بمعنى آخر، كيف نضع التماسك والمعنى في تسلسل التفاعلات؟ ليس السؤال هو تصور العالم بشكل عام، ولكن تصور الآخرين، فإذا نظرنا إلى الأسئلة الفلسفية المرتبطة بالمعرفة، يمكننا أن نقول إن السؤال حول معرفة العالم، يتم تجاوزه بسؤال آخر حول معرفة الآخر، وسؤال ثالث: كيف يتم ايصال معارفنا إلى الآخرين؟ كيف يتم إدراك الألوان والأصوات، وتفسير الإيماءات والمشاعر الموروثة (Jean Lecomte, 2012).

في علوم الإعلام والاتصال لا يمكننا أن نبحث في العلاقة مع العالم، دون أن نقول على الفور أنها تحدث في عالم يفرض علينا أن نرى ما يجب رؤيته، ويقترح المعنى، وترتيب الأولويات. في موضوع العلاقة بين الاتصال والفكر أو الذكاء، المسألة الأساسية هي كيفية قيام الفرد ببناء تمثيلات من التجربة، لأن التجربة هي المجال الموضوعي، وهو مجال يمكننا أن نبني عليه الحقيقة، في حين أن الآراء تخضع دائمًا للتنبه والحذر.

من خلال الأخذ في الاعتبار التعريف للفكر المبني على الجمع بين العقلانية والعاطفة والحساسية، يمكننا أن نتعامل بشكل أفضل مع خصوصية نهج علوم الإعلام والاتصال التي تصف الأنشطة العقلية المنطقية، بناء على المقارنة بين الدماغ والوسيلة. لقد قام إدغار موران Edgar Morin بعد فون نيومانVon Neumann بالبحث في هذه المقارنة من خلال الإشارة بوضوح إلى الفلسفة. بالنسبة له، إذا كان البشر«آلات مفرطة الحجم»، من الممكن مقارنتهم بأجهزة معقدة مثل أجهزة الكمبيوتر: هم يعالجون المعلومات من بيئتهم، وعمليات التفكير الأساسية لديهم هي أيضًا الفصل والجمع، وهو ما يتوافق مع العمليات الأساسية لعلوم الكمبيوتر والمعلومات (Morin, Edgar, 2014).

لقد أظهر متخصصو المنطق الرمزي أن المعرفة هي حساب حي، لكن القياس لا يستبعد أصالة الحياة. ويعمل العقل بالعمليات الأولى التي يمكن إجراؤها بواسطة الكمبيوتر(عمليات الحساب)، ولكن كل عملية لها مراسلاتها في عملية «التقيّد» التي تختص بالإنسان (Regis Debray, 2001).

رابعا: الفلسفة واللغة والمعنى

1- اللغة والمعنى:

قام كانت Emanuel Kant بإنشاء جدول من فئات التفكير التي نطبقها على ما يحيط بنا. هذه الفئات هي المفاهيم التي يتم تضمينها بشكل مسبق في الفهم، والتي تستحق اسم «الفهم الخالص» (Philippe Breton, 2000). لكن بالنسبة إلى كانت Kant فإن هذه الفئات لا تتعلق بالتفكير وحده. وليس منطق العقل هو منطق الحرية، أومنطق الأمل هو منطق التفكير: ألا تخبرنا التجارب بأن الأمل يمكن أن يكون في بعض الأحيان قوة تنبؤية لإثبات المعرفة؟ لذلك يحاول إدغار موران Edgar Morin مطابقة العمل السابق في التفكير مع تعريف الإنسان بأنه «آلة لمعالجة المعلومات» (Edgar Morin, 1977).

في علوم الإعلام والاتصال، اللغة موجودة بطرق مختلفة. إنها في الإلهام البنيوي لعلماء السلوك. تتحد الإيماءات لتشكيل مواقف، بينما تجتمع الأصوات لتشكيل جمل. وهذا يبرر شروط قواعد الإيماءات، وحساب السلوك، وبرنامج دمج الوحدات الهيكلية. ذلك لأن علوم الإعلام والاتصال تقترض كثيراً من الواقعية، فاللغة ليست نظامًا مغلقًا. يؤكد ماك لوهان Marshall McLuhan على أن الكلام ليس أهم من التفكير، وأننا يمكن أن نكون حاضرين لبعضنا البعض في صمت. لماذا، وفقا لماك لوهان، لا نحتاج إلى كلمات؟ لأننا ننتقل من مرحلة التفكير إلى مرحلة التعاطف، التي ستكون فيها الكلمات أقل فائدة. وتميل حضارتنا وثقافتنا إلى تفتيت كل شيء، لأن لغتنا هي تحليلية. نحن نفصل بين الشكل والمحتوى، ونخلق بلا وعي مسافة بيننا وبين الأشياء.

ومع ذلك، فنحن نعيش في عالم يتم التوجه فيه للوصول إلى العالم، حيث تصبح الصورة ملكة، والوصول إلى المعنى يصبح عالميًا، ويفقد التقسيم الخطي للجملة معناها. إن التعطش للكمال والتعاطف والتفاهم العميق الذي يميز عصرنا هو استمرار طبيعي للتكنولوجيا الكهربائية. فهل يجب أن نأسف لذلك؟ يرى بيير ليفي Pierre Lévy أن القوة التحليلية تسير جنبًا إلى جنب مع فهم أقل بين الأفراد، وهي أكثر حساسية لما يفصلهم (Pierre Lévy, 2012) .

في عصر الصناعة الميكانيكية التي سبقتنا، كان الأسلوب الطبيعي للتعبير هو التأكيد الشديد على وجهات النظر الشخصية. في المقابل، إن التكنولوجيا الكهربائية شاملة ولا مركزية لها، ونتعلم بواسطتها أن نبني طريقة أخرى لرؤية العالم، وكل هذا يعني أنه من المنطقي أن نحتاج إلى لغة أقل، لأن المعرفة لم تعد

تحليلًا، بل أصبحت مشاركة. بالنسبة إلى مرلو بونتي Merleau-Ponty، على العكس من ذلك، اللغة ضرورية من خلال قيمتها التأسيسية، ومع ذلك، يتم بناء التمثيل دائما. فليس لدينا فكرة تسعى إلى أن تترجم إلى كلمات، ولكن الفكر يتطور مع الكلمات وتعديلاتها، وشرح شيء ما هو البحث عن الكلمات. إن عدم الكلام، حتى في صمت خطابنا الداخلي، هو البقاء في حيرة من الفكر: الكلمة في اللغة لا تترجم الفكر الذي تم بالفعل، ولكنها تنجزه . هل يجب علينا إذن التفكير في وجود معارضة مباشرة بين ماك لوهان وميرلو بونتي فيما يتعلق بتعريف العلاقة بين اللغة والفكر؟ هذا غير مؤكد.

يهتم Mac Luhan بشكل أساسي بالقوة الوسيطة للغة، قوة قبل كل دلالات: إذا كانت اللغة بالنسبة لنا هي ميراث، فليس فقط لأننا تعلمنا التمثيلات، بل لأنها مرتبطة بطريقة تحديد ما يحيط بنا. إذا فكرنا بطريقة معينة، فذلك بسبب الجزء اللاواعي للغة، الذي يصمم حدسنا تجاه العالم. وهذا ليس بعيدًا عن Merleau-Ponty، الذي يتمثل الشيء الأساسي في التفاعل بين قوتنا في الإدراك وبناء المعنى. يقول إن الخطاب يبرز «الطبيعة الغامضة» لجسمنا، فجسمنا يخلق المعنى من خلال الكلمات والمواقف. وهذه بدورها، لديها قوة التجلي، فيصبح السلوك تعبيرا عن تجربة داخلية، تشكل أسلوبنا في مواجهة العالم. ويمكننا أن نقول أن الجسم يصبح تدريجيا الفكر أو النية التي تعنيه، واللغات المختلفة، هي طرق عديدة لجسم الإنسان للاحتفال بالعالم وأخيراً للعيش فيه (Maurice Merleau-Ponty, 1945).

2- المعرفة والبعد الديني والمعنى:

لا توجد معرفة دون موقف سابق من الانفتاح على الآخر، الأمر الذي يتطلب تعريف الوحدة الشخصية. المعرفة ليست مجرد تراكم للمعلومات، وعند قراءة الكتب حول التواصل، لا يمكن للمرء إلا أن يدهش من أهمية البعد الديني. لقد لعب الله تقليديا دور الحراسة ضد القدرة الكلية للفكر: بما أنه غير معروف، فكل معرفة نسبية. هنا قد يصبح الخطاب حول التواصل وتمثيل التكنولوجيا أيديولوجيا أكثر منه علميًا، لأن البعد الديني المكبوت سيعود بلا وعي. بالطبع، يمكننا أن نستشهد بتحليلات بروتون Breton أو سفيز Sfez التي تقدم مفهوم الشهرة، «على أنها التواصل دون مشاركة، في مجتمع ينظر إلى نفسه على أنه إلهي». (Lucien Sfez,1992, p. 160) ربما الأكثر إثارة للدهشة خطاب هابرماس، الذي يحدد مكونات العلاقة وفقًا لفئات قريبة من تلك الموجودة لدى أكيناس Thomas Aquinas، مع اختلاف أساسي واحد بالنسبة لهابرماس، وهو

ضرورة تحويل العلاقة التي اخترعت في الحب إلى مبادئ عقلانية للسلوك.(مي العبدالله، 2010)

في هذا الاطار يلتقي مجموعة من الأساتذة في العالم العربي حول القيمة الدينية، كمنطلق وكمرجعية ومركز رؤية في دراسة الظاهرة الإعلامية ماضيا وحاضرا، «مشكلين بذلك مدرسة جديدة في علوم الإعلام تسعى إلى تطوير نظرية الحتمية القيمية البديل الحضاري للمجتمع الذي ننتمي إليه».(مركز أضواء الاستشاري للدراسات والبحوث، 2013)

ويرى المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي أن نظريته «الحتمية القيمية في الإعلام» ستصبح من النظريات المعيارية الأساسية، معتبرا «مركزية المسألة الأخلاقية» سر تطور أي مجتمع أو حضارة. ويمكن برأيه فهم «التفكك» وتعطل الفعل الاجتماعي «الفعال» (من الفاعلية بتعبير مالك بن نبي)، في المجتمعات الانتقالية وأزمات المجتمع المعاصر، بعامل اهتزاز القيمة أو إبعادها واستبعادها من التفكير والمداولة العقلية والسلوك، أو التخلي عنها جزئيا أو كليا. وعليه، حسب عبد الرحمان عزي كلما ازداد الوضع الإعلامي بعدا عن المرجعية القيمية والأخلاقية برزت الحاجة إلى الحتمية القيمية من جديد. وقد ارتكز عبد الرحمان عزي بنظريته «الحتمية القيمية في الإعلام» على القرآن الكريم والحديث، أي النص القرآني والنبوي، ونصوص التجديد في التراث: الغزالي وابن القيم الجوزية وابن خلدون الذي يمثل خلفية اجتماعية للنظرية ،ومالك بن نبي كخلفية حضارية. أما الخلفية الغربية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام فتتمثل في أدوات النظريات الفكرية والاجتماعية الغربية المعروفة بتسمية الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين خاصة : الظاهراتية، التفاعلية الرمزية، البنيوية والتأويلية النقدية (عبد الرحمان عزي، 2013).

في ضوء كل ما ذهبت إليه علوم الإعلام والاتصال بالفعل في هذا المجال، يمكننا أن نستنتج أن هذا المجال العلمي قد وصل إلى مرحلة النضج. فكما هو الحال في العلوم الإنسانية أخرى، هناك وحدة علمية ورأي مشترك، لكن النقاشات كثيرة حول امتداد هذا الحقل، كما يمكن ملاحظة اتفاق على المفاهيم العامة مع اختلافات كبيرة في التفاصيل. وهناك إجماع على قواعد التحقق من صحة النتائج، لكن الخيارات متعددة بالنسبة للطرق البحثية. لكل ذلك، وانطلاقا من أن التواصل علم وليس أيديولوجيا، يتعين على أنصار اللقاء بين التواصل والإدراك أن يحددوا مجالهم (Brian H. Spitzberg, 2014).

قد يحقق النهج الفلسفي توازنا بين النهج الأكاديمي المعتاد الذي يعتمد على التطويل والاقتباسات المنفصلة عن الواقعية، والفلسفة البراغماتية التي تعتمد

التبسيط والأدلة والنسبية، وغياب الصرامة والتعميم والتحيز لفكرة محددة. والنهج الفلسفي المقترح هنا هو جدلي، بمعنى أنه يقترح نوعًا من الحوار المعمّق بين مفكّري الأمس ومفكّري اليوم، وله بعد أخلاقي إذ يهدف إلى توسيع مجالات فهم العالم. وتعتبر الفلسفة هنا بمثابة عمليّة تحليل لمعنى الأشياء أو قيمها، أو الأيديولوجيا أو المعتقدات التي تقوم عليها. فالفلسفة تدور حول استجواب وتعميق المفاهيم والمشاكل، ومناقشتها بشكل عام.

تثير فلسفة التواصل مسألة المعنى: ما هو معنى التواصل؟ ما هو التواصل التربوي، والتواصل السياسي، والتواصل الإعلامي، والتواصل كلغة؟ أسئلة تسعى لتوضيح المفاهيم الفلسفية الخاصة بمخاطر الإعلام والاتصال، إذ تدرك البراغماتية أن بعض الأشياء لا يمكن إظهارها دون اللجوء إلى الخبرة البشرية (الاستخدامات، الإدراك، المعتقدات) (Roland Stewart Burt, 2009) .

تقوم المعرفة على منظور معين، ووجهات نظر معينة تشكل الطريقة التي يتم بها تصور الواقع: نحن نرى الأشياء وفقًا للمكان الذي ننظر منه، وهذا هو استعارة النظارات التي لها تأثير على التصورات. فالحقيقة معقدة، ويمكن التعامل معها بطرق مختلفة. وهكذا، تتواصل المعرفة من خلال الافتراضات والنماذج والأحكام المسبقة، التي يمكن أن تكون عقبة أمام إثراء المعرفةPhilippe (Bouquillion, 2011). والافتراض التعددي هو القول إن هناك أنواعًا مختلفة من الحقائق التي يجب مراعاتها لفهم العالم. وللحصول على تصور أكثر اكتمالا للواقع، لإثراء المعرفة، من الضروري اعتماد عدة وجهات نظر، والجمع بين النهج والمسلمات. إنه البديل للنسبية: بدلاً من قول «هناك عدة وجهات نظر، لذلك لا يمكننا أن نقرر»، نقول: «هناك عدة وجهات نظر، بعضها أكثر أهمية أو أكثر احتمالًا من غيرها». و بالنسبة للبنائيين، المعرفة لا يمكن فصلها عن المراقب، وهي ليست محتوى يأتي لملء حاوية فارغة (Gaston Bachelard, 1999).

3- المعرفة العلمية والتكنلوجيا:

في زمن ما بعد الحداثة، يتميز العقل البشري بمدى المعرفة العلمية ويتم بناؤه اجتماعيًا. بالنسبة لأومبرتو إيكو Umberto Eco، المعنى هو نتيجة بناء مشترك بين المرسلسين ونواياهم والمتلقين وتفسيراتهم، واستدلالاتهم. وبالتالي فإن مسألة التعميم هي في التقاطع بين نظرية المعرفة والأخلاقيات الإنسانية. وكل فعل لغوي له قوة خادعة، ولذلك يمكن أيضًا خلق التوازن بين مفاهيم الملاءمة والاتساق والإجماع، ومفاهيم الدلالات النحوية والبراغماتية. من هنا يقترح بيرس Charles Sanders Peirce نموذجًا ثلاثيًا: التمثيل (الشكل المادي) والكائن

(موضوع الفكر)، والمترجم (التمثيل العقلي للرابط بين المادة والفكر)، وهو بذلك يعيد تقديم النشاط المعرفي للأفراد إلى إطارعملية التمثيل والتواصل وتفسير العالم(Lucien Sfez,1992).

بالنسبة لبيير ليفي Pierre Lévy، تستدعي التقنيات الحديثة وجود أنظمة دلالات جديدة. فالفكر ليس هو نفسه في الثقافة الشفهية والكتابية وفي الوسائط المتعددة والشبكات، وهذه الوسائط ليست مجرد ابتكارات تقنية أو اجتماعية. عرف التاريخ العديد من الابتكارات التكنولوجية، كالكتابة والأبجدية ونظام ترقيم الأرقام واللغات العلمية والرياضيات وما إلى ذلك، التي استطاعت أن تبني تمثيلاتنا التي تدور حول حواسنا، وكذلك حول تكنولوجيا الذكاء الخاصة بنا. إنها مسألة القول إن تمثيل العالم، حتى لو تم بناؤه، ليس بالضرورة من نظام خيالي، بل هو مرتبط بالواقع الذي نعيشه. إن كلماتنا ورموزنا ووسائل إعلامنا لا تنتج فقط الصور الافتراضية المنفصلة عن العالم، بل إن تفاعلنا مع العالم، حتى الفوري، يتضمن نظامًا للإدراك، وبناء لتجربتنا فيه (Pierre Lévy, 2012).

ومن الاسئلة المهمة التي يطرحها الباحثون، سؤال هل هناك معرفة واحدة؟ وهذا ما يطرح مسألة الوعي والدوغماتية. لذلك تأخذ الممارسات البحثية مسافة في مواجهة العقائد أيضًا، وتؤدي البراغماتية إلى مقاربة تقلل من شأن المعتقدات المختلفة وفقًا للسياقات، وتؤدي للربط بين المعرفة والحرية: أي بين المنفعة، وخصوبة المعرفة من حيث العمل البشري، والالتزام بالإيمان الدقيق (Gaston Bachelard,1999).

من جهة ثانية، يتحدث سارترJean Paul Sartre عن الاحتمالية للعمل الإنساني، وبالنسبة له، تصرفات الإنسان مشروطة، وهذا يعني أنها غير محددة تمامًا، وأن الكائن البشري غير واضح في تصرفاته. إلا أن إدراك وجود اللاوعي لا يمنع الناس من القيام باختيارات واعية، لكنه يدل على أن الإنسان ليس دائمًا سيد نفسه. (Jean Paul Sartre, 1946) ويمكن أن يمثل التفكير النظامي الراديكالي نوعًا من الحتمية الاجتماعية، فإذا كانت جميع السلوكيات وعواقبها تعتمد على النظام والسياق، فإن الأفراد ليسوا أحرارًا.

وفي الواقع، هل هناك من قواعد عالمية، وهل من قيم غير قابلة للتغيير؟ وماذا عن التحول الديمقراطي والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، وما هي الممارسات الصحيحة لوسائل الإعلام والاتصال؟

تشير حقوق الإنسان ضمنًا إلى وجود قيم عالمية، وقاعدة من القوانين الأخلاقية الغير قابلة للتغيير. في هذه الحالة، يتم فرض القانون من الخارج، ولذلك، من الممكن أن نلاحظ وجود تناقض واضح بين وضع المحظورات

أو الالتزامات من الخارج، وتطور الحكم الذاتي. ويتميز الوضع المعياري أو الوصفي بقول ما يجب أن يكون، وما يجب القيام به، والأسئلة التي تصاغ هي مسائل الأخلاق المعيارية، الإلزامية. إنه الفرق بين الوجود والحاجة، فالزلاّت يمكن ملاحظتها بانتظام بين مراقبة ما هو، وما ينبغي أن يكون. وفيما يتعلّق بالتعايش المتناغم بين الأفكار والمعتقدات، من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن هذا السؤال يمس الأخلاق. من الأسئلة الفلسفية الأخرى، كيف نتحدث عن وسائل الإعلام والاتصال؟ هل الموضوعيّة ممكنة، وهل يمكن اكتساب التفكير النقدي؟ (Paul Ricoeur, 1997).

الفصل الثاني:
المقاربات النظرية الحديثة في فلسفة الاتصال

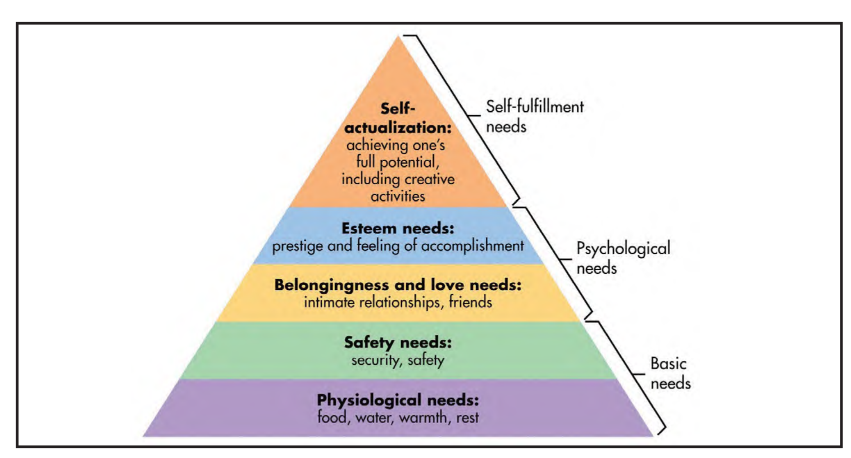
أولا: تطور المقاربات النظرية للتواصل الاجتماعي

1- مقاربة الاستخدامات والاشباعات:

الفكر في تطور دائم وكل زمن ينتج نظرياته العلمية. نعطي مثالا لذلك تطور مقاربة الاستخدامات والاشباعات التي واكبت مختلف مراحل الإعلام والاتصال منذ بدايات أربعينيات القرن الماضي. لقد بدأ الباحثون بدراسة وتحليل أنماط السلوك في الاتصال من منظور نظرية الاستخدامات والإشباع تطبيقا على مستمعي الراديو، وكان البحث المبكر خلال هذه الفترة الزمنية، معنيًا بمواضيع مثل استخدام الأطفال للرسوم الهزلية، وبالتفسيرات والتحليلات النفسية.

في عام 1948، كان لاسويل Harold Laswell قد عرَّف بالوظائف الأربع لوسائل الإعلام على مستوى علم الاجتماع الكلي، وهي: المراقبة، والربط، والترفيه والنقل الثقافي بين الجماعات والأفراد.

ووفقًا لوست وتورنر West and Turner، كانت نظرية الاستخدامات والاشباعات UGT إمتدادًا لنظرية الاحتياجات والدوافع، كما أوضحها أبراهام ماسلو Abraham Maslow في عام 1954، والتي ترتكز على فكرة أن الناس يتطلّعون بنشاط إلى تلبية احتياجاتهم بناءً على تسلسل هرمي، عرف بهرم ماسلو للاحتياجات (Abraham Maslow, 1954) .



Maslow's Hierarchy of Needs هرم ماسلو للاحتياجات

https://www.unicaf.org/maslows-amazing-hierarchy-of-needs/

في عام 1954 طوّر شرام هو أيضًا كما رأينا سابقًا، صيغةً لتحديد أي شكل من أشكال وسائل الإعلام سيختارها الفرد. وساعدت الصيغة في تحديد مقدار الإشباع الذي يتوقّع الفرد أن يكسبه من الوسيط، حول مقدار الجهد الذي يتعين عليه القيام به لتحقيق الإشباع.

2- إشباعات الاتصال الرقمي:

مع تطوّر وسائل التواصل، تطورت الاستخدامات، فبيّنت الدراسات الحديثة أن الناس يستخدمون الهواتف المحمولة للاشباعات التالية: البحث عن المودة، والترفيه، والاطمئنان النفسي، والتواصل الاجتماعي المباشر. وأصبحت شبكة الانترنت توفر مجالًا جديدًا وعميقًا لاستكشاف الاستخدامات والاشباعاتUGT، وقد حدد الباحثون ثلاث فئات رئيسية من الإشباع:

- في ما يتعلق بالمحتوى: إشباع الحاجة إلى البحث، أو إلى العثور على معلومات أو على مواد محددة.

- في الحياة العملية: إشباعات التنقل الهادف، أو تصفح الإنترنت لأهداف وظيفية.

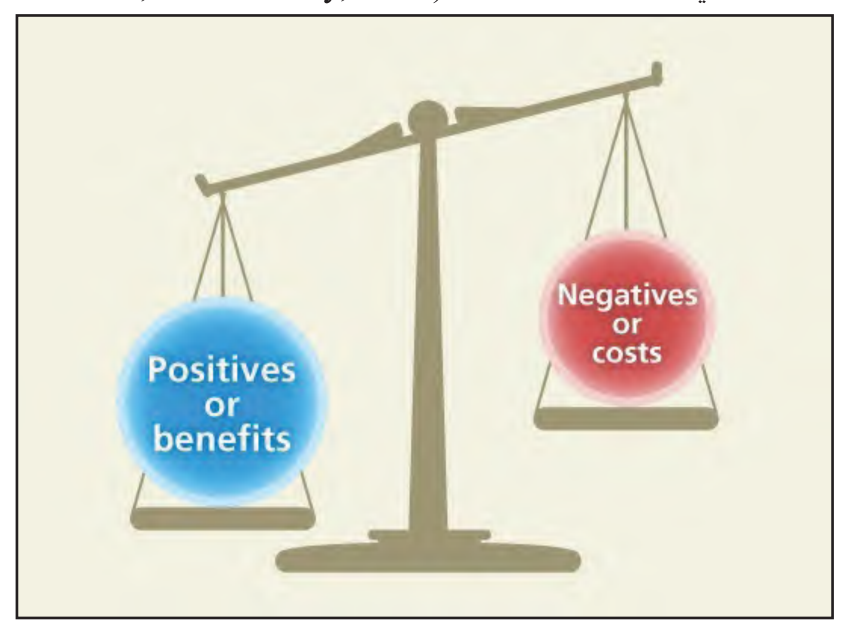
- من الناحية الاجتماعية: تشمل الإشباعات مجموعة واسعة من الدوافع للعلاقات الاجتماعية، كدافع تبادل المودة، والحاجة للتنفيس عن المشاعر السلبية، والتعرف على وسائل الترفيه، والاحتياجات المعرفية. والمنتديات هي الوسائط الرئيسية للتنفيس عن المشاعر السلبية، والفرد منتج ومتلقي لمحتوى الوسائط، مما يعقّد بالفعل قضية التأثير المثيرة للجدل. هذا ما يسميه الباحثون الجدد في الدراسات الإعلامية «المتلقي المعقد». وبالنسبة لهم، تعد المدونات ومواقع ويكي wiki ومقاطع الفيديو والشبكات الاجتماعية، منصات تتيح لأي شخص مشاركة المعلومات، وأن يصل أحيانًا إلى جماهير أكبر من وسائل الإعلام التقليدية. وبالتالي يتم نقل المعلومات بشكل متزايد من قبل الشخصيات المؤثرة، بشكل رئيسي عبر يوتيوب YouTube وتويترTwitter.

هذه هي الطريقة التي تحاول بها العلامات التجارية، بدلاً من المرور عبر الشبكات التقليدية للإعلان، دفع الملايين مقابل صورة بسيطة على حساب Instagram لشخص مؤثر على الويب. ولم تعد وسائل الإعلام تحتكر المعلومات، فقبل الويب كانت هي التي تدير النقاش الوطني، والآن، تبدأ المناقشات على الشبكات، وأحيانًا كثيرة تتكيف وسائل الإعلام التقليدية مع هذه المناقشات. إذن،

نظرًا للتبني السريع للتسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي كوسيلة رئيسية لتكامل وسائل الاتصال، أصبح من الضروري التفكير خصوصا في كيفية تأثير التفاعل الاجتماعي على عملية الاتصال. (مي العبدالله، 2012)

3- نظرية التبادل الاجتماعي:

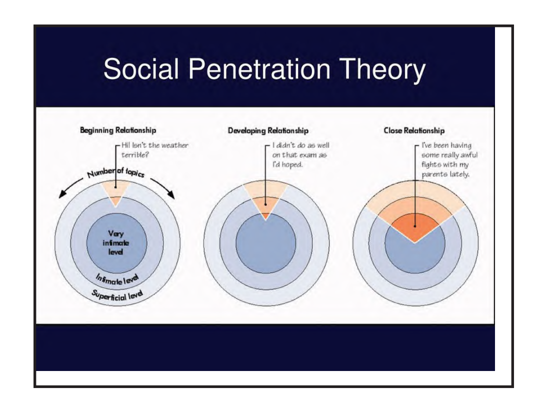
تقول نظرية التبادل الاجتماعي SET Social Exchange Theory، أن الإنسان يختار العلاقات التي يستثمر فيها لأنها مفيدة له بطريقة ما، إذ هناك إعادة نظر مستمرة في التكاليف والمكافآت. (N.Thibaut, & H. Kelley, 1952)



نظرية التبادل الاجتماعي SET 1952

https://aubreyrodgers4551.wordpress.com/2016/03/03/social-exchange/

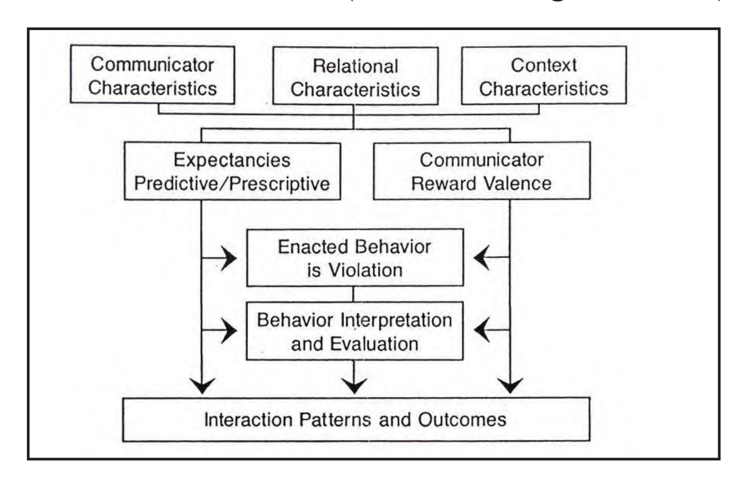
قدّمت نظرية الاختراق الاجتماعي Social Penetration Theory SPT إسمًا للظاهرة الشائعة جدًا المسماة «التعرف على شخص ما». تفترض هذه النظرية أن العلاقات الشخصية تنتقل من مستويات سطحية ضحلة جدًا، إلى مستويات أعمق وأكثر حميمية بمرور الوقت. ويحدث الانتقال بين المستويات، والتعرف على شخص ما بشكل أفضل، مع الكشف عن الذات، وعن نقاط القوة والضعف، أو مشاركة المشاعر الداخلية (I. Altman & A.Taylor, 1973) .



نظرية الاختراق الاجتماعي SPT 1973

https://slideplayer.com/slide/13478657/

حاولت نظرية انتهاك التوقع EVT Expectancy Violation Theory، تفسير رد الفعل البشري على السلوك غير المتوقع. إذ يمكن أن يكون السلوك غير المتوقع إما إيجابيًا، مثل قول «أحبك» لأول مرة، أو سلبيًا، مثل انتقاد الشريك المرتبط (Judee K. Burgoon, 1993).



نظرية إنتهاك التوقع1993 EVT

https://www.researchgate.net/figure/Expectancy-Violations-Theory-Burgoon-1993_fig1_265934721

ثانيا: المقاربة النقدية للاتصال

1- ظهور الدراسات الثقافيّة:

ليس هناك شك في أن الدراسات الثقافية هي من نشأة فكرية غربية، وفي أنها مرتبطة بتجربة اقتصادية وسياسية وثقافية، يتم نقلها حول العالم وتدور حول أجنحة الثقافة الشعبية، أي القوى العسكرية والقوى الاقتصادية، من هوليوود، إلى الروك أند رول، وقنوات التلفزيون. ومن المثير للاهتمام أن هذه الدراسات لم تكن موجودة في الفترة الزمنية من الثلاثينيات إلى الخمسينيات، الفترة التي تأسست فيها السيادة الأمريكية في الواقع، بل قد ظهرت في وقت لاحق مع حرب الفيتنام. في الستينيات وأوائل السبعينيات، بدأت الثقافة الشعبية في أوروبا بقلب طاولات القوة العظمى السيميائية من خلال تصدير موسيقاها الخاصة، في عملية تغيير شهدت التعبير الحقيقي عن الهوية المضطهدة، وسط الذعر والطموح الإبداعي للطبقة العاملة، مع نجوم مثل جون لينون من فريق البيتلز، وغيره. والأكثر إثارة للاهتمام هو أن الموسيقيين بدأوا بالعمل كقيادة فكرية لجيل جديد.

ولدت الدراسات الثقافية إذن من محاولة لفهم التغيير الاجتماعي، وكانت نتيجة محاولة فكرية لإظهار كيفية إثارة التغيير الاجتماعي في بعض المجالات، أثناء مقاومته في مناطق أخرى. وهي مساعدة للفكر الجديد في هذا المجال، وقد اندلعت الحياة في المقام الأول بسبب الحاجة الملحة لفهم التغيير الاجتماعي في وقت كانت فيه نماذج المعرفة القائمة، العلمية والسياسية على حد سواء، في أزمة. وعندما بدأت محرّكات التغيير تهاجر من المجال الاقتصادي والسياسي إلى المجالات الثقافية، بقيت الحاجة ملحة لفهم دور الثقافة في التغيير الاجتماعي في عالم معولم، حيث تتحول القوة الاقتصادية والسياسية الاستراتيجية من الغرب إلى الشرق.

كانت الدراسات الثقافية قوة فكرية مزعجة في الغرب، وقد حمل هذا دروسًا للعالم، أحدها هو أن الابتكارات التخريبية غالبًا ما تثير ردود فعل سلبية للغاية، وتحدث على نطاق واسع، وهذا ما سماه روبرت هيوز Robert Hughes ب «صدمة الجديد» The Shock of the New. وهذا صحيح بالتأكيد بالنسبة للدراسات الثقافية كمشروع فكري، فهي تميل إلى القراءات المفككة للنصوص الواقعية. وقد يبدو من الصعب مقاومة الانزلاق إلى الذاتية حيث الحقيقة تعني كل ما يحبه أي شخص، وقد عملت كل من الدراسات الثقافية ودراسات التعقيد كعوامل لـ «التدمير الخلاق»، حسب عبارة جوزيف شومبيتر Joseph Schumpeter الشهيرة، لنموذج المعرفة الحداثي، في العلوم الطبيعية والاجتماعية على التوالي.

وهذا يشير إلى ضرورة إعادة ترتيب مجال المعرفة ككل، حيث تتعطل العلوم الوضعية الخالية من القيمة والثقافة المحايدة إقتصاديًا على حد سواء. فقد تخلت اللامركزية عن دورها الضامن للحقيقة في المعرفة، وثبت الآن أن عالم الطبيعة، مثل العالم البشري، يخرج النظام من الفوضى من خلال الابداع. فالمستقبل هو مستقبل مفتوح، وليس مستقبلا نيوتونيا يمكن التنبؤ به، بل يتم تحديده فقط من خلال الخيارات الإبداعية والظروف الطارئة في لحظات الانتقال غير المستقرة (Jang-Yung Lee, 1997).

في مثل هذه الظروف الطارئة، في الغرب كما في دول كبرى أخرى كالصين، كان من الاحتياجات الأكثر إلحاحًا معرفة كيفية إدارة الحمل الزائد للمعلومات، والفائض السيميائي، ونتاج ثراء العقل الذي امتد بسرعة، وموارد المعرفة التي كان يتمتع بها فقط المتخصصون الخبراء والنخب الغنية. وقد انتقلت الإنتاجية من المنتجين إلى المستهلكين، ولم تعد خطة العمل الأفضل هي تلك المخصصة للإبداع والاختراع الإبداعي الفريد، بل أصبحت لتقاسم المعلومات والمعرفة وإدارتها. وكان هذا جزءًا من تحول أكثر عمقًا، حيث كان النموذج الحداثي للتمثيل الواقعي يتحول ككل. ولم يكن فائض التمثيل (ما بعد الحداثة) سوى أحد أعراض التحول العام في الإنتاجية (السيميائية والاقتصادية) على طول «سلسلة القيمة للمعنى». (James Hartley, 2008) وتتجلى الإنتاجية في مصدر المعنى المفترض في أي نظام، ويمكن ملاحظة هذا التحول العام عبر العديد من المجالات والعمليات (أنظر الشكل).

ERA: ➡	PREMODERN ➡	MODERN ➡	GLOBAL
Value Chain...			
...of merchandise ...of meaning	origination/ production author/producer	commodity/ distribution text/performance	consumption/use reader/audience
When, where, who (time, place, population)			
When Where Who (population) Who (intermediary)	medieval church the faithful priest	modern public sphere the public publisher	postmodern private life DIY citizen marcom/IMC
How (regime)			

Theorist Subjectivity Power-base Soveriegn Arms-bearer Enemy State	Bible soul pain of death/ hell monarch/divinity knight/crusader peer/heretic ‘Hobbesian’	Marx individual(ism) war nation state conscript/ volunteer country ‘Machiavellian’	Foucault experience administration of life (“market”) self terrorist civilian ‘Kantian’
Why (knowledge)			
Philosophy Epistemology Educational Reach	revelation theology elite	scarcity empiricism mass	plenty plebiscite universal
What (form)			
Interpretive form Creative form	exegesis ritual/liturgy	criticism realism (journalism, novel)	redaction reality
What for (communicative politics)			
Mode of literacy Mode of address	hear only convert	read only convince (campaign)	read and write converse
Who says (choice control)			
Source of control Source of choices	‘Him’ - divine control no choices	‘Them’ - expert control publisher/provider	‘Me’ - self control navigator/ aggregator
	= Fundamentalism	= Modernism	=Globalization

The value chain of meanings سلسلة القيمة للمعنى

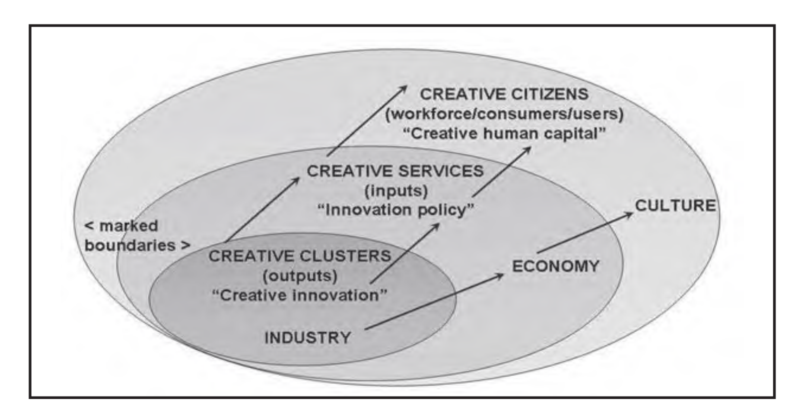
(Reproduced from Hartley 2008, p. 28)

2-تحليل الصناعات الإبداعية:

أصبح المستهلكون منتجين بأنفسهم، وقد ارتبط هذا التوسع في الإنتاجية إرتباطًا وثيقًا بنمو الشبكات الاجتماعية Web 2.0 وتطبيقات الأعمال اليدوية، على الرغم من أنه يمكن ملاحظة التحول من نظام الخبراء المغلق إلى شبكة الابتكار المفتوحة بشكل عام. ونتيجة لذلك، تطور التفكير في السنوات الأخيرة في مجال «الصناعات الإبداعية» الجديد. والقضايا التي أثيرت في محاولة تحديد وشرح الصناعات الإبداعية هي ذات أهمية للدراسات الثقافية، لأن الصناعات الإبداعية تقع

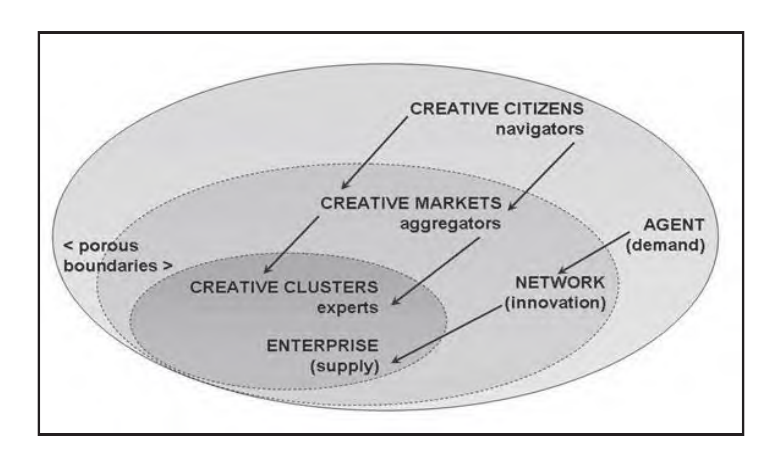
في نفس المكان الذي تظهر فيه قيم جديدة، إقتصادية وثقافية، ومعرفة جديدة، وأشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية.

ويمكن القول أيضًا إن «الصناعات الإبداعية» هي الشكل التجريبي الذي اتخذه الابتكار في الاقتصادات المتقدمة القائمة على المعرفة، وفي هذه الحالة تتجاوز أهميتها قطاع الاقتصاد. وهذا من شأنه أن يضع الابتكار الإبداعي على قدم المساواة مع «التقنيات الاجتماعية التمكينية» الأخرى مثل القانون والعلوم والأسواق، حيث ينظر إلى وسائل الاتصال، تحت ستار «الصناعات الثقافية»، على أنها التكنولوجيا الاجتماعية للتحكم الأيديولوجي في العصر الصناعي الحديث. ويمكن اعتبار أن «الصناعات الإبداعية» هي التكنولوجيا الاجتماعية للابتكار الموزع في عصر النظم المعقدة القائمة على المعرفة. (Hartley, 2008)(أنظر رسم نموذج الصناعات الابداعية 1و2).



رسم نموذج الصناعات الإبداعية (1)

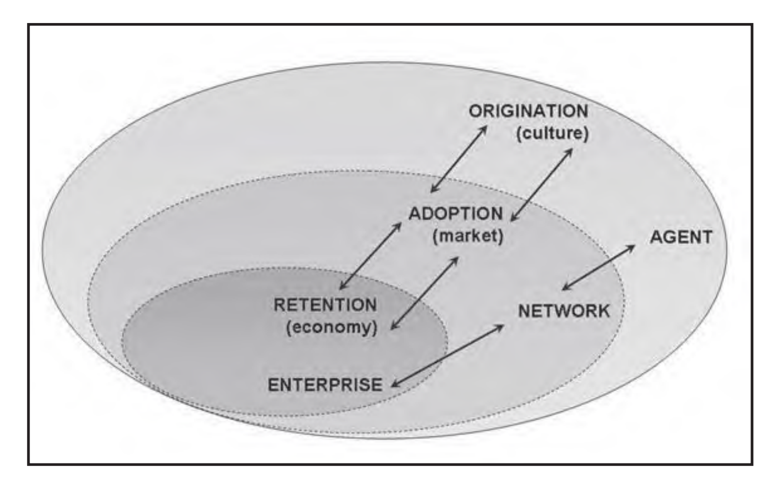
بدلاً من نموذج العصر الصناعي أو الحديث، أصبح من الممكن اقتراح نموذج تطوري للاقتصاد، يمثل ثقافة إبداعية من حيث نمو المعرفة بين جميع السكان، وليس فقط بين خبراء الصناعة أو الخبراء الفنيين. وبدلاً من كونها أهدافًا للتسلسل السببي، يصبح المستهلكون والمستخدمون والمواطنون موضوعه (Hartley, 2008).



رسم لنموذج الصناعات الإبداعية المتطور(2)

يدفع هذا النموذج نحو المستقبل وليس الماضي. إنه نموذج «ناشئ» للابتكار.

هنا قد يبدو الإبداع كجزء من «رأس المال البشري». (رسم 3)



رسم لنموذج الصناعات الإبداعية المتطور(3)

يسمح لنا تطور الصناعات الإبداعية بتحقيق تقدم مفاهيمي كبير يأخذ بجدية ديناميكيات التغيير والابتكار في الأنظمة المعقدة، وإمكانية تفسير السلوك الاقتصادي والثقافي باستخدام نظرية اللعب ونظرية التعقيد. والهدف هو فهم نشأة المعرفة وتبنيها والاحتفاظ بها، وليس مجرد نقد أنشطة الشركات. في الواقع، كان مصطلح «الصناعة» بحد ذاته جزءًا من المشكلة، فالأفضل هو مصطلح

«السوق»، تحديدًا «أسواق الشبكات الاجتماعية»، لأنه يحول التسلسل السببي من ديناميكية مدفوعة بالعرض إلى ديناميكية مدفوعة بالطلب (A.W. Boots et al., 2008).

لقد كان القرن العشرون القرن الأمريكي بامتياز، إذ غيرت الولايات المتحدة العالم وطورت كل التقنيات الجديدة الرئيسية، كالهواتف، والسيارات، والتلفاز، والطائرات النفاثة، والإنترنت، إلخ. ونفترض أننا ما زلنا نعيش في عصر الهيمنة الأمريكية، على الرغم من أنه من الواضح بالفعل أن الصين هي قوة عظمى ناشئة. وبالنسبة للمحللين المهتمين بالتغيير الاجتماعي، فإن «الصناعات الإبداعية» هي أساس المستقبل، والإتجاهات الحالية في دراسة المواجهات المستمرة بين الثقافة والاقتصاد والسياسة لا تركز كثيرًا على النضال أو تحديد موضع الموضوع أو البنية، مثل التركيز على التغيير وعدم التوازن والنمو. ويبدو للكثيرين أن الفترة الحالية هي فترة عدم تحديد بين قرنين مستقرين نسبيًا، القرن الأمريكي الحالي والآخر الصين (Oded Shenkar, 2004).

3- التفكير العقلاني:

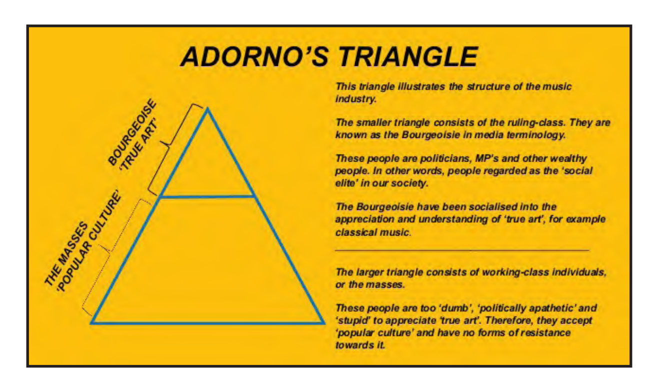
تشير النظريات النقدية إلى كون الإنسان يفقد قدرته على التفكير بعقلانية حين يخضع لضغوط إنسانية أو عاطفية قوية، إذ يمكنه حينها ببساطة أن يقبل بكمية كبيرة من الكذب والمبالغات دون أن يبدي أي مقاومة. يستعمل هذا النوع من الخداع في الدعاية السياسية، واستخدمته الولايات المتحدة عام 2001 في تبرير غزوها لأفغانستان ثم العراق تحت ما يسمى بالحرب على الإرهاب، عبر تمرير معلومات ثبت فيما بعد عدم دقتها حول مدى نفوذ وتغلغل تنظيم القاعدة، وعن امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، وتورطت في نقل هذه المعلومات وسائل إعلام مرموقة أبرزها صحيفة نيويورك تايمز. وقد يتم الخداع عن طريق الهجوم على الشخصيات الرموز بضراوة وحدة، وهذا الأمر يمكن أن يأخذ كثيرًا من الوقت، من أجل هدم فكرة أيديولوجية معينة، والأمر الأسهل دائمًا هو التركيز على الأشخاص عبر مهاجمتهم شخصيا بقصف متواصل لا يترك أي فرصة لمناقشة الأفكار أو البرامج أو الإنجازات (مي العبدالله، 2015) .

ومن بين العديد من النظريات النقدية لوسائل الإعلام والاتصال التي ظهرت في القرن الماضي، تحتل النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت بلا شك مكانًا خاصًا، من خلال مفاهيم «فقدان الهالة»، و«البعد» وخاصة «الصناعة الثقافية». كانت هذه النظرية واسعة الانتشار، في فرنسا على وجه الخصوص، حيث يرجع الفضل في ذلك جزئياً إلى إدغار مورين ودراساته للاتصال الجماهيري. (Edgar Morin, 1986) أما بالنسبة لأنصار النهج المسمى بـالبراغماتية لنقد

وسائل الإعلام، فقد ساهم بعض الباحثين في وضع «النقد دون سبب» كبورديو Bourdieu وأنصاره في الحقبة نفسها .(Pierre Bourdieu, 1999).

ما يُنتقد في الغالب لهذه النظرية النقدية للإعلام هو طابعها الثبوتي، بعيدًا عن البحث التجريبي والتحقيق في الممارسات الثقافية والإعلامية. وفقًا لهذا النقد نفسه، فإن النموذج الفلسفي فقط هو الذي سيمكّن من تطوير النقد لوسائل الإعلام دون تثبيت ظروف استقبال السلع الثقافية والإعلامية التي تنتجها الصناعات الثقافية، مع إجراء تحليل جاد لمحتويات هذه الأخيرة.

لم يتم الكشف عن هذا النموذج في دقته إلا عند إعادة إدراجه في المشروع الشامل لنظرية المجتمع التي طورتها النظرية النقدية. من قراءة الفصل الشهير من ديالكتيك العقل لأدورنو وهورخهايمرAdorno & Horkheimer، يستوقفنا أن تقييم السوق لم يعد مقتصراً على تبادل القوى العاملة داخل المجال الاقتصادي، كما في أيام ماركس، بل يمتد الآن إلى مجالات «الثقافة» كافة (الفن، وسائل الإعلام، المعرفة). ولا يخلو تقييم السوق من عواقب على محتوى السلع الثقافية: إن صفاتها الداخلية هي التي تتدهور وتصبح أكثر فقراً بمجرد أن تصبح متجانسة وموحدة لتصبح منتجات مثل المنتجات الأخرى في السوق الرأسمالية، من أفلام وبرامج إذاعية وتلفزيونية، وموسيقى. (أنظر رسم نظرية أدورنو في الثقافة الشعبية) (Theordor Adorno & Max Horkheimer, 1974).



هرم أدورنو الثقافي (1974)

https://www.slideshare.net/laralawal/adornos-theory-of-pop-culture

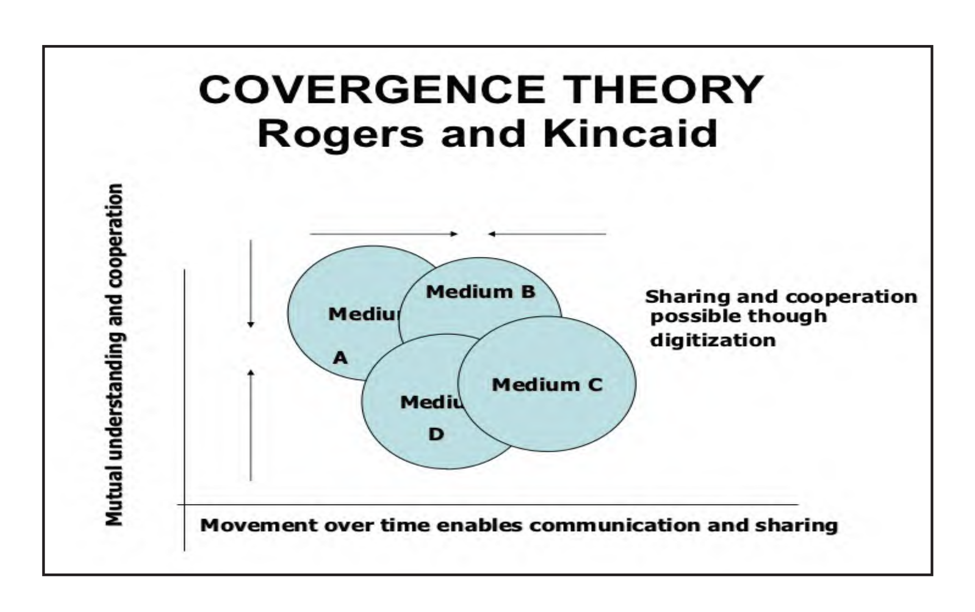
ثالثا: نموذج تحليل ثقافة الشبكة

1-التحرير العقلاني:

من هنا، يرتبط المشروع الحديث للثقافة، منذ عصر التنوير، بمبدأ التحرر العقلاني. ومن أحد فتوحات المجتمع الحديث، بعد العصور الوسطى، السماح بتمكين الثقافة والفن بقوى الدين والسلطة السياسية. ومع الممارسات الفنية، وأساليب التعليم، والمنتجات الثقافية المتحررة من الوصاية السابقة، يصبح المجال الثقافي بأكمله مناسبا للتعبير عن التحرر. و قد رأى الباحثون أن تطور التبادل التجاري في مجال الثقافة والإعلام هو استجواب، إن لم يكن تدميرًا منهجيًا، للعملية التاريخية للتحرر عن طريق العقل والثقافة الحديثة. فالثقافة الحديثة، التي تحمل في حد ذاتها وعدًا بالتحرر والحرية خارج نطاق تثمين الرأسمالية، تجعل جميع العلاقات الفعالة قاعدة للعمليات التجارية والصناعية. وإحدى الملاحظات الرئيسية التي أبداها سكان فرانكفورت هي أن تجربة تلقي محتوى الوسائط لا يمكن فحصها في حد ذاتها، ويجب ربطها بعمليات تدريب الأفراد. (مي العبدالله، 2009).

مع ذلك، ووفقًا للبيان الذي أدلى به أعضاء مدرسة فرانكفورت في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، في أعقاب دراسة استقصائية كبيرة مكرسة للتغيرات في الأسرة وتشكيل الشخصية، أصبحت المواد الإعلامية الحديثة أكثر قدرة على تطوير الاستقلال الذاتي للفرد. بناء على التحليل النفسي، يتبين لمدرسة فرانكفورت أن الإعلام يشارك في عملية التنشئة الاجتماعية والبناء الذاتي بحيث أنه يحرم الأفراد من كل إمكانية مواجهة للسلطات المباشرة، ويدفعهم للخضوع لحالات السلطة التابعة (الأحزاب السياسية، المؤسسات، الدولة، القادة السياسيون والدينيون، إلخ). (Theodor Adorno, 2003) .

ولا بد من ذكر نموذج روجرز وكينيكيد Rogers & Kinkaid الذي يفسر التلاقي بين الإعلام والمجتمع في إطار العملية الدائرية التي يقوم بها الاتصال، على أساس أن الإعلام يحرك الأفراد نحو القواسم المشتركة بينهم.



نموذج روجرز وكنكيد 1981

https://slideplayer.com/slide/11285797/

لقد أصبحت الدراسات النقدية مع تطورها، طريقة لفهم نشأة وتكوّن القيم الثقافية، خصوصا في أوقات النمو الاقتصادي والديمقراطي. وقد تميّز القرن العشرون باضطراب اجتماعي وأيديولوجي غير مسبوق، مع ظهور الإمبريالية، والحرب الشاملة، والحرب الباردة، كجانب مظلم للحداثة العلمية العلمانية التقدمية. (Giovanni Arrighi, 1994)

خلال القرن الماضي، تحولت القيادة الاقتصادية والسياسية العالمية من الهيمنة الأوروبية والإمبريالية البريطانية للتجارة الحرة، إلى الرأسمالية الأمريكية لإدارة المشاريع. وتميزت نهاية القرن «الطويل» بمزيد من التغيير، الذي تم التعبير عنه بمصطلح «العولمة». وخضعت العلوم الإنسانية والسياسية والاقتصادية للتحول الثقافي المرتبط بمرحلة ما بعد الصناعة، أو لما يسمى بمجتمع الشبكة، أو «الاقتصاد الجديد»، أو مجتمع المعرفة وما بعد الحداثة. .(Roger Hartley, 2003)

عندما يستقر «التجديد المخل» في نظام طارئ جديد، يمكننا عندها أن نتطلع إلى نموذج «كلي» لنظام المعرفة الديناميكي الشامل، حيث يمكن دراسة القيم الثقافية والاقتصادية والسياسية بطريقة موحدة. وإذا كان الابتكار الإبداعي الناشئ هو في حد ذاته «تكنولوجيا اجتماعية تمكينية»، فسوف يحتاج المحللون

إلى التركيز على الأمثلة المحلية العالمية للإبداع الشعبي، وإنتاجية الاستهلاك، والانتشار، خاصة عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى. في هذا السياق، سيكون من الممكن فهم استخدامات الموارد الإبداعية والثقافية على مستوى المجتمع والمستوى التجاري على حد سواء، والانتقال من الهوية الثقافية «الدفاعية» إلى الابتكار الإبداعي الواسع.

لا تظهر الدراسات الثقافية كفلسفة وفيرة فحسب، بل كسياسة وممارسة أيضًا: إنها إطار مفاهيمي مفيد لتحليل أنظمة الابتكار و«الصناعات الإبداعية» ونشر الإنتاجية الإبداعية. وفي تلك المرحلة، عندما ستكون جزءًا من دراسة موحدة لنمو المعرفة، قد تضطر إلى تغيير إسمها إلى «العلوم الثقافية». وبالتأكيد سيتعين عليها تغيير مركز ثقلها من الغرب إلى الشرق. (Boots et al., 2008).

2 - فرضيات الثقافة التنظيمية Organizational Culture :

تحليل الويب الثقافي هو نموذج يتم فيه توضيح النموذج التنظيمي، والقناعات والافتراضات داخل المنظمة عن طريق مجموعة متماسكة من ستة عناصر، إذ هو يحفز الطريقة التي يتفاعل بها الموظفون داخل المنظمة مع بعضهم البعض، وكيفية تعاملهم مع عملهم، وكذلك كيفية ارتباط المنظمة ككل بالعالم الخارجي والثقافات المختلفة الموجودة في العالم الخارجي. ومن خلال تحليل العناصر الستة، يتم تشكيل الصورة الكاملة للثقافة التنظيمية، والإجابة على سؤال أساسي هو كيف نتعامل مع عملنا وكيف نعمل مع الثقافات التنظيمية الأخرى؟

من المؤكد أن هناك حاجة كبيرة لإدارة الثقافة التنظيمية لأن ذلك يؤثر على استراتيجية المنظمات وأدائها. وقد طور جيري جونسون و كيفان سكولز Gerry Johson & Kevan Scholesتحليل الويب الثقافي. بالنسبة لهما، تتشكل الثقافة عامة على مدى فترة زمنية طويلة، مما يجعلها مادة مجردة إلى حد ما، وينطبق الشيء نفسه على الثقافات التنظيمية. نظرًا لأن تشكيل الثقافة يحدث دون أن يلاحظه أحد، فإن الشخصية الواضحة للثقافة التنظيمية لا تحظى بأي اهتمام، وفقط عندما تؤدي الدوافع القوية إلى إحداث تغييرات في المنظمة، سواء من داخل المنظمة أو خارجها، يصبح الهيكل التنظيمي مهمًا. (Gerry Johson & Kevan Scholes, 1992).

مع ذلك، فإن الفرضيّات الواضحة التي يتم اختبارها فيما يتعلق بالثقافة التنظيمية، يمكن أن تلعب دورًا مهمًا عندما تجد المنظمة نفسها في عملية اندماج، على سبيل المثال، وعندها يجب ربط الثقافات التنظيمية المختلفة. وبما أن سياسة المنظمة وقيمها غالبًا ما يتم توثيقها، فعادة ما يحدث القليل من الارتباك عندما

يتعلق الأمر بذلك، فتضمن الثقافة التنظيمية أن الناس ينسقون سلوكهم مع بعضهم البعض، وأن أوجه التشابه في التفكير والعمل تنشأ بينهم، ويحدث هذا الأمر داخل المنظّمات، وأيضًا في البيئة الخارجية التي تعمل فيها. نتيجة لذلك، تنشأ شبكة من المنظمات التي تشترك في نفس القيم، وبالتالي تمارس نفس السلوك، وتعتمد القرارات التي تتخذها المنظّمات بخصوص الثقافة التنظيمية والشبكة التي هي جزء منها.

يميز جونسون وشولز سياقين ثقافيّين: السياق الإقليمي والسياق المحلي الوطني، وهما يؤثران بشكل كبير على توقعات أصحاب المصلحة. فالأمة أو المنطقة تقوم على القيم الاجتماعية، التي قد تختلف عن قيم المنظمة. لذلك، وخاصة بالنسبة للمنظمات النشطة دوليًا، من المهم فهم واحترام الثقافة الإقليمية. يشير هذا إلى أوجه التشابه بين المنظمات داخل الشبكة. من الطبيعي أن تكون للمنظمات رؤى ومهام خاصة بها، وبالتالي أن يكون لديها استراتيجياتها الخاصة، بناءً على تخصصاتها. ويجب على العالم الخارجي أن يأخذ في الاعتبار هذه الاستراتيجيات، للقيام بأعمال تجارية فعالة مع المنظمات، إذ يدلُّ السياق التنظيمي على الطريقة التي تُدار بها المنظمات، ويجب التعامل معها. (J.Van Maanen & S.Barley, 1984) .

3- شروط الثقافة التنظيمية :

تشترط الثقافة التنظيمية الفعالة التبادل الفكري بين الموظفين، ومستوى عال من التكيف والكفاءة لديهم، والقيام بمهمات ملموسة وواضحة، معترف بها لدى الجميع، وتخدم الأهداف والاستراتيجية، ومستوى عال من المشاركة، وهذا الشرط مرتبط بالطريقة التي تتم بها إدارة المنظمة والتحكم فيها، ويشمل النظم المالية وأنظمة الجودة والمكافآت. وتقع كيفية تحديد هذه المكافآت وكيفية توزيعها داخل المنظمة أيضًا تحت أنظمة التحكم.

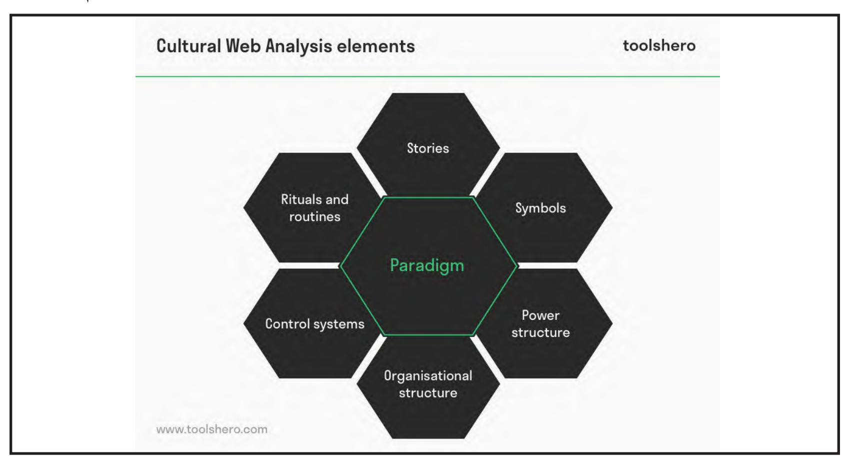
أما الطقوس فهي أحداث منظمة، يؤكد عبرها الموظفون على ما هو مهم حقًا لهم، وكيف يتعاملون مع الأمور. ومن الأمثلة على ذلك: الدورات التدريبية والترقيات وسياسة التوظيف والاختيار الخاصة بالمنظمة، والأعمال الروتينية التي تكشف الكثير عن الطريقة التي يتفاعل بها الموظفون مع بعضهم البعض، ومع الآخرين داخل وخارج المنظمة.

وتفترض نظرية تحليل الويب الثقافي وجود ثقافة تنظيمية قوية، لكن الحال من الناحية العملية ليس هكذا هو دائمًا، فغالبًا ما يكون هناك عدد لا يحصى من الثقافات الفرعية. وتظهر دراسة أجراها فان مانن وبارلي

Van Maanen & Barley أن الثقافة التنظيمية تتعلق بشكل رئيسي بالثقافة المركزية السائدة التي تستند إلى القيم المشتركة. وبغض النظر عن مدى قوة الثقافة المركزية، سيكون لدى المنظمات دائمًا ثقافات منحرفة .(J.Van Maanen & S.Barley, 1984) .

لا يمكن أن تتطور ثقافة مهيمنة واحدة إلا عندما يتفاعل جميع الموظفين بانتظام مع بعضهم البعض، ويواجهون نفس المشاكل. ومع ذلك، فإن التخصص في العمل يضعف هذا الهيكل، فيتراجع تقاسم القيم المشتركة، ونتيجة لذلك، قد تنشأ ثقافة فرعية داخل قسم واحد. ولكن، من المهم للغاية ألا تعزل هذه الثقافات الفرعية نفسها عن الثقافة المشتركة كثيرًا، لأن الافتقار إلى الاتحاد غالبًا ما يؤدي إلى إنتاجية عكسية، وإلى المنافسة. بالتالي، فإن إدارة الثقافات المختلفة تمثل تحديًا يواجهه العديد من الرؤساء التنفيذيين.

في الخلاصة، تؤثر الثقافة التنظيمية، كبيرة كانت أم صغيرة، على أداء المنظمة. وعلى الرغم من حقيقة أن العديد من المنظمات لا تحفز أو تدير ثقافتها الخاصة، إلا أن الثقافة مهمة للغاية عندما يتعلق الأمر بمستقبل المنظمة. وتُظهر شبكة جونسون آند سكولز Johson & Scholes الثقافية أن الثقافة التنظيمية مرتبطة بالطريقة التي يتفاعل بها الموظفون مع بعضهم البعض والطريقة التي تتفاعل بها المنظمة مع العالم الخارجي، وأنه، على الرغم من حقيقة أن الثقافة التنظيمية القوية تحفز الوحدة، هناك دائمًا ثقافات فرعية تخلق الانقسام.



Organizational Cultural Web Analysis عناصر تحليل ثقافة الشبكة 1992

https://www.toolshero.com/management/cultural-web-analysis/

رابعا: مقاربة «تصميم مجتمع المعلوماتية»

1- نموذج التحقق من الأخبار المزيفة:

أصبح من المعروف لدى الناس أن السياسيّين، على عكس ما يشيعون عن أنفسهم وما يدعون، هم من أقل البشر استعدادًا لمناقشة الأفكار، وهم مخادعون يميلون دومًا للتخلص من خصومهم عبر طرق غير أخلاقية، وأحيانًا باستخدام قضايا وفضائح ملفقة، ونشر أكاذيب لا أساس لها من الصحة. ويقومون بالخداع أيضا بتزييف الحقائق التاريخية، أو باستدعاء فكرة فاشية وتصنيف الناس وفقًا لها. وقد تكون هذه الفكرة هي الدين أو الوطن، بحيث يكون المساند للسلطة المتبني لمواقفها هو المتدين الحقيقي أو الوطني الحقيقي، بينما يصير المعارضون بالتبعية ضد الدين أو الوطن. وتعمد هذه الإستراتيجية إلى التقليل من قدرة أي شخص أو تيار على معارضة السلطة التي تصنع رباطًا لصيقًا بين وجودها وبين مفهوم الوطن، فالسلطة حينها هي حارسة الوطن، وبالتالي فإن أي انتقاد للسلطة هو هدم وخيانة للوطن.

ومن أساليب الخداع تكرار الرسالة الواحدة بشكل متتابع ودقيق وباستخدام وسائل مختلفة، بصرف النظر عن مدى دقة وصدقية هذه الرسالة. وتشير الدراسات إلى ميل البشر إلى تصديق الأفكار والمعلومات التي تتكرر أمامهم بانتظام بصرف النظر عن مدى منطقيتها، والأمر يفسِّر بوضوح ظاهرة تصديق العلماء والمثقفين والمفكرين في أغلب مناطق العالم للأساطير المتداولة في مجتمعاتهم، رغم أنها تبدو غير منطقية لإنسان عادي يسمعها لأول مرة. ومن شروط الخداع الإعلامي التقليل من الجرعات الفكرية والعلمية لصالح ساعات الترفيه والمرح، والمتتبع لسلوك معظم وسائل الإعلام، يشعر كما لو أنها تخوض حربًا ضد كل ما هو جادّ أو علميّ، لصالح ساعات طويلة من برامج الترفيه والمرح بمختلف أشكالها. (مي العبدالله، 2011).

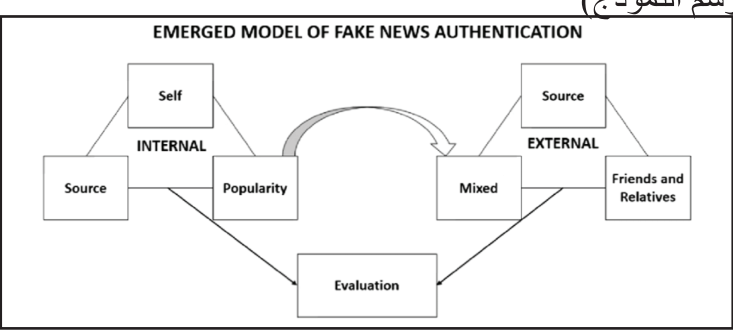
للأسف، إن قابلية الناس للانخداع حتى فيما يتعلق بأبسط الحقائق ترتفع بشكل مخيف، بما يدل على أن وسائل الإعلام والاتصال ربما ساهمت في الارتقاء بالمستوى البحثي أو الأكاديمي، إلا أنه ربما يكون قد صاحبها تناقص حاد في القدرات العقلية التقليدية، حيث صار الناس أكثر قابلية للخداع بشكل كبير. من هنا إجتهد الباحثون في علوم الإعلام والاتصال لتطوير نظريات أو نماذج، من خلال دراسات مسحية دقيقة، تفسر عمل وسائل الإعلام والاتصال وكيفية نشرها للأخبار الكاذبة، وقد اهتموا بشكل خاص بكيفية التحقق منها. ومن النماذج الحديثة في هذا الشأن نموذج توثيق الأخبار المزيفة الذي

تم تطويره في الهند من قبل الباحثين براكاش وفرما والافاراسان وكار. (Gautam Prakash, Ravinder Kumar Verma(&) P. Vigneswara .Ilavarasan, and Arpan K. Kar, 2019)

تم بناء النموذج على أساس أن مشكلة الأخبار المزيفة آتية من نقص في التوجيهات والمعايير التي تمكن من احتواء الأخبار المزيفة. فهناك تهديد حقيقي لمحتوى وسائل التواصل الاجتماعي، مدفوعًا بالجوانب السياسية الدولية والنفسية وما إلى ذلك. والأخبار المزيفة تستهدف المواطنين العاديين، ومن الشائع تصديق الأخبار التي يشاركها ويقرأها بعض الأشخاص دون فهم دوافع انتشار الأخبار. من هنا يجب إدارة الأخبار المزيفة للحفاظ على الانسجام في المجتمع وثقة الناس في المؤسسات المختلفة. وبالتالي، هناك حاجة لإدارة الأخبار المزيفة المنتشرة على منصات وسائل التواصل الاجتماعي. ويحتاج الأفراد إلى موجهين ووسائل للحد من الأخبار المزيفة.

ولا يمكن إدارة الأخبار المزيفة إلا من خلال منصات وسائل التواصل الاجتماعي أو الحكومات، ويجب أن يشارك الفرد المستخدم في هذه الادارة، إذ يجب أن تكون هذه مسؤولية جميع أصحاب المصلحة الرئيسيين. بشكل عام ، يقوم الأشخاص بالمصادقة بطريقتين للأخبار: المصادقة الداخلية والمصادقة الخارجية. تعتمد هذه الطرق على ميزة الأخبار ويمكن استخدامها من قِبل الأشخاص للمصادقة على الأخبار الحقيقية أو المزيفة وتصنيفها.

وتساعد المصادقة الداخلية والخارجية الأشخاص على توثيق الأخبار الواردة على وسائل التواصل الاجتماعي. يطرح السؤال ما إذا كان هناك أي اختلاف في الطرق الخارجية والداخلية للمصادقة. يتم تحليل الفرق بين المصادقة الداخلية والخارجية باستخدام أداة الاستبيان في البحث.2019 (Researchgate.net,) (أنظر رسم النموذج)



نموذج التحقق من الأخبار المزيفة (الفايك نيوز)

https://www.researchgate.net/figure/Emerged-model-of-fake-news-authentication_fig2_333700939

2- «تصميم مجتمع المعلوماتية»:

مع ظهور شبكة الانترنت وانتشار خدماتها في الفضاء العام، ظهر مفهوم «الإعلام الجديد» New Media وممارساته، فعبرت مرحلته عن انتقال أدوات الإعلام التقليدي وتطبيقاته من المؤسسات إلى الجمهور، أو عن ظهور أنماط جديدة من الأشكال الاتصالية.

يتمحور النقد الموجه لوسائل الاتصال الحديثة حول ضرورة تحديد المجالات التي يتحرك فيها «الإعلام الجديد». فإمكانية الوصول إلى نموذج نظري جديد «للاعلام الجديد» في مجتمعاتنا لا يتم عن طريق ما هو موجه من نقد له، بل إنطلاقا من مخرجات وتجارب وسائل الاتصال الحديثة التي تطرح نفسها كبديل عن الإعلام التقليدي. ويذهب بعض النقاد إلى الدعوة لدراسة «الإعلام الجديد» ليس إنطلاقا مما يجب أن يكون عليه، بل عن طريق ما هو عليه، وهو ما سيمكننا من دراسته إنطلاقا من مقدرته على عرض بدائل في مواجهة الإمبراطورية الإعلامية السائدة. (مي العبدالله، 2015).

«الإعلام الجديد» مجال معقد ومتشعب جدا تزدحم فيه كل أشكال الانتاج وكل أنواع الممارسات الثقافية، وعمليات الإعلام والاتصال والتواصل الاجتماعي. ويتعارض هذا «الإعلام الجديد» مع كل مع ما كان سائدا سابقا، ولذلك يقع بين مفترق مناهج نظرية متداخلة، أحدثها يركز على وظيفة وسائل التواصل الالكترونية كخدمة للمجتمع، وعلى «إعلام المواطن» باعتباره جزءا من أدوات المجتمع المدني، إذ ينظر الباحثون إلى المجتمعات الرقمية ذات الصلة، على أنها جماعات من البشر يشتركون في غاية واحدة ويواجهون المشاكل نفسها، ويقومون بتعميق معرفتهم وخبراتهم عن طريق التفاعل بصورة مستمرة. (Geoffrey Cohen, 2003).

وقد أظهر تحليل تأثير «الإعلام الجديد» على الحياة اليومية، أن المجتمعات المحلية لا تتشكل فقط في المساحات الجغرافية المحددة، بل ايضاً في الفضاء الالكتروني وتسمى «المجتمعات الافتراضية». ويمكن أن تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على تفعيل الطاقات المتوافرة لدى الإنسان وتوجهها للبناء والإبداع في إطار تطوير القديم وإحلال الجديد من قيم وسلوك، وزيادة مجالات المعرفة للمستخدمين، وازدياد قدرتهم على التقمص الوجداني وتقبلهم للتغيير. وبهذا فإن «الإعلام الجديد» له دور مهم، ليس في بثّ المعلومات فقط، بل في تقديم شكل الواقع، واستيعاب السياق الاجتماعي والسياسي الذي توضع فيه الأحداث. (Philippe Breton, 2000).

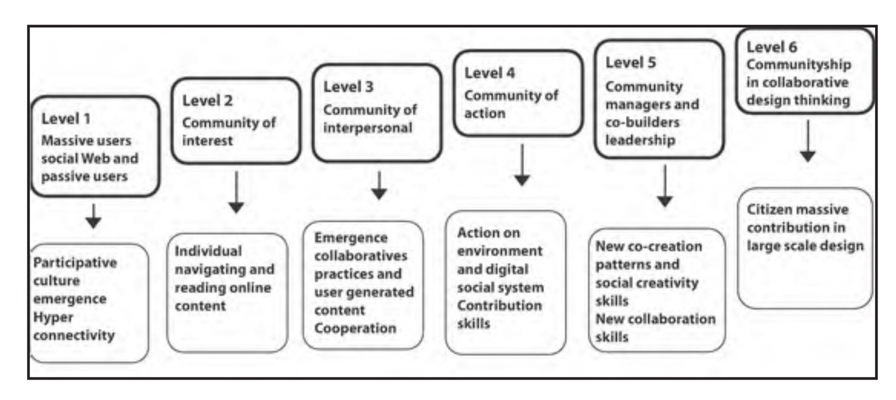
مكّنت وسائل التواصل الاجتماعي الأشخاص من المشاركة بشكل كبير في

الأنشطة عبر الإنترنت، وتحطيم حاجزي المكان والزمان. ومكنت مستخدمي الوسائط الاجتماعية من أن يكونوا مستهلكين للمحتوى بشكل سلبي أو أن يكونوا منتجين نشطين له، ويقوموا بإنشاء البيانات بمعدل غير مسبوق. وتختلف هذه البيانات اختلافًا كبيرًا عن البيانات التقليدية. ولكن، أصبحت العلاقات الاجتماعية متاحة على نطاق واسع وتلعب أدوارًا مهمة في وسائل التواصل الاجتماعي، مثل حل مشكلة التحميل الزائد للمعلومات وتعزيز عملية نشر المعلومات، مما قد يؤدي إلى فهم غير مناسب للبيانات الغزيرة.

مع أننا بتنا نعيش في مجتمع المعلومات، فإن الثورة التكنولوجية الجارية، على الرغم من التطور الذي حصل في حياتنا اليومية، لم تحقق بعد كل الوعود التي أعلن عنها الخبراء. إذ ما زلنا في حاجة لوضع أنظمة المعلومات في خدمة كل الأفراد والمجتمعات، حتى نتمكن من توحيد الثقافة التشاركية، كما يجب أن يصبح «التصميم للجميع» أولوية. (Pierre-Léonard Harvey, 2014) .

إلى جانب البحوث التي تركز على الجانب التكنولوجي لطريق المعلومات السريع، يحلل الباحثون الجدد في علوم الإعلام والاتصال شبكات الاتصال في بيئتها البشرية والمادية والاجتماعية. والى جانب معالجة استراتيجيات الجهات الفاعلة، فإن البحوث الحديثة تتناول السؤال من زاوية الاعتماد الاجتماعي على الأدوات التقنية للاتصال.

يبحث هارفي Harvey في تطوير مقاربة نظرية تكاملية للبعد الاجتماعي لتقنيات المعلومات والاتصال الجديدة(NICT)، وهو يتوجه بدعوة حقيقية لحوار متعدد التخصصات، ويطالب بإعادة تأهيل مفاهيم الطلب الاجتماعي والحاجة، التي يبدو أنها فقدت شرعيتها العلمية في السنوات الأخيرة. كما يسلط هارفي الضوء في مؤلفاته الحديثة على استمرارية الهياكل الاجتماعية، ويظهر كيف يؤثر التواصل عبر الطرق السريعة للمعلومات على التبادلات داخل المجتمعات القائمة.(الجدول رقم 1)



1: مستويات مجتمعات الفضاء العام

(Pierre Leonard Harvey, 2017) Communities Levels

نظرية هارفي الجديدة تهم جميع أولئك الذين يهتمون ببناء مجتمع اتصال يكون الإنسان هو المركز، ويبحثون عن أدوات لفهم ومراقبة تطور التقنيات واستخداماتها. يعرّف هارفي المجتمع باعتباره «مساحة عامة تتميز بالتواصل في المجموعات، بين الأفراد والجماعة، وبين الأفراد أنفسهم وبين المجموعات نفسها.» (Harvey,1995, p.239) هذه المجموعات لها مصالح مشتركة، ويركز هارفي بشكل أساسي على كيفية ملاءمة الاستخدامات للتقنيات الجديدة، مع إيلاء إهتمام خاص لاحتياجات المعلومات وعمليات الاتصال، ويقدم منهجًا نظريًا مبتكرًا، من خلال السعي للإجابة على أسئلة معقدة مثل: كيف تتحول مجتمعاتنا؟ وما هو الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصال في هذه التحولات؟

نهج هارفي متعدد التخصصات متجذر في ثلاثة مذاهب نظرية رئيسية: نظرية المجموعة في علم النفس الاجتماعي، نظرية الاستيلاء في علم اجتماع الأعراف، ونظرية علم النفس والاحتياجات الاقتصادية.

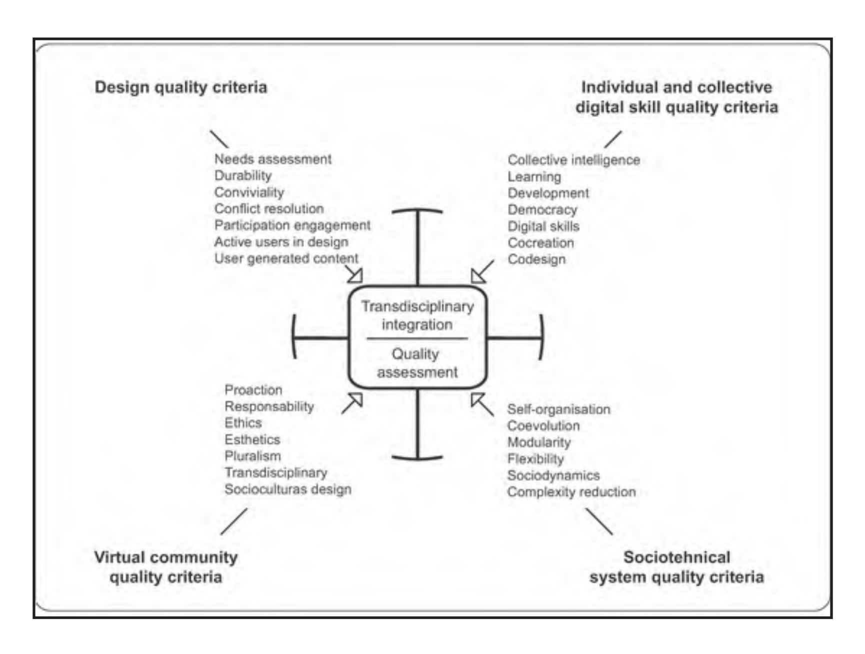
أولاً، في مقاربة مجموعات علم النفس الاجتماعي، يلاحظ هارفي الأبحاث التي تهتم بهيكل المجموعات وتشغيلها منذ أعمال وتيباوت وكيلي.

.(N. Thibaut & H. Kelley, 1959)

وفقًا لما قاله هارفي، يمكن دراسة استخدام الوسائط التفاعلية والرغبة في التفاعل مع الآخرين من خلال دراسة نتائج أو منتجات التبادل (التكاليف المتكبدة أو الجهود المبذولة أو إزالة الفوائد أو المنفعة). في نهج التخصيص، يذكر هارفي على وجه الخصوص أعمال برولكس (Serge Proulx, 1988) وبويلييه (Dominique Boullier, 1986) التي تحدد التخصيص باعتباره تتويجا للاستخدامات في الممارسات التواصلية، وتعتمد النظر في المفهوم بشكل أعم من الفكرة الواحدة للملكية.

2- معايير جودة التصميم:

«في هذا المعنى، وفي سياقات مختلفة، يقوم المستخدمون بتغيير عاداتهم التكنولوجية، وإعادة هيكلة الزمان الاجتماعي، وتجاوز المسافات، وتجاوز الحواجز الجغرافية من خلال خلق علاقات مميزة ضمن هذه المساحات الجديدة» (Pierre Leonard Harvey, 2017, p.239) (أنظر جدول المعايير 2) .

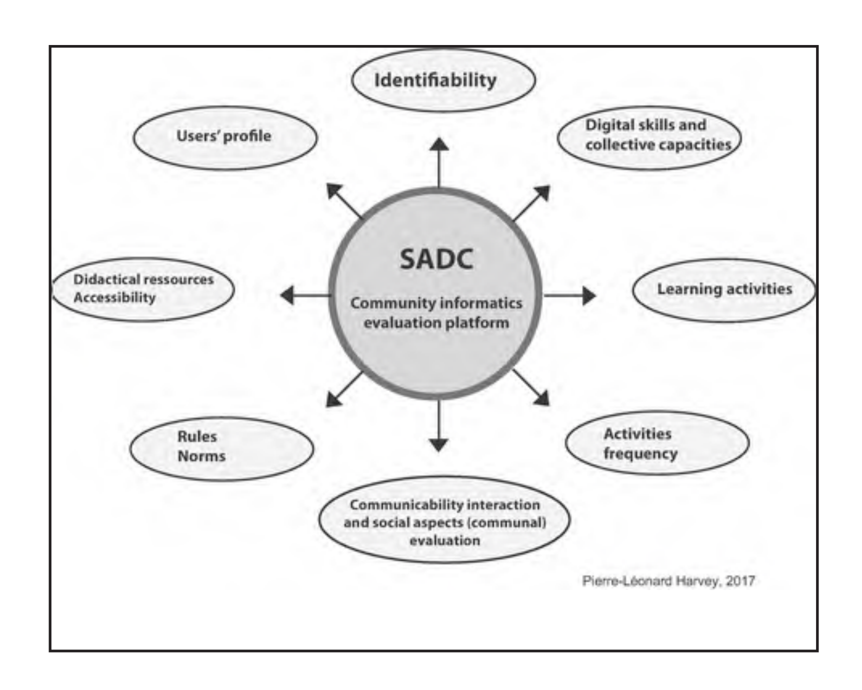


2: معايير جودة التصميم Design quality criteria

(Pierre Leonard Harvey, 2017)

أخيرًا، في «نظرية الاحتياجات»، المطبقة تقليديًا على دراسات السوق، يقدم هارفي استعراضًا لأدب النماذج النظرية المختلفة التي سعت إلى تفعيل الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد.

(Abraham Maslow, 1943) وفقا لهارفي، يعتمد تخصيص الوسائط التفاعلية إلى حد كبير على الاحتياجات النفسية والاجتماعية للمستخدمين، وتحديداً احتياجات المعلومات والاتصال للمستخدمين الذين يستعملون الأدوات في كثير من الأحيان بطريقة مختلفة عن تلك التي تم التخطيط لها منذ البداية. يستشهد هارفي على وجه الخصوص، بعالم الاتصال المعروف جيمس هالوران James Halloran، الحائز على جائزة مارشال مكلوهان لعام 1991، القائل بأن الخطوة الأولى في أي دراسة للتكنولوجيا الجديدة هي تحديد الاحتياجات الأساسية للمعلومات والاتصال للأفراد. وقد وجد أن النماذج لا تفسر تمامًا تعقيد الاحتياجات البشرية من ناحية، والتطبيقات التكنولوجية الجديدة من ناحية أخرى. يلاحظ أن الفرد يحتاج إلى معلومات ليأخذ القرارات ويحد من عدم اليقين، ولهذه الحاجة في المعلومات، يقترح هارفي تطعيم الحاجة الأساسية للأفراد للتواصل بالحاجة إلى التفاعل.(3)



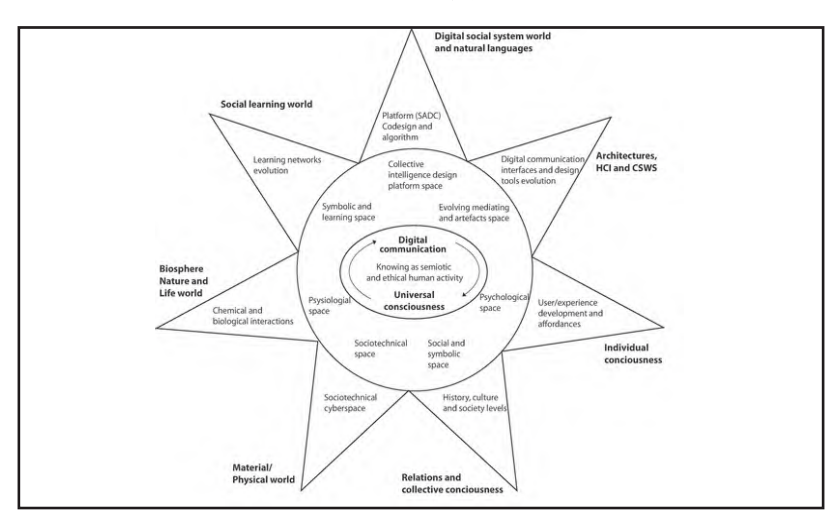
3: نموذج التقييم Community Informatics Evaluation Platform

(Pierre Leonard Harvey, 2017)

يقدم هارفي أيضًا مخططًا للاحتياجات النفسية والاجتماعية استنادًا إلى التسلسل الهرمي لماسلو، والذي يتراوح بين البقاء على قيد الحياة ونوعية الحياة. يحدد هارفي تسعة احتياجات رئيسية يقسمها إلى ثلاث مجموعات: أولاً الاحتياجات البيولوجية (الفسيولوجية)، والاحترافية والاجتماعية (الانتماء، الهيبة، والسلطة)، وأخيرا الاحتياجات الفكرية (المتعة، الاستكشاف، التحقيق، الجمالية والتفكير المطلق). (Harvey, 2014) يتضمن المخطط الاتجاهات الرئيسية التي تسلط الضوء على تسريع التطور الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع، والحاجة المتزايدة للتواصل بأشكال جديدة من خلال تقنيات تفاعلية جديدة. (Richaudeau et al, 1974).

من خلال التركيز على احتياجات المعلومات والاتصال، وتحديدًا الحاجة إلى التفاعل الخاص بمجتمع المعلومات الذي يميز الفترة الحالية، وضع هارفي الأسس للتفكير النظري الحديث. لا يبدو من المحتمل أن تؤدي الظهواهر الإلكترونية، في الوقت الحالي على أي حال، إلى حركات جماعية واسعة النطاق، أوإلى إحداث

تأثيرات واقعية فيما يتعلق بالإجراءات العامة، لا سيما أنها تعاني من نقص في الشرعية في عيون القادة السياسيين. بالإضافة إلى ذلك، لقد أثر ظهور وسائل الإعلام والاتصال على عمليات التعبئة الجماعية، كما بات من الممكن لوسائل الإعلام والاتصال المشاركة في الصراعات الاجتماعية، باختيار تسليط الضوء على أحداث معينة بدلاً من غيرها.(4)

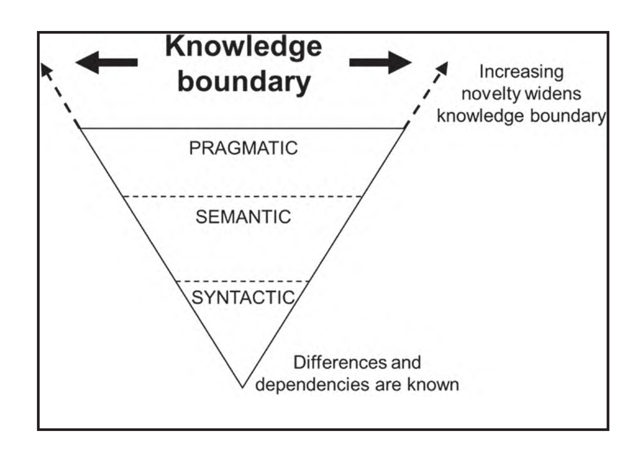


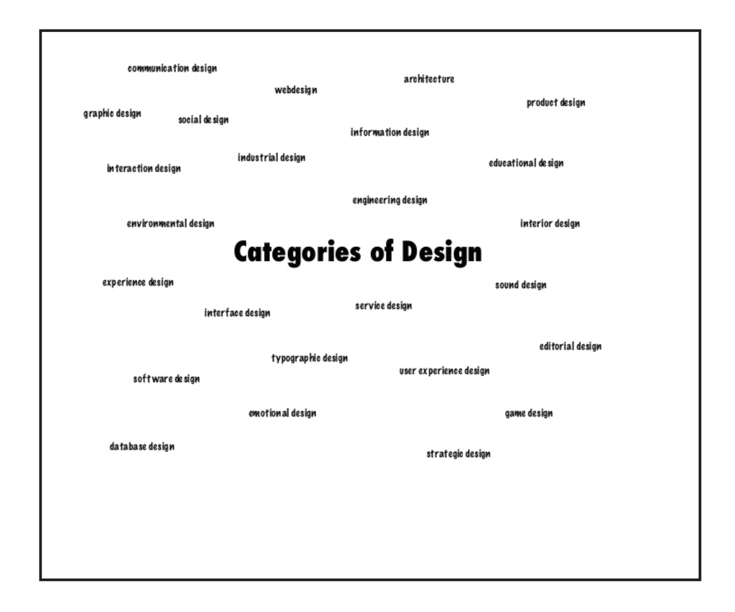
4: تصميم الاتصال الرقمي Digital communication Design

(Pierre Leonard Harvey, 2017)

اليوم، تؤدي الإمكانات المتعددة التي تسمح بها وسائل الاتصال والإنترنت، إلى التشكيك في مبدأ الديمقراطية التمثيلية، وفي إمكانية إقامة ديمقراطية مباشرة، حيث يمكن لجميع المواطنين المشاركة في الحكم، ونقض قرارات الحكام، وحيث يمكنهم الحكم مباشرة من خلال التزام سياسي يومي، حتى أن بعض مؤلفي المقالات الالكترونية الأذكياء يحددون ملامح الديمقراطية الإلكترونية المستقبلية.

في الواقع، لا ينشط مستخدمو الإنترنت سياسياً، كما يتضح من تجارب التصويت عبر الإنترنت التي أعطت معدلات المشاركة متواضعة في الانتخابات. بالإضافة إلى ذلك، فإن مستخدمي الإنترنت الذين يشاركون في السياسة عبر الإنترنت ليسوا ممثلين لجميع السكان، ولا تتناسب غرف الدردشة على الإنترنت مع نموذج النقاش الديمقراطي حيث يكون احترام وجهات النظر والبحث عن الحقيقة والصالح العام أمرًا لازما. (Harvey, 2014) (5)



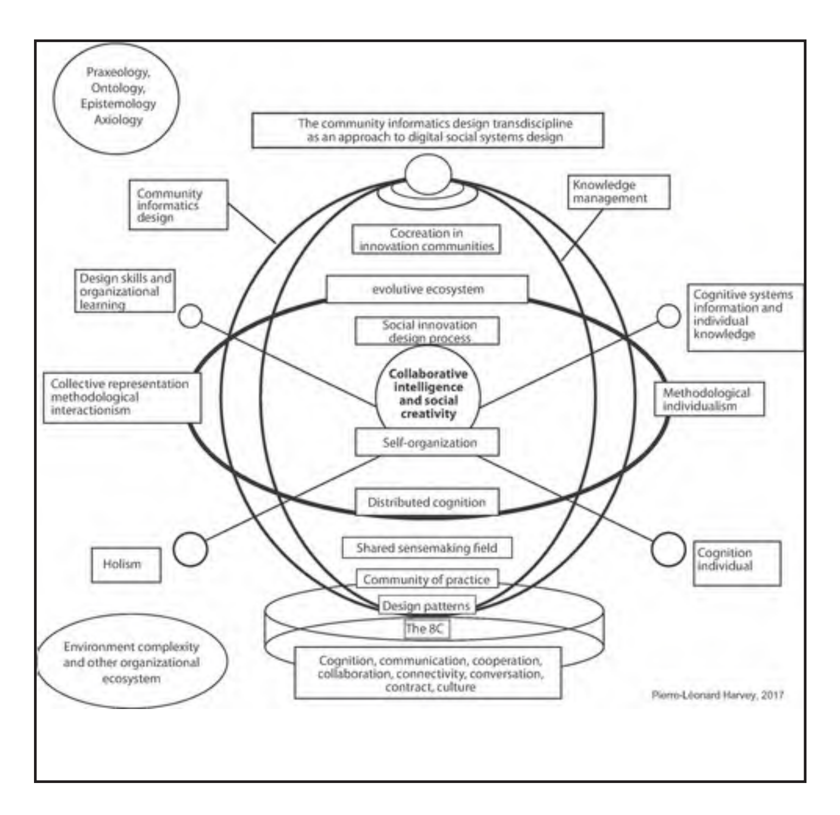


5: حدود المعرفة Knowledge Boundary

(Pierre Leonard Harvey, 2014)

بيير ليونارد هارفي، هو أستاذ باحث في قسم الاتصال الاجتماعي والعام، في جامعة كيبيك في مونتريال في كندا Université du Québec à Montréal UQAM · Department of Social and Public Communication. منذ سنوات هو يعمل على تطوير نموذج متكامل لتصميم مجتمع المعلوماتية في الفضاء العام، حيث تجتمع كل الأسس النظرية، وكل عناصر الاتصال وكل الجهات

المشاركة والمؤثرة فيه. وهذا النموذج هو خلاصة نتائج أعماله في مختبر جامعة كيبيك وتحليلاته للبيئة الاتصالية في الفضاء العام. وقد نشر النموذج الأولي التالي في كتابه الأخير Community Informatics Design Applied to digital Social Systems, 2017: (6)



6: الأساس النظرية لتصميم مجتمع المعلوماتية

(Pierre Leonard Harvey, 2017)

الفصل الثالث:

خصائص الاتصال في النظام العالمي الجديد

أولا: الحداثة المتأخرة أو «الحداثة السائلة»

1- ظهور مفهوم «الحداثة السائلة»:

مصطلح الحداثة المتأخرة أو «الحداثة السائلة» هو توصيف للمجتمعات العالمية المتطورة التي تتميز بالاستمرار أو التطوير للحداثة، بدلاً من كونها عنصرًا في الحقبة التالية المعروفة باسم ما بعد الحداثة. وقد قدم عالم الاجتماع البولندي-البريطاني زيجمونت بومان Zygmunt Bauman، مصطلح الحداثة «السائلة»، وهي برأيه، «تتميز في الاقتصادات الرأسمالية العالمية، بتزايد خصخصتها للخدمات وبثورة المعلومات» (Zygmunt Bauman, 2000, p. 8) .

يؤكد المنظرون الاجتماعيون وعلماء الاجتماع مثل سكوت لاش Scot Luch وأولريتش بيك Ulrich Beck وزيغمونت بومان وأنطوني جيدينز Anthony Giddens، أن التحديث يستمر في العصر الحالي، وبالتالي يتم تصور العالم على أنه في حالة جذرية من الحداثة المتأخرة. وحول التغيرات التكنولوجية والاجتماعية منذ الستينيات، يقترح مفهوم «الحداثة المتأخرة» أن المجتمعات المعاصرة هي استمرار واضح للتحولات الحديثة، وللتطورات الثقافية. وينظر المفكرون إلى التحديث الانعكاسي باعتباره نظامًا ما بعد التقليدي، يؤثر على الحياة الاجتماعية اليومية وعلى الأنشطة الشخصية. لذلك لا يجادل أنتوني جيدينز في حدوث تغييرات مهمة منذ عصر الحداثة، لكنه يجادل بأننا لم نتخلَّ عن الحداثة حقًا. بل إن حداثة المجتمع المعاصر هي فعلا حداثة متطورة ومتطرفة ومتأخرة، لكنها ما زالت حداثة، وليست ما بعد الحداثة. في هذا المنظور، تظهر ما بعد الحداثة فقط كنسخة للحداثة تشهد استخداما مفرطا للتكنولوجيا. (Giddens .A., 1990)

قدم زيغمونت بومان فكرة الحداثة السائلة، التي يراها تزيد من مشاعر عدم اليقين وتعزز التناقض. هي نوع من استمرار الفوضى في الحداثة، حيث يمكن للشخص الانتقال من موقع اجتماعي إلى آخر بطريقة سلسة. فيصبح التنقل سمة عامة للرجل «السائل الحديث»، وهو يتدفق خلال حياته مثل السائح، في الأماكن المتغيرة، والوظائف والأزواج والقيم المتغيرة، و يحرر نفسه أيضًا من القيود أو المتطلبات التي تفرضها الشبكات الاجتماعية.

من الأمثلة على ذلك تجربة «الواقع الافتراضي»، أو العالم الافتراضي، حيث يمكن للانسان، بمجرد وضعه لنظارات خاصة تسمى نظارات الواقع الافتراضي، أن يعيش في عالم ثلاثي الأبعاد، غير موجود. هذا الواقع الافتراضي هو عبارة عن محاكاة لواقع غير حقيقي، يستخدم في الألعاب، ومشاهدة الأفلام، وفي بعض

المجالات التعليمية، وهو عبارة عن بيئة مصطنعة تعتمد على حاسة أو أكثر من حواس الإنسان. وتعتمد الفكرة الأساسية للواقع الافتراضي على تخيل استغراق العقل في عالم خيالي يتم بناؤه والتجول بداخله.

في مثل هذا الواقع، تواجه الإنسانية فصلا جديدا من التفاعل مع المحتوى الرقمي للمعلومات، ومن الصعب التنبؤ بمستقبل العالم الافتراضي ومسارات تطوره، ولكن التكنولوجيا تنتشر وتزداد تسهيلاتها بسرعة، بحيث تختفي الحدود المكانية، وتزول الجدران، ويصبح بالامكان للمستخدم أن يجتمع بالآخرين حيث يريد ومتى وكيف ما يريد، وللناس أن يتشاركوا افتراضيا في التصميم والاتصال، وفي إدارة وتنفيذ كل الأعمال الحيوية في «متاهة خيالية افتراضية». (Britta O'Boyle, 2019) .

2-المخاطر الوجودية:

يناقش المفكرون في العصر الحديث فكرة الانقراض البشري، أي النهاية الكاملة الافتراضية للأنواع البشرية. وبرأيهم، ينتج الانقراض إما عن أسباب طبيعية، أو عن أسباب بشرية، ولكن مخاطر الانقراض من خلال الكوارث الطبيعية، مثل تأثير النيزك أو البراكين، تعتبر منخفضة نسبيًا. وقد تم اقتراح العديد من السيناريوهات المحتملة للانقراض البشري، مثل تغير المناخ، والإبادة النووية العالمية، والحرب البيولوجية أو إطلاق عامل مسبب للوباء، والانهيار البيئي. وتركز بعض السيناريوهات على التقنيات الناشئة، مثل تقنيات الذكاء الاصطناعي المتقدمة أو التكنولوجيا الحيوية أو الروبوتات النانوية ذاتية النسخ.

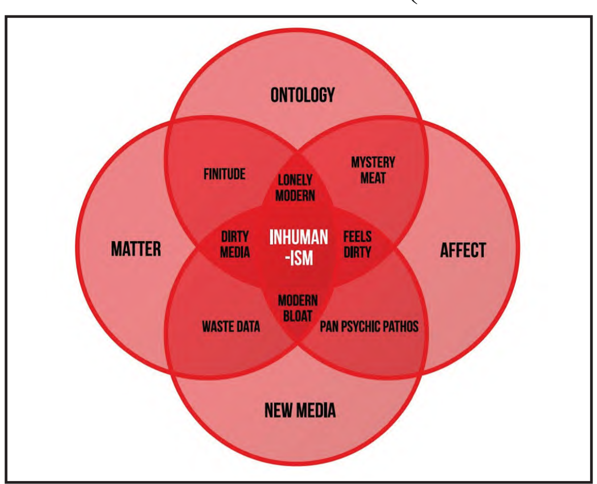
ويبحث العلماء في المخاطر الوجودية التي تهدد مستقبل البشرية بأسرها، سواء عن طريق التسبب في انقراض الإنسان أو عن طريق شل التقدم البشري بشكل دائم. في هذا الشأن، كتب كارل ساجان Carl Sagan عام 1983: إذا طُلب منا تحديد مستوى الانقراض من حيث العدد، فعلينا تضمين عدد الأشخاص في الأجيال القادمة الذين لن يولدوا، إذ إن مخاطر المستقبل تبدو أكبر بكثير من مخاطر الانقراض من الحروب النووية التي تقتل فقط مئات الملايين من الناس. الخسارة المحتملة تشمل الثقافة والعلوم، والتاريخ التطوري للكوكب، وأهمية حياة جميع أسلافنا الذين ساهموا في مستقبل أحفادهم. الانقراض هو التراجع عن المشروع البشري. (Carl Sagan, 1983) .

ويقدم الفيلسوف ديريك بارفيت Derek Parfit في عام 1984، حجة مركزية مفادها أنه، نظرًا لأن جميع الأرواح البشرية لها قيمة ذاتية متساوية تقريبًا بغض النظر عن مكان ولادتها أو زمانها، يجب مضاعفة عدد الأرواح التي يحتمل أن

يتم إنقاذها في المستقبل، إذ سينتج عن ذلك فائدة كبيرة للتخفيف من المخاطر الوجودية. ومن المحتمل أن تنقرض البشرية بنسبة 95٪ خلال 7800.000 سنة، وفقًا لصياغة ريتشارد جوت Richard Gotts بحجة فكرة يوم القيامة المثيرة للجدل، وهي أننا على الأرجح قد عشنا بالفعل نصف مدة التاريخ البشري.

يرفض، من جهته، الفيلسوف روبرت آدامز Robert Adams في عام 1989 آراء بارفيت «غير الشخصية»، لكنه يتحدث عن التطلع إلى مجتمع أفضل، أكثر عدلاً وأكثر سلامًا، بدلاً من التركيز على أخلاقية الولاء والالتزام بمستقبل البشرية كمشروع واسع ... يقول: علينا الاهتمام بحياة أطفالنا وأحفادنا، وآمالهم في أن يتمكنوا، بدورهم، من متابعة مشاريعهم عبر حياة أطفالهم وأحفادهم (Robert Adams, 1989).

يؤكد الفيلسوف نيك بوستروم Nick Bostrom في عام 2013 أن الحجج كلها تتلاقى في وجهة النظر المنطقية القائلة بأن منع المخاطر الوجودية هو أولوية أخلاقية في غاية الأهمية، حتى إذا اختلف المفكرون حول درجة الخطر للانقراض البشري. ويدعو ستيفن هوكينج إلى استعمار الكواكب الأخرى داخل النظام الشمسي بمجرد تقدم التكنولوجيا بما فيه الكفاية، من أجل تحسين فرصة بقاء الإنسان في كوكب الأرض، مع الحرب النووية العالمية. (Nick Bostrom, 2013).



رسم اللاإنسانية الحديثة في المجتمعات السائلة (Venn, 2020)

https://modernismmodernity.org/media/image/modernist-inhumanisms-venn-diagram

3- ظهور مفهوم «الحرب الناعمة»:

دخل مفهوم «الحرب الناعمة» إلى علوم الإعلام والاتصال بقوة، واقترن بها لما لوسائل الاتصال الحديثة من دور أساسي في هذه «الحرب». وقد أتى المصطلح أولا من العلوم السياسية، لأن للسياسة تأثير كبير على تطور مشهد الاتصال العالمي، إذ طرح عالم السياسة جوزيف صموئيل ناي Joseph S.Nye، في العام 1990، مفهوم «القوة الناعمة»، وهو يشير إلى القدرة على الجذب والتأثير في المجتمعات الأخرى، بدون استخدام القوة المباشرة أو الإكراه. وانتشر المفهوم على نطاق واسع، واستخدم لتفسير انتشار منظومة القيم ونمط الحياة الأميركي من خلال الانتاج الثقافي. وقد ترافق ظهور مفهوم «القوة الناعمة» مع سقوط الاتحاد السوفياتي وانهيار الكتلة الشرقية، ورواج أطروحة «نهاية التاريخ» لفرانسيس فوكوياما Francis Fokoyama التي بشرّت بالنموذج الليبرالي الغربي، باعتباره «الخلاص النهائي»، والطريق الحتمي الذي يجب أن تسير فيه المجتمعات البشرية. (Joseph Nye, 2015).

أشار ناي إلى أن القوة الصلبة تعني القوة المشتركة السياسية والاقتصادية والعسكرية، أي القوة في صورتها العنفية التي تعني الحرب، والتي تستخدم فيها الجيوش. وتعني هذه القوة الدخول في مزالق خطرة، ونتائجها تكون في منتهى الخطورة على الدولة ذاتها، كما حدث مثلاً في الحرب العالمية الثانية، بين اليابان وألمانيا النازية. وبيَّنت الدراسات للباحثين الاستراتيجيين والمفكرين، أن القوة الناعمة مصطلح يستخدم في نطاق نظريات العلاقات الدولية، ويشير إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة بوسائل ثقافية وأيديولوجية. (Joseph Nye, 2002).

إقترن مفهوم القوة الناعمة بصورة السياسة الأميركية الخارجية التي تسعى إلى تدمير الطاقة السياسية للدول الأخرى، بهدف الهيمنة والسيطرة على القدرات والمقومات السياسية لدى المستهدف، أي الغزو الثقافي والأيديولوجي، وتحويل البلد الآخر إلى بلد مسيطر عليه، من دون أن تظهر هوية الفاعل الحقيقي.

وأفضل من عبَّر عن أماني الولايات المتحدة، وضرورة تمايز قوتها، هو روبرت غايتس Robert Gates وزير الدفاع الأمريكي، الذي وضّح أن رسالته ليست مرتبطة بموازنة الدفاع أو القوة العسكرية، بل تتعلَّق بكيفية مواجهة الولايات المتحدة للتحديات الدولية القادمة في العقود المقبلة. وإفترضَ غايتس أن على الولايات المتحدة أن تبتكر مظاهر أخرى لقوتها القومية، بهدف مواجهة التحديات الخارجية، واعترف أنه جاء إلى وزارة الدفاع ليعزز استخدام القوة الناعمة، وكي تصبح قوة فاعلة رديفة للقوة الصلبة.

من جهته، رأى ميشال فوكو Foucault، أن «القوة الناعمة» تتضمن إجباراً

وإلزاماً غير مباشرين، وتعتمد في ظهورها على القوة الخشنة أو الصلبة. وتقوم بأعمال تعجز القوة الصلبة عن القيام بها. والقوة الناعمة في نظره، ليست دعاية سياسية، بل هي سجال عقلي وقيمي يهدف إلى التأثير على الرأي العام في داخل الدولة وخارجها. (النور، 2018)

ثانيا: «القوة الصلبة» و«القوة الناعمة»

1- مجالات تطبيق «القوة الناعمة»:

طرح جوزيف ناي Joseph Nye إستراتيجيات بارزة من أجل إنجاح سياسة الولايات المتحدة في السياسة الدولية. ودرس ناي بدقة تكلفة حروب الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، فوجد أن وزن الولايات المتحدة الدولي لم يعد كما كان في السابق، وأن شعبية بلده قد تدنَّت تدنّياً حاداً في البلدان الإسلامية.

وانطلق ناي من فكرة أن الناس قد عرفوا القوة الصلبة والجبروت العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة، وأدركوا بالمقابل أن استخدام القوة المباشرة والتهديدات الصريحة، من شأنه أن لا يحقق النتائج المرجوة، في حين أن استخدام الوجه الثاني للقوة، أي «القوة الناعمة» سيجذب الآخرين ويرفع من مستوى الإعجاب بالسياسة الأمريكية.

وتطبق القوة الناعمة، حسب ناي، من خلال السعي للسيطرة على حالة جماهيرية أو شعبية عامة، سواء كانت دولة او حزب، عبر أسرها وأخذها رهينة ومهاجمتها بكل الوسائل بغية العبث بوظيفتها الطبيعية وتوجيهها نحو السلوك المستهدف. فيتم توجيه مجموعة من المؤثرات المتناسبة مع مقتضى الحال، وتكون وظيفتها الفعلية إزالة ومحو الأفكار السابقة للفرد أو الجماعة، والبدء بعملية القيادة النفسية والفكرية عبر التلاعب بالمشاعر العامة، وتضليل العقل الجمعي، وتدمير الروح الجمعية العامة، خاصة أن التقنيات الموظفة حالياً معقدة وماكرة لدرجة أنها قادرة على دحر كل الدفاعات والموانع الطبيعية للإنسان. (Joseph Nye, 2002)

2- الأبحاث العلميّة في «الحرب الناعمة»:

تعتبر الإستخبارات الأمريكية CIA ووزارة الدفاع البنتاغون أول من بدأ برعاية أبحاث ومحاولات للسيطرة على الدماغ والعقل البشري والادراك الحسي، من خلال تطوير وسائل وتقنيات مادية كيمائية، وإلكترونية، وكهرومغناطيسية، بهدف تجنيدها وتوجيهها وضبط سلوكها وفقا للأجندات والمشاريع والأهداف الأميركية. «وقد بدأت التجرية عن طريق عمليات نفسية وحسية، لبرمجة وعي وسلوك المجندين والعملاء والجواسيس الذين يعملون مع وكالة CIA، ومن ثم حصلت عمليات على أسرى العدو الكوريين والكوبيين وغيرهم، أثناء إجراء

التحقيقات بهدف انتزاع المعلومات، رغبة في تحويلهم إلى عملاء مزدوجين ولضمان أعلى درجات الثقة بهم.» (المراقب العراقي 2017/03/07)

وفي العام 1995 أجرت وزارة الدفاع الأميركية ابحاثاً على القسم الأيمن من الدماغ حيث توجد القشرة المتكونة حديثاً Neocortical، التي يمكن تشبيهها بمنظومة إعلامية تستقبل المؤثرات الخارجية، وتساهم في إحداث تأثيرات عميقة في العقد العصبونية Neural Nodes للعقل البشري. وتطورت الأبحاث من مستوى الفرضيات الى مستوى النظريات التي تؤكد وجود تأثيرات حقيقية على المشاهد من خلال حلقات رباعية مترابطة يرمز إليها بـOODA. وقد توسعت الأبحاث من التفكير في إرباك وبرمجة عقل شخص أو مجموعة أشخاص، إلى مستوى برمجة وتضليل وتوجيه سلوك رأي عام وعقل جماعي والتأثير على نظام سياسي، وشعب بكامله، وكذلك إستهداف جيوش ودول وأحزاب ومنظمات. «واستعيرت للغاية بعض التقنيات والوسائل التي كانت تعتمد في الإستجوابات العسكرية وفي الحرب الصلبة، وفق عقيدة الصدمة والترهيب المتغلغل في العقل الأميركي، لتمتد تأثيراته إلى التطبيقات السياسية والإقتصادية والإعلامية والثقافية، وجرى تطبيقها في برامج الحرب الناعمة». (المراقب العراقي، 2017/03/07)

وتعني عملية برمجة الوعي في مضمونها التقني كجزء من الحرب الناعمة، التأثير والتلاعب بالوعي بهدف السيطرة على الإنسان والتحكم بتصرفاته وسلوكياته ومواقفه، وتوجيهه نحو أفكار ونماذج وسلوكيات جديدة. «هي تعني إحداث نوع من الإضطراب النفسي وبلبلة الأفكار المفضية إلى حالة من التقاعس والتشوش والإضطراب النفسي والسلوكي، لأن خلق بيئة فكرية ونفسية مضطربة للأفراد والجماهير شرط لازم لتحضير الأرضية الضرورية لتقبل النماذج والسلوكيات المصممة مسبقاً». (سامي الموصلي، 2008)

وكي تحدث برمجة الدماغ، يجب تعريض الجمهور لمواد ومعطيات ومواضيع ومعلومات مركزة، بحيث يعتمد بشكل شبه كلي، في تواصله وتلقيه المعرفي والثقافي والترفيهي والإجتماعي، على وسائل الاتصال. وقد بينت أبحاثنا (الباب الرابع من الكتاب)، أن الجمهور يتعرض لوسائل الإعلام بمعدل 3- 4 ساعات يومياً، أي ما يوزاي 1000 ساعة سنوياً، مقابل 800 ساعة تعليم يتعرض لها التلامذة والطلاب في المدارس والجامعات. ويؤدي هذا التعرض لوسائل الإعلام والاتصال إلى حدوث آثار ومضاعفات هائلة في صوغ وتشويش الأذهان، وتوجيه ميول الناس النفسية والجمالية والإستهلاكية. ولكن يبقى الأخطر، برمجة الوعي الثقافي والديني والسياسي، خاصة لدى الشرائح الأكثر تعرضاً للتأثير، كالأطفال والمراهقين والشباب. (مي العبدالله، 2006)

تؤكد بعض الدراسات والأبحاث العلمية أن 80 % من مصادر التلقي المعرفي والثقافي تعود لدى الإنسان إلى المعطيات الحسية المختزنة عبر تفاعلها في الذاكرة، وإلى عمليات صناعة المعرفة الذاتية عبر الوعي واللاوعي في 20% الباقية، وهذا ما يؤكد لنا أن الجهاز المعرفي والإدراكي للإنسان هو جهاز حسي بنسبته الغالبة. وربطاً بذلك، فإن الجهاز العصبي الذي ينفّذ أوامر الجهاز الإدراكي ينفعل ويتفاعل مع المعطيات والمواد الحسية أشد الإنفعال، ويترك بصماته الفيزيولوجية والبيولوجية على الدماغ. ويستقبل العقل البشري المعطيات والمواد والرسائل الإعلامية عن طريق وسائل الإعلام والاتصال المختلفة بمعدل يصل لمليوني جزئية Beta في الثانية الواحدة، يدخل منها إلى الوعي نسبة قليلة جداً قد تقل عن 10%، في حين يذهب القسم الباقي 90% إلى اللاوعي، محدثاً آثاره البطيئة عبر عمليات التأثير وآليات الاتصال والتفاعل بين اللاوعي والوعي في أروقة وعوالم العقل الباطن». (مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2015)

يهمنا هنا شرح وتوضيح آلية عمل اللاوعي لأن له دور أساسي في متاهة التواصل الاجتماعي، حيث أن سلوك أغلبية الناس يتجه نحو اللايقين واللامبالاة تجاه القضايا الأساسية، وبينت لنا دراساتنا المسحية وجود أمواج من الضياع والتيه والتشتت الفكري والروحي والنفسي والتفسخ القيمي والإجتماعي، وتبرير وتقبل الباطل بسهولة منقطعة النظير.

فاللاوعي هو نظام تخزيني وترميزي هائل في الذاكرة، ومن الناحية التقنية تحصل عمليات التفريغ والإستبدال لمعطيات ومكونات الوعي بما يشبه تقنية الإثقال البصري المعروفة، التي تقوم على تحميل الوعي كمية مواد بصرية وسمعية أكثر من قدرته على التحمل، فتحدث عملية الإفاضة، فيدفعها ويصدرها بالضرورة إلى اللّاوعي، مضخماً إياها بأجزاء من المعلومات والصور والأفكار والآراء، التي لم يجر معالجتها وتصنيفها وتصريفها بحكمة ورشد ووعي. وكلما امتلأ العقل الباطن بها زادت نسبة تشوش الجهاز الفكري والنفسي للفرد، فالعقل الباطن والعقل الظاهر يتعاكسان في الطبيعة، وكلما اشتدت فعالية احدهما ضعفت فعالية الآخر. وهذا ما يؤدي في النهاية إلى عدم الإنسجام والتوازن، بل قد يحدث الصراع بين العقل الباطني والعقل الظاهر، فينتج عن ذلك سلوكيات مزدوجة كالنفاق والرياء والتناقض بين الأقوال والأفعال. (نعومي كلاين، 2009)

3- العبثيّة التكنلوجيّة:

تترك التكنلوجيا بصماتها الاستباقية في العقول والقلوب، قبل استلام أيّة رسالة إعلاميّة، وهذا ما أشار إليه مارشال مكلوهان Mac Luhan، ومبتكر علم الميديولوجيا ريجيس دوبريه Régis Debray. ويعد المراهقون والشباب

وأبناء الجيل الجديد، من أكثر المستهلكين لخدمات التلفزيون والإنترنت وفق إحصاءات مراكز الأبحاث العربية والدولية. ومن أبرز نقاط قوة الحرب الناعمة المستندة إلى وسائل الإعلام والاتصال، أنها تحقق ثلاثة أهداف: الإستلاب والإبهار والتشويش العقائدي.

ينبهر المتلقي بصورة عفوية وتلقائية بالتكنلوجيا، ويبدأ بالإلتحاق بالشعارات والنماذج والقيم التي تحملها في طياتها، وهو ما يسميه «جوزيف ناي قوة الرواية الأميركية لنموذج الإنسان العصري»، وقصة النجاح الأميركية، والحلم الأميركي، أي نموذج الإنسان التكنولوجي الرقمي الحر والليبرالي المتفلت من الأيديولوجيا الدينية والقومية، والذي يحمل الهاتف الذكي، ويأكل المأكولات السريعة من المطاعم الأمريكية، ويلبس اللباس الأميركي، ويفكر وفق المناهج الأمريكية، ويأخذ علمه من المصادر الأمريكية، ويتكلم اللغة الإنكليزية، ويعجب أخيراً بالسياسات الأمريكية.

وحتى إن لم تؤدِ القوة التكنولوجية الساحرة إلى الجذب والإذعان، كما قال جوزيف ناي، فهي ستفضي بالضرورة، بالحد الأدنى، إلى حالة من التشوش والإضطراب القيمي والسلوكي لدى الجمهور المتلقي، وإلى حالة من اللاإيمان العقائدي واللايقين النفسي، وتدفع إلى نوع من العبثية واللامبالاة، وهي الأرضية الملائمة والخصبة لنمو وازدهار موارد وبرامج القوة الناعمة. (Joseph Nye, 2015)

ومن أبرز نقاط قوة الحرب الناعمة أيضاً، البرمجة المتدرجة، فعملية برمجة الوعي تحصل بصورة متدرجة وبطيئة وخفية وسلسة، وفق أدوات وأساليب ناعمة وماكرة، ولا يأتي التأثير بصورة فورية ومباشرة وقهرية وإكراهية كما في الحرب العسكرية. من هنا تختلف الحرب الناعمة عن الحرب العسكرية التي تنتج مفاعيلها بصورة قهرية ومحسوسة ومادية وظاهرة للعيان، ولا تنغرس في الوعي، بل تفرض المفاهيم قهراً على العقول والقلوب والأبدان. وهي مؤثرات تحفر عميقاً في النفس والقلب والعقل من خلال مجموعة أدوات يومية تمسّ حاجات الناس. فوسائل الإعلام والاتصال تقدّم الترفيه والتسلية والمسلسلات والأخبار، والدردشة والتواصل الإجتماعي، والتصفح الحر على الإنترنت، وفي المجال الثقافي والتعليمي، تقدّم المناهج العلمية الأمريكية والغربية، ما يسمى ب «العلوم الناعمة». (نعومي كلاين، 2009)

في مجال التنمية، تمارس الحرب الناعمة من خلال تقديم التمويل للمشاريع الأهلية والبلديات، والقروض والتدريب، وفي المجال السياسي، من خلال التدريب على الديموقراطية والترويج لمعايير حقوق الإنسان وتعليم وسائل

المعارضة وتنظيم الإحتجاجات والتعبئة، وفي مجال الحريات، ترفع شعارات الحرية الفردية والفكرية والشخصية وحرية النقد والتعبير عن الرأي. وفي المجال الإقتصادي، ترفع شعارات الفرص والأعمال والربح والتجارة، والحياة الرغيدة والرخاء.

وتعد شبكات الإنترنت، وخاصة شبكات التواصل الإجتماعي الأخطر على الإطلاق من بين أدوات القوة الناعمة لما لها من ميزات في استدراج الشباب الى ساحة حميمية تتيح لهم خيارات تفاعلية وتواصلية واسعة، وتقدم لهم مواداً بمعزل عن أية رقابة أو توجيه، فتحدث لديهم نوعا من الإدمان المفضي إلى التقاعس والتخاذل واللامبالاة، وتشوشات في رؤية القضايا والأحداث، واضطراب في الحكم والتقييم على الوقائع والأشخاص، لدرجة أن الإنسان يفقد الإيمان والعقيدة الراسخة والهوية الثقافية.

والحرب الناعمة بالتأكيد لها أدواتها ووسائلها، ويمكن القول إن الهواتف الذكية اليوم تعدّ من الوسائط الأخطر والأشد فتكاً بالجهات المستهدفة. كما أن الفضائيات والأفلام الهوليوودية والمسلسلات تحتوي مشاهد عنف وقتل بدمٍ بارد، وقد انتقلت الأفلام الهوليودية من الخراب المادي إلى الخراب القيمي، وأصبحت تعرض صور الديستوبيا Dystopia، المستمدة من الأدب الديستوبي أي أدب المدينة الفاسدة أو عالم الواقع المرير. «هو أدب خيالي يصور المستقبل بصورة سوداوية ونظرة تشاؤمية، يعمّه الفساد أينما كان وتنتشر به الفوضى والاستبدادية، ويحكمه نظام شمولي يسيطر عليه الشر بجميع أشكاله وأنواعه. وأغلب هذه الأفلام ذات رسالة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية تنتهي بالإيحاء لأن منقذ البشرية الوحيد هي أمريكا». (محمد علي جعفر، 2016)

وتعمل موارد وأسلحة القوة الناعمة بوسائل وواجهات مدنية وتنموية وإعلامية وإنسانية. على سبيل المثال، كانت شبكة قنوات BBC البريطانية حتى سنوات قليلة مضت، تابعة رسمياً لهيئة الاتصالات والرصد الحكومية الخاصة بمنظومة الجيش البريطاني، ومن ثم تم ربطها بوزارة الخارجية البريطانية، وبقيت بصورة رسمية وعلنية حتى عام 2013 على هذا النحو. وللقناة شبكة مراسلين في كل أصقاع العالم، يتجولون ويعدون التقارير والاستطلاعات ويجمعون أدق المعلومات. ووكالة رويترز للأنباء، تعد الجهاز العلني للمخابرات الخارجية البريطانية في MI6، فهي تحصل على أدق المعلومات الفورية بصورة علنية وبعنوان إعلامي. ووكالة التنمية الدولية الأميركية USAID هي الفرع الخارجي التنموي لوكالة CIA وتدار من قبل وزارة الخارجية الأميركية وسفارتها المنتشرة حول العالم. وفي ضوئها، «تعتبر جميع وكالات الأمم المتحدة المتخصصة الإغاثة واللاجئين والزراعة والطفولة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP،الخ، ضمن الأجندة

الأميركية الناعمة، وهي تستطيع العمل في كل الساحات تحت هذه العناوين. فضلاً بطبيعة الحال عن قوات حفظ السلام الدولية». (سامي الموصلي، 2008)

في مجال التنمية والخدمات، تتسلل القوة الناعمة عبر منظمات المجتمع المدني والمنظمات الأهلية التي تبحث عن التمويل والدعم لمشاريعها، وهكذا يحدث التسلل عبر وكالات منظمة الأمم المتحدة المتخصصة UNDP، وهي بنظر الجمهور منظمات إنسانية تنموية اعلامية جاءت للمساعدة.

ومن أهم نقاط قوة الحرب الناعمة إستخدامها لترسانة من المصطلحات والكلمات الرنانة، التي تضع الآخر في مواقع الدفاع ورد التهمة، مثل الهيمنة والديموقراطية، والظلم وحقوق الإنسان، والإرهاب والسلام، والتخلف والحداثة، والانفرادية والتعاون. من هنا تعتمد المؤسسات الإعلامية الأميركية والغربية الكبرى عامة على أساليب مدروسة لتوجيه الرأي العام كتجزئة الأخبار، وتأطير القضايا وقولبة الأحداث، وتفريغ الرموز وتوجيه المعطيات، وصناعة الكلمات والمصطلحات المضللة. (مي العبدالله، 2004)

وتستند آلة الحرب الناعمة على استراتيجية عدم قدرة الطرف الآخر على التقاط أنفاسه وحزم أمره وتجهيز نفسه للرد على تلك المصطلحات والكلمات، وعدم تمكنه من توضيحها وكشفها أمام الجمهور، «لأن عامل الزمن وقلة الإمكانات الإعلامية تخدم الطرف المهيمن على المجال الإعلامي. وقديماً قال المفكر الأميركي مارك توين Mark Twain: يمكن لكذبة واحدة ان تقطع نصف العالم قبل أن تتهيأ وتتحضر الحقيقة للظهور والبيان». (محمد علي جعفر، 2016)

ثالثا: «القوة الحادّة» و«الحرب البيولوجيّة»

1 - الدعاية والغزو الثقافي:

الدعاية هي اليوم علم قائم بذاته من علوم الإعلام والاتصال، يتدخل فيها فن الإقناع الذي تقوم قواعده على كسب مظهر الصدق، لكسب ثقة الجمهور المراد إقناعه. (مي العبدالله، 2006) وقد تحولت الحرب في العصر الحديث من استهداف الجنود والمقاتلين، إلى التوجه نحو الجماهير، بواسطة الغزو الفكري والثقافي، وتعميم أنماط الحياة والاستهلاك من خلال وسائل الإعلام والاتصال، التي تشن حربا شاملة على ثقافات الأمم وحضاراتها وتاريخها وتراثها ولغتها. وأصبح الإعلام مجرد «قذائف من الكلمات» يتم اختيارها بعناية وصياغتها بحساب دقيق، أو هو «قصف للعقول» يستهدف تشكيك العدو وجنوده في قضيتهم، وهدم ثقتهم بقيادتهم وحكومتهم، وبقدرتهم على تحقيق النصر. (عبد الستار قاسم، 2009)

من المفترض أن تشكل وسائل الإعلام والاتصال سلطة أساسية من سلطات الأنظمة الحاكمة، وأن تمارس دور الرقيب الحريص على مصالح الناس بمسؤولية إجتماعية، وأن تحرص على نقل الحقائق لهم دون تزييف أو تزوير. إلا أنها في الواقع، وفي كل العالم، مموّلة في من أصحاب السلطة والنفوذ، يعني هي معنية بالترويج لنفسها ولأفكارها وسياساتها. وجهات التمويل هذه، تشترط سلفا على الوسيلة والعاملين فيها التقيد برغباتها، ولذلك هبط الإعلام إلى مستوى «خداع» الناس. ولكي نفهم أبعاد الدعاية والغزو الثقافي، لا بد أن تتوقف أمام أمر ينطلق منه الإعلام الغربي ويدركه جيدا، وهو أن الجماهير يمكن التحكم بها، وتشكيل توجهاتها، وصبّ وعيها في قوالب جاهزة، كما يمكن صناعة هذا الوعي بمواصفات مُحددة كحال أي سلعة تجارية قبل عرضها في الأسواق. لذلك يتم رصد أموال طائلة لهذه الصناعة المربحة بالتأكيد، ولإحكام القبضة على الراي العام العالمي. وفي حقيقة الأمر، إن ما نسمعه عن وقائع شراء صحف وكتّاب بغرض توجيه الرأي العام بأفكار ورؤى بعينها، هو أمر بات مألوفًا، على الرغم من أنه يدخل ضمن ما يسميه نعوم تشوميسكي Noam Chomsky «عمليات النصب المالي والمعنوي». (Noam Chomsky, 2017)

في هذا الإطار، إتجهت بعض الدول منذ سنوات إلى استخدام القوة الناعمة للحفاظ على مصالحها، وضمان حضورها الفاعل عن طريق التأثير على العقول وكسب العواطف، ودراسة سلوكيات الشعوب واتجاهاتها وميولها. وارتكزت على قيم التسامح وقبول الآخر، واستخدمت مختلف أساليب القوة الناعمة لتحدث تاثيرات أقوى وأعمق من النمط التقليدي الذي كان مستخدما لعقود، والذي تمثّل

باستخدام القوة الصلبة لتحقيق المكاسب. من هذه الأساليب «الدبلوماسية الناعمة» التي تقضي بإدعاء معالجة الأزمات والتحديات الدولية التي تواجه الحكومات، ودعم ومساندة الدول في عدد من القضايا، والتمهيد لإبرام الاتفاقيات والمعاهدات الاقتصادية والتحالفات.

كما تعد القوة الناعمة في الوقت الحاضر أداة أساسية لزيادة النفوذ والحضور الفاعل، القائم على استراتيجية تعزيز سمعة الدولة وصورتها الذهنية ومكانتها على المستويين الإقليمي والعالمي، حتى أنها مكّنت بعض الدول من نشر وتأمين سياستها الخارجية، ومهّدت الطريق لجذب المزيد من حلفائها عبر الدبلوماسية الناعمة. (ناصر الهزاني، 2018)

2- مصادر وأدوات «القوة الناعمة»:

قد يحدث خلط في توظيف الفهم الحقيقي للقوة الناعمة ومعرفة طبيعتها، حيث يرى البعض أنه يمكن إطلاق مفهوم القوة الناعمة على كل الأنشطة والوسائل غير العسكرية التي تدخل ضمن نطاق القوة الصلبة، وهذا فهم من زاوية أخلاقية لكونه بديلا عن القوة العسكرية الصلبة، لكن حقيقة القوة الناعمة تتعدى ذلك لتشمل صناعة الخطاب الإعلامي، وتشكيل الصورة الذهنية، وتسويق سمعة الدولة لشعوب العالم. (ناصر الهزاني، 2018)

تتعدد مصادر وأدوات القوة الناعمة التي يمكن استخدامها، ومن أهمها الأدوات الثقافية كالشعر والفنون والآداب بما تحمله من موروث شعبي متنوع وعادات، إلى قوة الإعلام والاتصال، وقوّة المعلومات وخطورتها وأهميتها الكبيرة في السياسة الدولية. ومن أبرز أشكال القوة الناعمة التي تستخدمها الدول حاليا للتأثير على المجتمعات، عقد المؤتمرات، سواء بين القادة لمناقشة قضاياهم المشتركة، أو بين النخب المثقفة، أو بين مختلف مكونات المجتمع، كما أصبحت تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعية هي الأخرى قوة ناعمة مؤثرة في الجمهور.

لذلك تعد ثقافة المجتمع ومدى انتشارها إقليميا وعالميا من مؤشرات قياس القوة الناعمة، سواء كان هذا الانتشار عبر المنتج الأدبي وتعزيز جهود الترجمة للإبداعات الفكرية والفنية، أو من خلال الثقافة المجتمعية الشعبية المتنوعة بتنوع المناطق، وما تنتجه من فنون مختلفة، إضافة إلى المشاركات الرياضية وتحقيق البطولات والمراكز المتقدمة. كما أن التعليم هو حجر الزاوية، إذ يعد استقطاب الطلبة الأجانب من مختلف الدول عاملا مهما يسهم في تعزيز القوة الناعمة للدول. ويعتبر وجود أنموذج اقتصادي محفز وتقدم تكنولوجي يجذب الدول لإقامة علاقات شراكة واتفاقيات متنوعة، من أهم المؤشرات على فعالية القوة

الناعمة لأي دولة. كما تؤشر أيضا استطلاعات الرأي العام التي تجريها مراكز الدراسات والأبحاث المنتشرة في مختلف دول العالم إلى القوة الناعمة، وتحلل هذه الاستطلاعات وتخرج بنتائج تساعد في رسم السياسات المحلية والدولية.

عندما أراد الرئيس الأمريكي دونالد ترمب منع عدد من مواطني بعض الدول من دخول أمريكا، إستخدم القاضي الفيدرالي صلاحيته لإيقاف قرار الرئيس، حيث امتثلت السلطات لذلك. قد يرى البعض أن هذا الحدث طبيعي ويحدث دائما، لكن توظيفه بطريقة ذكية عزز من سمعة الولايات المتحدة كدولة، وأضاف إلى رصيد قوتها الناعمة داخليا وخارجيا.(Joseph Nye, 2018)

ومن الأمثلة البارزة، نرى كيف استدركت الصين أهمية القوة الناعمة، وسعت إلى تعويض ما فاتها من خلال الاستثمار في دفع مبالغ كبيرة لإنشاء معاهد لتصدير الثقافة الصينية، واستقدام طلبة للدراسة في الصين، والحضور عبر مختلف المحافل والأنشطة، بهدف تحسين صورتها وزيادة رصيدها من القوة الناعمة، رغم تقدمها التكنولوجي الكبير. وسعت الصين إلى تحسين سمعتها وتغيير الصورة السائدة عنها في أوروبا وأمريكا، حيث قطعت أشواطا متقدمة في صناعة سمعتها الجيدة في كثير من البلدان الأفريقية واللاتينية.

ومن جهتها، أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة حديثًا عن تأسيس «مجلس القوة الناعمة لدولة الإمارات العربية المتحدة». وقد سعت دولة الإمارات منذ نشأتها إلى الاهتمام بسمعتها للترويج لمكانتها وتعزيز نشاطها الاقتصادي، فأطلقت مهرجانات التسوّق والمعارض العالمية، وبنت أماكن الجذب السياحي (مثل أعلى برج في العالم)، وأدركت أخيرًا أنها في انطلاقتها نحو المستقبل لا بد لها من رسم استراتيجية موحدة لقوتها الناعمة لتعزيز سمعتها إقليميًا وعالميًا وترسيخ احترامها ومحبتها بين شعوب العالم، فأسست «مجلس القوة الناعمة» لتطوير استراتيجية للقوة الناعمة للدولة، كي تشمل مختلف المجالات العلمية والثقافية والفنية والإنسانية والاقتصادية، «بهدف ترسيخ التواصل على المستوى الشعبي مع المحيط الإقليمي والعالمي، وإقامة علاقات دائمة مع هذه الشعوب على المستويات الاقتصادية والسياحية والاستثمارية، والوصول بها إلى مستويات جديدة بصورة أسرع بكثير من غيرها». (مؤسسة دبي للمستقبل، 2017)

وفي المملكة العربية السعودية يتم توظيف الحرب الناعمة في نقل صورة عن الدولة وخدمتها للحرمين الشريفين والحجاج. ويعد برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي أحد أكبر مصادر القوة الناعمة للسعودية، فالمبتعثون يعتبرون قادة المستقبل، ومن خلال تواجدهم يمكن بناء علاقات صداقة مع مختلف المؤسسات العلمية، والمشاركة أيضا عبر الفعاليات الثقافية والعلمية. والطلبة الدوليون عندما يعودون إلى أوطانهم من المفترض أن يحملوا تقديرا

أكبر لقيم البلد الذي درسوا فيه وللمؤسسات التعليمية التي تخرجوا فيها. من هنا يشكل الطلاب الذين درسوا في أمريكا مثلا، رافدا إيجابيا في تحسين صورة المملكة. وكثير من هؤلاء الطلبة السابقين كما يقول جوزيف ناي ينتهي بهم الأمر إلى احتلال مراكز يستطيعون من خلالها التأثير على نتائج السياسة المهمة للأمريكيين. (ناصر الهزاني، 2018)

بالتالي، لا يقتصر إستثمار القوة الناعمة على الدول الكبرى كالولايات المتحدة، إذ يقول ناي، إن عددًا من الدول الآسيوية تمتلك مصادر محتملة مثيرة للإعجاب. ذلك أن فنون وثقافات آسيا القديمة وأزياءها ومطابخها، كان لها من قبل تأثير قوي على أجزاء العالم الآخر طيلة قرون. (Joseph Nye, 2004) وبالإضافة إلى المد الثقافي للصين واليابان، يؤكد ناي على أن بلدان آسيوية صغيرة كسنغافورة وكوريا الجنوبية وماليزيا وغيرها اتبعت إستراتيجية اليابان بشكل وثيق لاستهداف الصناعات الإستراتيجية لتحقيق التنمية، وتمويل مشاريع كبرى والتصدير بقوة هجومية، وحماية صناعاتها الناشئة.

وللقوة الناعمة آثارها في استقطاب السياح وإنعاش قطاع السياحة للأمم عبر الترويج لها من خلال قنوات فنية أو ثقافية. وقد نجحت بعض الدول في الوصول إلى شرائح واسعة من السياح الأجانب عبر الأفلام أو المسلسلات. وتُعد تركيا من الدول التي تمكنت من الترويج لقطاع السياحة عبر المسلسلات المدبلجة، وسبق أن أشارت تقارير محلية، العام الماضي، إلى أن المسلسلات التركية حلت في المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتحدة.

ويقول أكاديميون أتراك إن المسلسلات التركية يتم تصديرها إلى 102 دولة حول العالم، وتأتي الدول العربية في مقدمة المستوردين لها، في حين لا يخفي مهتمون بالساحة الثقافية العربية استياءهم مما أسموه غزوًا فكريًا ممنهجًا، يهدف إلى تلميع صورة تركيا عربيًا. «وتمتاز الدراما التركية بالاهتمام بالشكل، من أماكن التصوير الجذابة، إلى اختيار الممثلين، وتطرح قضايا تمس عاطفة المتلقي كالمواضيع الرومانسية، ويبدو أن لهجة الدوبلاج المحكيّة السورية لعبت دوراً في تقبل المشاهد العربي لها، وهي اللهجة ذاتها التي تم تقديم الدراما السورية الناجحة من خلالها». (ناصر الهزاني، 2018)

وعلى الرغم من أن الكثير من الباحثين يعتبرون أن سياسة «القوة الناعمة» مستحدثة، إلا أن البحث في تاريخ الحضارات القديمة يؤكّد توجه عدد من إمبراطوريات الشرق إلى استخدامها، كالحضارة الفرعونية، إذ أثبتت بعض الآثار أن حكام مصر القدماء كانوا يروّجون لحكمهم في المناطق المستولى عليها عبر نشر رموز سيادية، كالخنافس الذهبية المكتشفة في مناطق فلسطين وسورية. وعمدت الحضارة الفارسية إلى إنشاء صروح في المناطق المستولى عليها في

الهلال الخصيب، وصفها علماء الآثار بأنها كانت بمثابة «دعاية سياسية» للحكام للدلالة على عظمتهم، والأمر ذاته تكرر بعد غزو الرومان لمناطق شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط، ما يظهر جليًا من خلال المدرجات والأبنية الرومانية. (Joseph Nye, 2004)

3- «القوّة الحادة»:

ظهر مؤخرا مفهوم جديد، هو مفهوم «القوة الحادة» Sharp Power، صاغه مجموعة من الباحثين من مناطق مختلفة، في تقرير نشره «الصندوق الوطني للديمقراطية» الأميركي NED. وقد أشار التقرير إلى دور القوى العالمية الصاعدة (الصين وروسيا) في التأثير على الدول والمجتمعات الأخرى، ليس عن طريق الإقناع والجذب، أي «القوة الناعمة»، ولكن من خلال التشتيت والتلاعب، عبر استخدام الإعلام والثقافة ومراكز الأبحاث. ويشير المفهوم إلى محاولات هذه السلطات لتصدير نموذجها السلطوي القمعي إلى الخارج، من خلال استغلال انفتاح المجتمعات الديمقراطية، لاختراقها والتأثير على توجهات مواطنيها. (مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2015)

وينشط مفهوم «القوة الحادة» في المجتمعات المنتقلة حديثاً إلى الديمقراطية، والتي لم تصل بعد إلى مرحلة التماسك والرسوخ الديمقراطي، كما هي الحال بالنسبة لأفريقيا وشرق أوروبا، أو للمجتمعات التي شهدت انتفاضات وثورات، ولم تنجح في بناء أنظمة ديمقراطية مثل مجتمعات الدول العربية. ومن الملفت أن ثمّة تحالفاً بين السلطويتين، الصينية والروسية، والنخب الحاكمة في البلدان التي انتكست ديمقراطياً كسوريا وبولندا وبيلاروسيا. وتعتمد «القوة الحادة» على قوة الإعلام والشبكات الاجتماعية، من أجل نشر الأكاذيب، وحمل الناس على التشكيك في قيم الديمقراطية وحرية التعبير. كما تستخدم تقنيات الاختراق المعلوماتي من أجل التأثير على معتقدات المواطنين وأفكارهم، وقراراتهم تجاه القضايا الأساسية.(علي زياد العلي، 2017)

تتميز برامج الأسلحة البيولوجية بأنها أكثر من مجرد برامج نووية، وبأنها تخضع لأكبر قدر من السرية منذ الحرب العالمية الثانية. وقد تم اختبار البرنامج الأول وتطويره من قبل اليابانيين في الوحدة 731. في عام 1937، استخدموه ضد أسرى الحرب الذين كانت تتسبب لهم بمعاناة شديدة تؤدي دائمًا إلى الموت. وقد أرست هذه الممارسات، التي تتضمن بالطبع السرية المطلقة، الأسس التكنولوجية لجميع برامج الأسلحة البيولوجية الحالية. وخلال تجاربهم، أدرك اليابانيون أن الجراثيم يصعب استخدامها، فهي هشة ولا يمكن السيطرة عليها. وكانت اختباراتهم المختلفة، سواء عن طريق نشر الطائرات أو القصف الجوي بالبراغيث المصابة

أو القنابل المحملة بالمسامير، مخيبة للآمال في البداية. بعد ذلك، تمكنوا من تحسين تقنياتهم وتحقيق النتائج، و«بدلاً من إخضاع اليابانيين لغضب العدالة بسبب جرائم الحرب، فضل الأمريكيون والسوفيات إعادة استخدام مهاراتهم، في سرية تامة، من أجل نقل برامجهم البيولوجية إلى المرحلة الصناعية». (ميدل أيست أونلاين، 2002)

إعتماد السرية هو أسلوب ثابت في الحرب البيولوجية. في عام 1942، اندلع «وباء التولارميا»، أولاً في صفوف الجيش الألماني، ثم في جميع أنحاء منطقة القوقاز. في وقت مبكر من عام 1946، حاولت السلطات الأمريكية تحقيق الشفافية، ولهذا، قررت رفع الحجاب عن أبحاثها التي أجريت خلال الحرب، وإيجاد وسائل غير تقليدية لهزيمة الأعداء غير الأخلاقيين، مثل النازيين واليابانيين. لكن ردة فعل الرأي العام كانت معادية، حيث ظهر الخوف من الأوبئة العظيمة على الفور، وترجم في ملصق دعائي كوري من حقبة الحرب الكورية: «تلقيح الجميع لسحق الحرب البكتريولوجيّة التي تشنّها الإمبرياليّة الأمريكيّة». (Eric Martel, 2020)

لاحقا، تمّ تأكيد تورط الجيش الأميركي في الحرب البيولوجية، من خلال البحث الذي قام به الأمريكيون في الستينيات، عندما قاموا بنشر ما يسمى بالجراثيم غير الضارة في عدة مدن في الولايات المتحدة. هزت الاكتشافات المتعددة المتعلقة بحرب فيتنام، والبرامج العسكرية المختلفة ثقة الجمهور. وقد ألقى اكتشاف العديد من الحوادث في المختبرات العسكرية في فورت ديتريك Ford Derrick، المركز الرئيسي لإنتاج الجراثيم المعسكرة، الضوء على برنامج الحرب البيولوجية. في 25 نوفمبر 1969، قرر ريتشارد نيكسون Richard Nixon أنه في زمن الردع النووي، حان الوقت للتخلي رسميًا عن تصميم وإنتاج أسلحة بيولوجية هجومية.

في عام 1972، وقّعت أكثر من مائة دولة، بما في ذلك القوى الكبرى، على اتفاقية تحظر تطوير وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوجية. لكن هذه المعاهدة لها عيبان أساسيان. أولا، أنها لا توفر آلية للتحقق، ومن ناحية أخرى، لا فرق واضح بين ما يسمى بالبحث الهجومي والدفاعي. وبعبارة أخرى، يمكن للأمة أن تستمر في البحث عن الفيروسات أو البكتيريا التي يمكن أن تستخدم كأسلحة حرب، إذا كانت تبرر أنها تسعى لحماية نفسها من هجوم بيولوجي للعدو، أو ظهور وباء طبيعي. من ناحية أخرى، تحظر هذه المعاهدة بوضوح الإنتاج الضخم للجراثيم للاستخدام العسكري. أما اليوم، فتعتمد روسيا والولايات المتحدة والصين، من بين دول أخرى، على هذه الناحية الرمادية، لإجراء أبحاث عسكرية سرية للغاية حول الجراثيم. (ميدل أيست أونلاين، 2002)

من أواخر السبعينيات حتى عام 1991، سيطور الاتحاد السوفييتي أسلحة بيولوجية على مستوى لم يسبق له مثيل. فتحت رعاية القيادة العسكرية الخامسة عشرة والمنظمة التي يُزعم أنها مكرسة لإنتاج اللقاحات والأدوية Biopreparat، يقوم ما بين 30 و60.000 شخص بتطوير وإنتاج كميات كبيرة من الجراثيم المعدية. يقول كين أليبيك Ken Alibek نائب مدير «بيوبريبارات» السابق، أن السوفيات كانوا قادرين على إنتاج جراثيم كافية للقضاء على الجنس البشري. وبسبب كون الاتحاد السوفياتي يخرق اتفاقية الأسلحة البيولوجية لعام 1972، فإن هذا البرنامج سري تمامًا، وبحكم سريته 1979، تمكنت السلطات السوفياتية عندما وقع حادث تسبب في وفاة مائة شخص، من جعل الناس يعتقدون أنه كان وباءًا طبيعيًا مرتبطًا باستهلاك اللحوم الفاسدة. ولم تعرف الحقيقة حتى عام 1992 بفضل سقوط الاتحاد السوفييتي.

كان الباحثون السوفيات أيضًا أول من ابتكر فيروسات عن طريق التلاعب الجيني. وهكذا نجحوا في تكوين فيروس قادر على إحداث مرض مناعي ذاتي مدمر، يقوم بسببه الجهاز المناعي للكائن المصاب بتدمير أعضائه، ولم يتم الكشف عن اتساع البرنامج السوفياتي ولم يتم نشره للجمهور حتى عام 1998. (Ken Alibek, 2001)

اليوم، يمكن الوصول بسهولة إلى المعالجة الجينية للجراثيم، خاصة بفضل تقنيات التصنيع في المختبر، التي تسمح بتوليف الحمض النووي بناء على بيانات الكمبيوتر. ومن الصعب نسبياً التمييز بين البحث المدني والعسكري، ويساعد التلاعب الجيني للفيروسات أو البكتيريا على فهم كيفية عملها بشكل أفضل. وهكذا دافعت إدارة الرئيس الأميركي بوش الأبن عن تصميم فيروسات هجومية جديدة من أجل السماح بتصميم إجراءات دفاعية فعالة. وفيما يتعلق بالصين، كان لها نشاطًا مهمًا في إنتاج الجراثيم المعسكرة في الثمانينيات وقد تخلت عنها فيما بعد، خاصة منذ أن وقّعت في عام 1984 على اتفاقيّة الأسلحة البيولوجيّة. ومع ذلك، فمن المرجّح جدًا أن الصين، مثل الولايات المتحدة وروسيا، تبحث عن جراثيم للاستخدام العسكري. (ميدل أيست أونلاين، 2002)

كما يظهر تاريخ الأسلحة البيولوجية، يمكن أن تقع الحوادث في أي وقت، وأن تكون الجراثيم غير مرئية. وهناك العديد من الروايات عن تسرب الحيوانات الملوثة بعد التجارب، ومن الواضح أن مستويات الأمان الحالية أعلى بكثير، لكن الجراثيم لديها قدرة مدهشة على الانتشار، وأطروحات المؤامرة ليست على وشك التلاشي في منطقة يسود فيها الغموض المطلق. مع ذلك، فإن قلق الجمهور، سواء تم التعبير عنه بطريقة عقلانية أم لا، لا يمكن إلا أن يشجع الباحثين على زيادة الإجراءات الأمنية التي تكبر الحاجة إليها في منطقة شديدة الحساسية. (Eric

Martel, 2020)

عند ظهور الفيروس التاجي Sars-Cov-2 في مطلع سنة 2020، في أصل وباء Covid-19، انتشرت شائعات عديدة تشير إلى أنه من أصل بشري، وأنه ناتج عن التجارب على الجراثيم أو التلاعبات الجينية. وتستند أطروحات المؤامرة هذه إلى حقيقة أن مختبر الأبحاث البيولوجية الوحيد المصنف P4 في آسيا يقع في مدينة «ووهان» الصينية وأنه يستفيد من الحد الأقصى من الأمان. وقد نشرت شائعات أخرى فكرة أن الجراثيم تم نقلها عن طريق الخطأ من قبل أحد الباحثين، أو بواسطة الحيوانات التي استخدمت في التجارب السرية. إذا كان من الواضح أن معهد علم الفيروسات في ووهان ليس له مهنة عسكرية وأن السارس - Cov-2 ليس سلاحًا بيولوجيًا «تم تسريبه»، فإن الحدود بين البحث البيولوجي للاستخدام المدني أو العسكري ليست واضحة ونهائية كما يبدو. والمؤشرات الموثوقة تجعل من الممكن تحديد ما إذا كان البلد قد شرع في برنامج إنتاج الأسلحة البيولوجية أم لا. (عبد الحفيظ يحيى خوجة، 2020)

هناك خطورة كبيرة على البشرية جمعاء من الأسلحة البيولوجية المتوفرة في العديد من الدول، ذلك أنها تنتج من منشآت صغيرة، ويمكن إخفاؤها، كما أن تكلفتها المادية غير باهظة. والخوف هو من إنتاج مواد بيولوجية أشد خطورة، كتلك التي تؤثر على جنس من البشر دون الآخر. أو يمكن إنتاج مواد تؤثر على القدرات الجسدية أوالعقلية ، أو تسبب التصاق المادة السامة بالمادة الجينية، أو الحصول بالاستنساخ على ما يسبب الإبادة الجماعية.

والحرب البيولوجية هي الحرب التي تستخدم فيها الفيروسات والجراثيم والاوبئة المفتعلة كسلاح ضمن حرب كبرى، وهي تختلف عن الاسلحة الكيميائية او النووية وتعتبر جزءا من هذه الاسلحة التي تلجأ اليها الدول لتحقيق مصالحها عبر الحروب. ومن الطبيعي في هذا السياق ان نعلم ان الولايات المتحدة بدأت برنامجها للاسلحة البيولوجية منذ الحرب العالمية الثانية، وتحديدا العام 1941. ومع تطور قدرات الولايات المتحدة في هذه الاسلحة، واستخدامها في اكثر من مناسبة في التاريخ الحديث، أصبح مصطلح «الارهاب البيولوجي» متداولا. (فاروق عطية، 2017)

عند ظهور فيروس «كورونا» COVID-19 في مطلع سنة 2020في الصين، وتفشيه في كل العالم، وإحداثه للفوضى في الدول التي ظهر فيها، كان من المنطقي ان يربط المراقبون بين هذا الفيروس والحرب البيولوجية التي تبرع فيها الولايات المتحدة. ويعتبر كورونا من عائلة فيروس «سارس» الذي ظهر في الصين ايضا ما بين عامي 2002 و 2004، وهو من الفيروسات التي يعمل عليها بيولوجيا لكي تكتسب القدرة الوظيفية على الانتشار بين البشر مما يمنحه صفة سلاح بيولوجي

هجومي. وقد أجرى فرانسيس بويل Francis Boyle، رئيس لجنة صياغة قانون مكافحة الأسلحة البيولوجية المعتمد دوليا، مقابلة كشف فيها امورا مهمة في هذا السياق، وقد أشار إلى أن الأسلحة البيولوجية (ومن ضمنها الفيروسات) تُصَنَّع وتُطَوَّر في مختبرات خاصة تعرف بإسم مستويات السلامة البيولوجية أوBSL) (، وهي تبدا بمستوى 1 حتى مستوى 4. وهي تحديدا مجموعة من احتياطات المكافحة الحيوية اللازمة لعزل العوامل البيولوجية الخطرة في مرفق مختبر مغلق.

إن الولايات المتحدة تمتلك 12 مختبرا من المستوى الرابع أي BSL-4 ، فيما تعمل على انشاء مختبر جديد في ولاية منهاتن. والمستوى الرابع (وهنا الامر المهم) هو المستوى المناسب للعمل مع العوامل (الفيروسات) التي يمكن أن تنتقل بسهولة إلى الهواء داخل المختبر وتتسبب في حدوث أمراض قاتلة شديدة في البشر، والتي لا توجد فيها لقاحات أو علاجات متاحة. يقول بويل إنه يمتلك ادلة قاطعة بان الفيروسات المطورة، واخرها كورونا أتت من مختبرات الاسلحة البيولوجية في جامعة كارولينا الشمالية في الولايات المتحدةNorth Carolina University. وقد نجح المختصون في هذا المختبر في منح الفيروسات عملا وظيفيا للانتقال والانتشار بين البشر. كما نجحوا في هندسة الحمض النووي وراثيا وهو ما يتعلق بالحروب البيولوجية بما في ذلك «ميرس» و»متلازمة الشرق الاوسط» وفيروس «كورونا». (Francis Boyle, 2005)

الملفت أن اشخاصا من ادارة الغذاء والدواء الاميركية شاركوا في هذه الابحاث وتمت بعلمهم، كما تم تحت اشراف ما يعرف بإسم «فورت دتريك « Fort Detrick أي القيادة الطبية في الجيش الاميركي، وهي مركز برنامج الأسلحة البيولوجية الأميركي الذي تحول فيما بعد عام 1969 الى مركز لمعظم نشاطات برنامج الاسلحة البيولوجية للولايات المتحدة .هنا قد نستطيع الربط بين هذه المعلومات وبين ما يشهده العالم حاليا في ظل انتشار فيروس كورونا، خصوصا إذا ما اضفنا اليها السلوك الاعلامي الغربي والاقليمي مع تداعيات الفيروس، والتركيز على العامل النفسي والاجتماعي للمجتمعات واستغلاله سياسيا. (حسين الموسوي، 2020).

رابعا: دور «القوة الناعمة» في إعادة تشكيل العالم

1 - «كورونا» يهزّ المفكّرين:

يبدو أن وباء النوع الجديد من الفيروس التاجي Covid-19، الذي ظهر في مقاطعة ووهان في الصين، وانتشر في جميع أنحاء العالم في غضون ثلاثة أشهر فقط، قد تسبب في هز الواقع العالمي بعمق. فبعد أن كانت السياسة العالمية مسرحا للتطورات العالمية على مدى السنوات العشر الماضية، حيث اضطر النظام العالمي لمواجهة أزمة أمنية بعد 11 سبتمبر، تعمقت الأزمة الأمنية وأصبحت عالمية مع ظهور حركة داعش وتوسعها. في عام 2008، واجه العالم أزمة مالية عالمية، ومع مرور عشر سنوات حدث تدهور في النظام العالمي بدلاً من أن يتحسن، عكس المؤشرات الاقتصادية مرة أخرى. فكان من الواضح أن المنافسات التجارية الواقعة في السنوات الأخيرة بين الولايات المتحدة والصين كانت تهدد النظام الاقتصادي العالمي، وأن آفاق أزمة عالمية جديدة تزداد قوة. وقد أثارت الأزمات العالمية، وصعود اليمين المتطرف، وحقيقة أن المؤسسات الدولية لم تعد عاملة، والمشاكل الرئيسية مثل الأزمة السورية، علامات استفهام حول مستقبل النظام العالمي.

مع ذلك، يشير «وباء كورونا» إلى أزمة أعمق بكثير مما كان متوقعًا، وتزداد التساؤلات حول مستقبل النظام الدولي. فأزمة «كورونا» هي قبل كل شيء مشكلة صحية دولية تتعلق مباشرة بالأمن البشري. ويعتبر الأمن البشري موضوعًا في قلب السياسة العالمية والأمن العالمي منذ الثمانينيات. وقد بدأ «وباء كورونا» يظهر آثارًا تتجاوز الأمن البشري والصحة العامة الدولية. والتأثير الأول والأهم للأزمة يبدو تأثيرا على الاقتصاد الدولي. فالشكوك المحيطة بجميع الأسئلة حول المدى الذي سيذهب إليه هذا المرض، ومتى يمكن السيطرة عليه، وما الضرر الذي سيسببه من وجهة نظر صحة الإنسان، تهز بعمق الاقتصاد العالمي. وفي الواقع، لقد تغيرت أرقام النمو في الصين، وتوقف الإنتاج الصيني، وتعطلت الأنظمة الاقتصادية الكبرى في أوروبا، مثل إيطاليا وفرنسا واسبانيا وألمانيا. (خالد المنشاوي، 2020)

أقر كينيت روجوف Kenneth S. Rogoff، أحد الشخصيات البارزة التي عملت كمستشار رئيسي للمؤسسات الاقتصادية العالمية مثل صندوق النقد الدولي، Carmen M. Reinhart & Kenneth S., Rogoff, 2009 أن الاقتصاد العالمي سوف يتقلص ويدخل في ركود. كما أكد معهد أكسفورد Oxford للأبحاث أن البلدان النامية التي لديها ديون خارجية ستواجه مشاكل في سداد ديونها. ومن

ناحية أخرى، سيطبق البنك المركزي الأمريكي سياسة التيسير الكمي، وهي طريقة لا يستخدمها في كثير من الأحيان. أما فرنسا، فقد أعلنت أنها تعتزم تخصيص ميزانية ضخمة بقيمة 500 مليار يورو لمحاربة «كورونا».

ممكن للإجراءات التي تم اتخاذها أن تبطئ الركود الاقتصادي، لكن الأسواق الحقيقية على وشك التوقف. وإذا استمر ذلك، فلا يبدو من الممكن أن يتعافى الاقتصاد العالمي في وقت قريب، وقد يؤدي هذا إلى أزمة اقتصادية عالمية وإفلاس البلدان ذات الاقتصاديات الهشة.

والبعد الثاني لوباء «كورونا» وتأثيره على مستقبل النظام العالمي، يرتبط مباشرة بالأمن العالمي. فكما قالت حكومة الجمهورية التركية، ''المشكلة عالمية لكن الصراع وطني''. وهذا يدفع جميع البلدان إلى تبني أسلوب النضال الذي يتمثل في رعاية أنفسهم أولاً، بحيث تعمل كل دولة على حماية وإنقاذ المواطنين. وقد بدأت الصين وإيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وإسبانيا والعديد من الدول الأوروبية باتخاذ إجراءات صارمة للغاية، وكذلك تركيا كانت من بين الدول التي اتخذت أصعب الإجراءات منذ البداية. (خالد المنشاوي، 2020)

بات من المؤكد لسائر المجتمعات الإنسانية، أن ديمقراطية نظام الحكم، والسياسات المحلية القائمة على الفصل بين السلطات، والاستجابة لتوقعات وإرادة الشعب، واستقلال القضاء، والتعددية الحزبية، ونظام المحاسبة، ومبادىء الحرية والتعددية والاستقلالية الإعلامية، وأهمية احترام وتطبيق ورعاية حقوق الإنسان، وبخاصة الحقوق السياسية كحرية تكوين الجماعات والتعبير وحق التصويت والانتخاب، كلها تشكل الأساس لقيام الدول في النظام العالمي الجديد، ونجاحها واستمراريتها. وديمقراطية الدول في الداخل، وتبنيها لسياسات تدعم قضايا السلام وحقوق الانسان، والاستماع الى الغير في المؤسسات، تمثل اليوم الماركة التجارية لتسويق صورة الدول.

2- إنتقال القوّة:

يرى جوزيف ناي أنّ هناك تغيرين أساسيين للقوّة في القرن الحادي والعشرين: أحدهما هو التحول بين الدول من الغرب إلى الشرق، والذي يمكن أن يطلق عليه تعافي آسيا. والثاني هو توزيع القوة بعيدا عن سلطة الحكومات، إلى لاعبين جدد، نتيجة للانخفاض الاستثنائي لتكلفة عمليات الحوسبة والاتصالات والتي نتجت عن ثورة المعلومات الحالية. وهو ما مكّن جماعات وأفراد من الدخول في لعبة القوة، والمشاركة في قرارات وأعمال كانت تقتصر من قبل على الحكومات أو المؤسسات الكبرى. وهذا التغيّر الأخير للقوة يؤشّر بشكل أو بآخر على مفهوم

«القوة الناعمة» وعناصرها، لأن القوة التي تمتلكها الجماعات الجديدة هي قوة ناعمة في أكثر صورها، لا سيما في مجال التوظيف الإعلامي والديني، واستخدام الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ومخاطبة الآخرين بلغات متعددة، واستخدام التكنولوجيا والحوسبة وغيرها. (Joseph Nye, 2002)

وتعتمد صورة البلدان وجاذبيتها كثيرا على منظومة قيمها وسياساتها المحلية والدولية، وهذه الصورة والجاذبية لا تعزز قوة الدولة الخارجية وحسب، وإنما تعزز قوتها الداخلية من خلال تعزيز ثقة مواطنيها بأنفسهم، وبنظامهم السياسي وبمستقبلهم. وهذا ما سوف يساهم في تحول هذه الدولة إلى نموذج، يمكن أن يلهم الاخرين للاقتداء به، وتتحول الدولة بحكم نموذجها إلى لاعب فاعل في الساحة الدولية.

يرى ناي أنه لا يجب الفصل بين القوّتين: الصلبة والناعمة، لكون هذا الفصل خيارا خاطئا، بل يجب الذهاب إلى ترسيخ فكرة المزج الذكي بينهما، أي إلى «القوة الذكية»، يعني إلى حث صانع القرار على استعمال موارد القوتين في المناسبات الضرورية، وفي الأوقات الضرورية، لتمكينه في النهاية من تحقيق أهدافه التي يرغب بالوصول اليها. (Joseph Nye, 2004)

في القرن الماضي حاربت هوليوود من خلال إنتاجها الثقافي، النازية والاشتراكية والشيوعية وأخيراً الإرهاب، وأدت دوراً أساسياً كأحد أهم عناصر الجذب، لتصبح قوة ناعمة مهمة في صنع السياسات الأمريكية، وتشكيلها ومساندة زعمائها السياسيين أمام الرأي العام. ساهمت هوليوود في تجميل صورة الولايات المتحدة الأمريكية في عيون العالم عن طريق ترسيخ صورتها، وإبرازها كرمز وكأنموذج للقيم، ولاسيما قيم الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية، واحترام الفردية والحرية الشخصية، وهكذا تمكنت بعصاها السحرية من لعب دور اساسي في صنع السياسات وإيجاد الحلول.

يقول إيان سكوت Iyan Scott في كتابهِ «السياسات الأمريكية في أفلام هوليوود»، إن هذه الأفلام نجحت بشكل تدريجي في تشكيل الأجندة الديمقراطية للولايات المتحدة الأمريكية. وقد أدت صناعة السينما الأمريكية دوراً مهماً، في نشر الثقافة الشعبية الأمريكية، وفي جذب التعاطف مع النمط الأمريكي في الحياة، وتقديم أنموذج جذاب للقيم الأمريكية، لاسيما قيم الحرية والفردية. (Ian Scott, 2011).

3- الجيل الخامس أو «الفايف جي»:

يبقى أن نشير إلى أن الجيل الخامس من شبكات الاتصال سيكون الموجة التالية من التكنولوجيا اللاسلكية، لكن ذلك قد يستغرق بعض الوقت. ومن المفترض أن تحدث القفزة التكنولوجية الحقيقية، التي تتمثل في بروز شبكات الاتصال من الجيل الخامس، خلال السنوات القليلة المقبلة. و«شبكة الجيل الخامس» هي التسمية التي أطلقها قطاع الصناعة اللاسلكية على مجموعة الأنظمة الجديدة التي ستجعل خدمة إنترنت الهاتف متصلة عبر الألياف البصرية السلكية، وبدلا من عرض نطاق ترددي يصل إلى 10 أو 20 ميغابايت في الثانية، قد تمكّن هذه التكنولوجيا من الحصول على 200 أو حتى 500 ميغابايت في الثانية، وهو ما يكفي لبث فيديو بدقة عرض 4 كي.

هذا يعني أن الجيل الخامس يمثّل مستقبل استخدام الهواتف الذكية، وجوهر الصراع الهائل بين كبرى شركات تصنيع الهواتف في العالم. ويمكن أن تمنح هذه التكنولوجيا الجديدة جميع الحكومات وقراصنة الإنترنت، قدرات جديدة مخيفة، فالعالم الأكثر ارتباطا بالإنترنت هو أيضا عالم أكثر قابلية للمراقبة والاختراق. ومن المفترض أن توفّر شبكة الجيل الخامس خدمات فعليّة للأشخاص في أواخر هذه السنة على أقرب تقدير، وعلى الأرجح في سنة 2020 أو2021. ويشبه هذا التغيير إلى حد ما دورة تطوّر التلفزيون، فالقفزة من تلفزيون قياسي الدقة إلى دقة عرض «1080بي» تمثل خطوة ضخمة، لكن الانتقال من دقة عرض «1080بي» إلى «4 كي» هو مجرد تغيير جيد، ولكنه ليس بالأمر الجلل. ومن المتوقع أن تشهد السنوات المقبلة طفرة هائلة في مجال التسويق والإعلام فيما يتعلق بالمعيار الجديد. (الجزيرة، 2019).

يرى مسؤولون أمريكيون وكتّاب غربيّون أن ما نراه في الصين الآن من قوانين غير مسبوقة في مراقبة حركة الشعب وضبطه بالتكنولوجيا الحديثة، وخاصة في أزمة كورونا، سنراه غداً في الغرب نفسه. خاصة وأن التقنيات الحديثة ستجعل الحكومات أكثر قدرة بعشرات المرّات من قبل، على مراقبة الناس بطريقة لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

لقد ذاع صيت تقنية الجيل الخامس مؤخرا، كأحد المتسببين في «مرض كورونا». وقام بعض الشبان في بعض الدول الأوروبية بحرق أبراج الاتصالات، بحجة أنّها هي التي تسبب المرض عن طريق الإشعاعات التي تصدرها، والتي تعتبر ترددات قاتلة، وتُستخدم عادة في الحروب ضد الأعداء. وقد ادعى أحد العلماء الأمريكيين أن هناك الآن مئة ألف قمر اصطناعي في أجواء العالم لتشغيل تكنولوجيا الجيل الخامس، وهي التي ترسل إشعاعات خطيرة أدت إلى

انتشار الوباء وليس الفيروس المزعوم. لكن هذه الأطروحة قد نفتها الحكومات.

الأخطر في تكنولوجيا «الفايف جي» ليست الإشعاعات التي ترسلها أبراج الاتصالات، بل قدرة هذه التكنولوجيا الحديثة على مراقبة البشرية، في طريقة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً. فبفضل هذه التقنية الرهيبة ستصبح أي حركة يقوم بها الإنسان في كل أصقاع المعمورة تحت المراقبة، وكل شيء سيصبح مبرمجاً عبر الصور والبيانات السريعة. (الجزيرة، 2019) وهناك الآن ملايين الصينيين المحرومين من أبسط حقوقهم، بسبب تكنولوجيا المراقبة والضبط الحديثة. ويخشى مفكرون غربيون من أن ما يحدث في الصين الآن سينتقل إلى الغرب وبقية أنحاء العالم عاجلاً أم آجلاً. إذن، نحن أمام عالم جديد، ستحصى فيه الحكومات أنفاس الشعوب، خاصة إذا ألغيت العملة الورقية بحجة كورونا واستبدلت بالبطاقات، التي تحمل شرائح، تسجل كل حركة يقوم بها الفرد، وهو جالس حتى في منزله. (فيصل قاسم، 2020).

لقد دخل العالم في متاهة معقدة جدا تكثر التساؤلات حول حلولها. (أنظر الرسم المنشور على الانترنت).



متاهة العالم World Maze

الفصل الرابع:

أساليب التضليل في «عصر ما بعد الحقيقة»

أولا: استراتيجيات التضليل

1- الشائعات وتزييف الوعي:

قد نرغب في أن نتلقى خطاباً ينبئنا بخبر سعيد، أو مشهدا يبعث في داخلنا جمال العالم من حولـنا، أو كلاما عاقلا يمنحنا الأمان وراحة البال وينزع عن ناظرينا غشاوة القنوط والضجر والتشاؤم، إلا أننا لا نلبث أن نرى العالم من حولنا ممتلئاً بما لا أمل يرجى منه، أو بما لا رغبة لنا به، عالماً ملتبساً تحكمه فوضى لا حدود لها، أشبه بفضاء مفتوح على احتمالات قاسية ومثيرة للهلع، تتداخل فيه قيم الماضي بقيم الحاضر، وكذلك بما يناسب مصالح الدول الكبرى من قيم مفترضة في المستقبل. ضمن هذا الفضاء بالذات تحتل وسائل الإعلام والاتصال المادة الأولى والرئيسية في التعبير عن فوضى العالم، التي تشير إلى اهتزاز البناء الأخلاقي العالمي. والخطاب الإعلامي السياسي، كما يلاحظ الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو Michel Foucault، يساهم في بناء هذه الصورة التشاؤمية، وهو يعكس بوضوح الصراعات العالميّة، أو أنظمة السيطرة المعاصرة، وهو الدافع للتحوّلات الكبرى في السياسة، والاقتصاد والفكر والفن والثقافة، بل هو محورها ومحركها ومحرَّضُها. حتى باتت المفاهيم التي تنظِّم العلاقة بين المجتمعات البشرية ضمن دوائر الشك. (مي العبدالله، 2020).

وقد ادت استراتيجيات التضليل لأغراض سياسية أو مالية، من خلال أشكال الدعاية المتعددة، إلى الانتشار الدرامي للمعلومات الخاطئة والشائعات، وإلى نقاش واسع النطاق حول ما يسميه البعض «عصر ما بعد الحقيقة». إذ باتت أدوات الوسائط الرقمية أو البرامج كجوجل، التي تساعد المواطنين والمهنيين في التحقق من المعلومات، مهمة لفهم كيفية اتخاذ القرارات المتعلقة بالتحقق من المعلومات في المشهد الإعلامي والاتصالي المتغيِّر. وتوجد أشكال مختلفة من المعلومات الخاطئة منذ زمن طويل، وقد ارتبطت مؤخرًا بتآكل الثقة العامة وبالسلامة المهددة بالعمليات الانتخابية وتكثيف الاستقطاب الاجتماعي. وقد تقوض المعلومات الخاطئة أداء الديمقراطية وشرعيتها حتى لو أثبت إنتاجها وتوزيعها نجاحها كنموذج أعمال من خلال الإعلانات البرنامجية. من هنا تتكون مفاهيم جديدة مرتبطة بـ«الأخبار المزيفة»، وممارسات «التحقق من الوقائع»، وكيفية «فهم الناس» للأخبار والتحقق من صحتها كمعرفة. (مي العبدالله، 2020)

الأخبار الكاذبة أو المزيفة ليست ظاهرة جديدة، فهي من بقايا الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، حيث كان هتلر Hitler والتحالف ضده يتبادلان المعلومات الكاذبة لأغراض متعددة، منها رفع الروح المعنوية مقابل إحباط المعسكر الآخر،

أو تشتيت انتباه العدو ونشر الشائعات والدعاية الكاذبة. ولكن الأخبار المزيفة إكتسبت زخماً جديداً في عصر الإنترنت، وأصبحت تستخدم في جميع المجالات، ولأغراض سياسية داخلية، أو لتسويق معلومات كاذبة. ومن المعلومات الزائفة الباقية حتى الآن، القول بأن تناول الجزر يقوّي النظر. والأصل في هذه المقولة خدعة بريطانية موجّهة ضد الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، حيث اكتشف الحلفاء نظام الأشعة تحت الحمراء، الذي يمكن بها الرؤية الليليّة أثناء حملات ضرب المدن الألمانية بالقنابل. ومع تعجّب الألمان من دقة إصابة الأهداف، أشاع الإنجليز أن الفضل يعود إلى قوة نظر الطيّارين، بعد نظام تغذية خاص يعتمد على الجزر. وما زال البعض يؤمن بصحّة هذه المقولة. (مي العبدالله، 2006).

دلالة الإشاعة حول تناول الجزر لتقوية النظر، تشير إلى قدرة الأخبار الكاذبة على الاستمرار وتحدّي الزمن، مما يجعل التصدي لها في غاية الصعوبة. ويعرِّف الباحث الأكاديمي في جامعة كامبردج، ساندر فان دير ليندن Sander van der Lindenهذه الحقيقة، ويقول إن انتشار الأخبار الكاذبة مثل انتشار الفيروسات، من الصعب التصدي لها بعد انتشارها. ولذلك هو يعتقد أن أفضل وسائل التصدي لها هو أسلوب التحصين ضدها. أحيانا تكون الأخبار الكاذبة أكثر إثارة من الحقيقة، مثل نظريّة المؤامرة في الخبر عن عدم حدوث رحلة الهبوط على سطح القمر في الستّينات، وكونها مفبركة في معمل أميركي. ويرى ليندن أنه من الصعب إلغاء أثر الأخبار الكاذبة بعد أن تستقر في الذاكرة، لذلك فإن أفضل وسيلة للوقاية من الأخبار الكاذبة هو اللقاح ضدها، ومنعها من الانتشار قبل أن تبدأ، فهذا أفضل من مكافحتها بعد مرحلة الانتشار. (الشرق الأوسط 2/3/2020) .

وتمتلك وسائل الإعلام والاتصال، بالتحالف مع السياسيين، قدرة كبيرة على تزييف وعي الناس من خلال ما يمتكله النظامان السياسي والاعلامي من قدرات تنظيمية هائلة، قياسا مع عموم الجماهير التي تتصف بانعدام التنظيم وضعف التماسك. وبسبب أن تزييف الوعي لا يتم بغير تواطؤ وتوافق بين النظامين في المجال السياسي خصوصا، فإننا هنا سنستخدم تعبير وسائل الاتصال السياسي، لأن هذه الوسائل تقوم بدور خطير في تزييف الوعي الجماعي للجماهير من خلال تواطئها مع الجهات السياسية، التي تضع نصب أعينها هذا الهدف حفاظا على مصالحها كفئة حاكمة، او مستفيدة من زيف الوعي بقضايا المجتمع السياسية. وقد اكدت معظم الدراسات الميدانية دور مختلف وسائل الإعلام في نشر الوعي، أو على النقيض من ذلك، في تزييف الوعي. (حسن مظفر الرزو ورفاقه، 1987).

2- الأساليب والتكتيكات الاعلامية:

تتنوع الاساليب والتكتيكات الاعلامية السياسية في تزييف الوعي، وفيما يلي إشارة الى أهمها:

- أسلوب التكتّم التام: كان مثل هذا الاسلوب كثير الاستخدام قبل ثورة الاتصال، حيث كان من الممكن حماية القارىء من النشر القادم من الخارج عبر الرقابة بمختلف أشكالها. كانت السلطات تعمد الى منع نشر بعض الانباء او المواد الاعلامية والثقافية، وتمنع وسائل الإعلام المحلية من نشرها أيضا، حتى ولو حاولت ذلك. ومن خلال هذا الاسلوب إستطاع الكثير من الأنظمة الحاكمة تجنب غضب الجماهير أو الأحزاب المعارضة، أو حتى الدول الاخرى المعادية. وتقضي قوانين بعض الدول بمنع نشر أي وثائق تصنف بانها بالغة السرية قبل مضي أربعين عاما عليها.

- أسلوب التكتّم الجزئي: يضطر السياسيون أحيانا لنشر بعض الجوانب لوقائع أكثر شمولا، في الحالات التي يتضمن فيها الخبر او الواقعة جوانب إيجابية من وجهة نظر السياسي او الإعلامي. هذه العناصر وحدها تأخذ طريقها إلى النشر وربما للإشادة والتضخيم. ويجري مثل هذا التكتيك في حالات كثيرة، منها نشر معاهدات واتفاقيات سياسية أو غيرها، في حين يجري التكتم على ملاحق وبروتكولات تصنف بالسرية لتجنب ردود الأفعال والتداعيات السلبية للخبر.

- أسلوب التكتّم الجزئي هو من أكثر الاساليب استخداما في العمل الإعلامي، إذ إن بعض الإعلاميين والسياسيين يجعلون أنفسهم حراس بوابة، فيمنعون ويسمحون من المعطيات السياسية ما يخدم تعزيز اتجاهات معينة ترغب بها الجهات الإعلاميّة السياسيّة، وعادة ما يمثل رئيس التحرير دور حارس البوابة للسياسيّين والإعلاميّين. وتكمن خطورة هذا الأمر في أن الأخبار والتحليلات اليومية، المحلية منها والعالمية، تخضع لهذا التكتيك، فإذا ما تخيّلنا حجم المواد السياسية التي يجري نشرها أو بثُّها وفق رؤية أحادية، فإنه يمكن أيضا تخيل او توقع الأثر البالغ الذي يمكن أن يقع على وعي الجماهير عبر سنوات من البث أو النشر.

- الأسلوب الانتقائي: يقضي هذا الأسلوب بانتقاء منظومة الأخبار والتحليلات السياسية التي توافق الاتجاه الرئيسي للجهات الإعلامية السياسية المتنفذة. ووجه المخادعة يتمثل في أن الوسيلة الإعلامية تنشر موادا إعلامية حقيقيّة أو موثّقة كالتقارير الميدانيّة مثلا، لكنّها أيضا تغفل عن قصد نقل أخبار ومواد

أخرى ميدانية في عمليات الانتخابات مثلا. في بعض دول العالم الثالث يمكن صناعة تقارير حقيقيّة عن جماهير غفيرة تحتفل بفوز أحد المرشّحين، ويمكن تعزيز التقرير بتحليلات محلّلين كبار، أو تصريحات لشخصيّات سياسيّة وإعلاميّة كبيرة، بالقدر نفسه الذي يمكن فيه أيضا التكتم على الاحتجاجات الشعبيّة أو الحزبيّة الواسعة التي أثيرت حول الموضوع، أو من خلال التقليل من أهميّتها بأساليب أيضا عديدة.

- أسلوب التأويل و التضليل: تضطر وسائل الإعلام كما السياسيّون أيضا، إلى نشر بعض المعطيات السياسية او الاقتصادية. وأسباب ذلك كثيرة، منها معرفة الجماهير بها في الواقع كالأزمات البرلمانية او السياسية عموما، أو الحروب او المعارك، أو الحوادث الكبرى كغرق سفنية ركاب او تحطم طائرة، ومنها أيضا قيام وسائل إعلام خارجية بنشر الخبر. ولذلك يعمد السياسيّون والاعلاميّون إلى تقديم روايتهم الخاصة للحدث وتفسيره، لقطع الطريق على الروايات الاخرى المحتملة او الواقعة فعلا.

- الخداع والتضليل قد لا يأتي في نطاق سرد وقائع أو معطيات الحدث، ولكنه يأتي ضمنيّا في التحليل والتعليق، بحيث يجري أحيانا كثيرة إقناع نسبة كبيرة من المتلقّين بالتحليل المقدم، لأن غالبيّة المتلقّين، إما هم غير معنيّين بالتنقيب والمتابعة، أو أنهم غير قادرين عليه.

- أسلوب الإغراق بالمعلومات: على النقيض من الأسلوب الاول الذي ساد في الدول الشموليّة والانظمة الدكتاتوريّة والسلطات الاحتلاليّة الاستعماريّة، فإن هذا التكتيك يقضي بتشتيت الجمهور وإرباكه من خلال تدفق المعلومات والصّور والبيانات، مما يفقد المتلّقي القدرة على الاختيار والتمييز والثبات. ويعتبر هذا الأسلوب حديثا، وقد تطور مع التقدم الهائل لتكنولوجيا المعلومات والاتصال. ومن الناحية الواقعيّة فإن السياسيّين باتوا يعلمون أن الكثير من الاحداث والأخبار من الصعب إخفاؤها طول الوقت، وإن تمكّنوا من إخفائها عن البعض، فإن البعض الآخر سوف يعلمها وينشرها بطريقته الخاصة، أو يقدم روايته لها. ولذلك من الأفضل أن يقدّموا رواياتهم الكاملة، بما يمنحهم الفرصة أيضا لتعديلها وتزيينها، أو تشويهها ما داموا هم اصحاب الرواية. (مي العبدالله، 2006).

3-«التزييف المتقن» :Deepfakes

يشير الخبراء إلى مشكلة الأخبار المزيّفة التي تتناقلها وسائل الإعلام على أنّها حقيقية، وينبّهون إلى مشكلة أكبر من ذلك بكثير، وهي ما يوصف بـ«التزييف

المتقن» Deepfakes. هذه الممارسة الجديدة هي برأي البعض مقدّمة للتهديد الأمني الوشيك الذي يتمثّل في محاكاة الكلام والصور بتقنية الذكاء الاصطناعي لخلق حقائق بديلة، مما يجعل شخصا ما يقول أو يفعل أشياء لم يقلها حقيقة أو يفعلها. والتزييف المتقن يتحقق بإعطاء الكمبيوتر تعليمات، وتغذيته بصور وكلام شخص ما، لتعليمه تقليد صوت هذا الشخص.

وإن كان التزييف المتقن لا يزال حتى الآن ناقصًا ويمكن اكتشافه، إلا أن التكنولوجيا تتقدم بسرعة، وخلال عامين أو ثلاثة قد نشاهد الصوّر المتحرّكة والخطب دون أن يتمكّن أحد من معرفة ما إذا كانت حقيقيّة أو مفبركة. وفي عالم الأعمال والشؤون العالميّة، يمكن لهذه التّكنولوجيا أن تكسر حاجز اللّغة في المؤتمرات عبر الفيديو، من خلال ترجمة الكلام وتغيير حركات الوجه والفم في الوقت نفسه، بحيث يبدو أن الجميع يتحدّثون لغة واحدة. لكن في المقابل، هناك أيضا الإساءة المحتملة من قبل الأفراد أو الجهات الفاعلة في الدولة العازمة على نشر المعلومات الخاطئة. ويمكن للتّزييف المتقن أن يضع الكلمات والتعبيرات على وجه وفم سياسي ما، ويؤثّر في الانتخابات، كما يمكن لمقاطع الفيديو أن تزيف تهديدا، وتثير أزمة سياسيّة أو حادثا أمنيّا.

إنّ الأضرار الناجمة عن الأخبار المزيّفة الحاليّة تبدو هزيلة مقارنة بالأضرار التي يمكن أن تأتي من التزييف المتقن، لأنه كما يحذر أحد خبراء المجال البارزين، إن «التزييف المتقن» لن يؤدي فقط إلى إقناع الناس بأشياء ليست حقيقية، بل سيقوّض أيضا ثقة الناس فيما هو موجود، وهذا بدوره سيؤثّر في كلّ شيء في المجتمع، من حكم القانون إلى طريقة عمل الصحافة. (بي بي سي، 2020).

قد يبدو المضمون الإعلامي منتوّعا إلى حد كبير مع تدّفق الأخبار والمعلومات من كلّ جهة، وتعدد وسائل الإعلام والاتصال وبرامجها وخدماتها، إلا هذا التنوع وهمي فالمصدر بالنهاية واحد، والمادة الترفيهية والأخبار والمعلومات العامة والتوجهات والأفكار يجري انتقاؤها جميعا من الإطار المرجعي الإعلامي نفسه، من جانب «حراس» للبوابة الإعلامية الاتصالية تحركهم دواع تجارية أساسية، وقد يختلف الأسلوب والتعبير المجازي، لكن الجوهر واحد. هذه التعددية الاتصالية هي التي توفر القوة للنظام السائد لتعليب الوعي، والفيض الإعلامي الاتصالي المتدفق عبر العديد من القنوات يخلق الثقة، ويضفي المصداقية على فكرة الاختيار الإعلامي الحر، ويتمثل تأثيره الأساسي في توفير الدعم المستمر للوضع القائم، في حين يعتقد المشاهد والمستمع والقارئ أنه في جو تلقائي من الحرية والتعددية. وهكذا تختفي الحقيقة، فأجهزة الإعلام والاتصال لا تلفت أنظار جمهورها إلى أسلوب عملها. (الشرق الأوسط، 2019).

يلقي كتاب «قصف العقول» Munitions of the Mind لمؤلفه فيليب تايلور Philippe Taylor الضوء على حقيقية أن الإعلام هو من أدوات الحرب والصراع والهيمنة والترويج والحظر وإرهاب الناس وتغييبهم. ويكاد التاريخ يكون دعاية، وإن نظرة على كتب التاريخ الأميركي التي تتناول فترة الخمسينات أو على الكتب المؤلفة في بريطانيا في ذروة عصر الإمبراطورية، تؤكد على الجانب الدعائي والتعبئة المستخدمة في صياغة الخطاب الموجه للرأي العام، والمتسربة أيضا من خلال المناهج التدريسية. (Philippe Taylor, 2003).

نحتاج اليوم إلى قدر كبير من الوعي والتنبه، في التعامل مع الطوفان الإعلامي والمعلوماتي الذي تغرقنا به وسائل الإعلام والاتصال، ليس فقط من أجل تمييز الصواب والحقيقة من الخطأ والكذب، ولكن أيضا لتجنّب حالة تُستدرج اليها المجتمعات، وهي الخضوع في كل مجالات الحياة لاتجاهات ورغبات السياسيين وأصحاب القرار الذين يسيطرون على هذه الوسائل، ويغيّبون القضايا والأولويات الكبرى والمهمة.

ثانيا: نماذج من الأخبار الكاذبة في أزمة «وباء كورونا»

في هذا السياق، يواكب انتشار «الفيروس التاجي» Coronavirus الجديد على مستوى العالم سيل من المعلومات الخاطئة على شبكات التواصل الاجتماعي، والحملات الصاخبة للتضليل. ويؤثر هذا التدفق للمعلومات المزيفة على الثقة في الحكومات، وفي المنظمات الصحية العالمية، وفي المنظمات غير الربحية، وفي العلماء والمؤسسات ذاتها التي يعتقد الكثيرون أنها ضرورية لتنظيم استجابة عالمية لما قد يتحوّل إلى وباء. هذا الأمر يهزّ الاقتصاد العالمي، ويعرّض إمدادات الأدوية وإنتاج التكنولوجيا للخطر، ويؤثّر على النتائج النهائية للمختبرات العلمية، ويؤدّي إلى إلغاء المؤتمرات العلمية الكبرى والأحداث السنويّة الهامة.

وهذه هي المرة الأولى التي يتمكن فيها الجمهور من رؤية أخبار تتكشف عن انتشار وباء في الوقت الحقيقي تقريبًا، لكن المشكلة تكمن في أن المعلومات تحتاج لوقت طويل للتحقق منها، في حين أن منصّات التواصل الاجتماعي تشّجع الانتشار السريع، وأن الأخبار الكاذبة يمكن أن تصل إلى عدد أكبر من الناس، بشكل أسرع من الأخبار الحقيقية. وإذا قام الناس بتبادل ونشر الكثير من المعلومات الخاطئة المتناقضة، فسوف يتخلّون في النهاية عن الإيمان بقدرتهم على إيجاد الحقيقة، وقد يستغل الدعاة والانتهازيون هذا الظرف لكسب المال. هكذا تكتسب الأخبار الكاذبة مع الوقت قوة تتماسك بها حتى أمام حملات التكذيب التي تنطلق فيما بعد ضدها، ربما لأن الكذب دوماً يحمل من الإثارة أضعاف ما تحمله الحقيقة. (مي العبد الله، 2020) لم يعد المتلقي يستطيع التمييز بين الخبر الحقيقي والخبر الكاذب، ولذلك ظهرت مواقع عديدة على الأنترنت ترصد الأخبار الكاذبة وتعطي أمثلة عنها.

1- مساعدات تركيا

خلال الأيام الأخيرة شوهد مقطع فيديو يُظهر عشرات السلال الغذائية الموضوعة في أحد الشوارع جذب أكثر من 10 ملايين مشاهدة على مختلف منصّات التواصل الاجتماعي. ويزعم ناشرو الفيديو أنه يتعلق بالمساعدات التي قدمتها تركيا للناس الأشد فقرا في مواجهة فيروس كورونا. لكنّ الحقيقة هي أن هذا المقطع يظهر عملا خيريّا لجمعية تركيّة، ولا علاقة له بجائحة فيروس كورونا. ونقرأ تعليق صفحة جمعية فرنسية على الفيديو: «في تركيا، يتمتع الشعب بسلال غذائية توضع في الشوارع لفائدة الفقراء والمهمّشين الذين لا يتمكّنون من إيجاد الغذاء بسبب فيروس كورونا. إنه نموذج للتضامن للعالم بأسره». (1)

وعلى موقع تويتر يؤكّد البعض أن مقطع الفيديو تم التقاطه في العراق. تمّ تداول الصورة على فايسبوك أكثر من 400 مرة، فيما حصد نفس المقطع أكثر من 2.6 مليون مشاهدة على تويتر في منشور بالإنكليزية. حصدت الصورة أكثر من 10 ملايين مشاهدة على مواقع فايسبوك وتويتر ويوتيوب، وتم تأكيد أن هذا الفيديو تم تصويره في تركيا وتحديدا في مدينة قونيا. ونلاحظ فعلا وجود كلمة « Un» مكتوبة على سلال الغذاء المرمية أرضيا، وهي تعني «الدقيق» باللغة التركية كما نرى أيضا واجهة محل تجاري كتب عليها «çoook ucuuz» و تترجم ب «أرخص الأسعار».

ومن خلال القيام ببحث عن عمليات التبرع بالغذاء في تركيا، عثر صحفيو البي بي سي على فيديو. ونُشر هذا الفيديو يوم 25 كانون الثاني/ يناير- أي قبل أكثر من شهر من وصول فيروس كوفيد-19 إلى تركيا، على صفحة مجموعة تنتمي لجمعية إنسانية تركية، و يُظهر نفس المشهد ولكن من زاوية أخرى، حيث نرى نفس الأغذية ونفس المحل التجاري «çoook ucuuz» وفي تعليقه على المقطع، يقول مصور الفيديو «إن جمع التبرعات لضحايا زلزال إيلازيغ Elazig سيتواصل إلى غاية الساعة العاشرة». وهو ما يؤكده بيان نشره أعضاء الجمعية على صفحتهم في فايسبوك يوم 23 آذار/ مارس.

في 24 كانون الثاني/ يناير، ضرب زلزال بلغت قوته 6.8 على مقياس ريختر محافظة إيلازيغ في شرق البلاد، وأودى بحياة 36 شخصا. يمكننا إذا أن نستنتج أن هذا الفيديو تم تصويره فعلا في تركيا ويظهر عملا إنسانيا، ولكنه لا يتعلق بجائحة فيروس كورونا التي وصلت إلى تركيا يوم 16 آذار/ مراس الماضي وأودت بحياة 214 شخصا في تركيا إلى حدود الأول من أبريل/نيسان (2) .

2 - وقوع الناس أرضا في ووهان Wuhan

إنتشرت عدة مقاطع فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي تُظهر أشخاصا يفقدون الوعي ويسقطون أرضا. ويزعم العديد من متصفحي الانترنت أن حالات الإغماء تعود إلى الإصابة بفيروس كورونا.

في هذا الفيديو المتداول على موقع تويتر، وحصد أكثر من 235000 ألف مشاهدة على يوتيوب، نرى فريق جراحين بصدد إجراء عملية على مريض. ويبدو أن هذا الفيديو مصور من قبل كاميرا مراقبة. وبعد وقت قليل، يسقط أحد الأطباء على الأرض ويهرع زملاؤه بسرعة لنجدته. (3)

ويزعم الفيديو أن هذه الحادثة وقعت في مدينة ووهان Wuhanمهد وباء الكورونا، وأنّ الجرّاح أغمي عليه جرّاء المرض. كتب أحد متصفحي الانترنت

على حسابه في موقع تويتر باللغة الإسبانية: «ما يحدث في ووهان فظيع». يحمل هذا الفيديو المنشور على يوتيوب عنوان: «طبيب مصاب بفيروس كورونا في مدينة ووهان». لكن تفصيلا صغيرا يجلب الانتباه. ففي أعلى يمين الصورة، نرى تاريخا مكتوبا باللغة الصينية: 17 كانون الثاني/ يناير. ويمكننا القول إذا أن الفيديو مصور يوم 17 كانون الثاني/ يناير الماضي، الذي يوافق يوم خميس. لكن الحجر الصحي لم يفرض على مدينة ووهان إلا منذ يوم 23 كانون الثاني/ يناير، أي بعد ستة أيام من تاريخ تصور الفيديو. ويوم 17 كانون الثاني/ يناير، لم تظهر سوى عن حالات عدوى قليلة مُعلنة. ومع ذلك فإن هذا لا يؤكد أن الطبيب لم يكن مريضا، لكنه يبقى مؤشرا يجلب الشك.

وبالقيام ببحث عكسي عن الفيديو في موقع إينفيد (Invid)، نعثر سريعا على هذا الفيديو في قناة يوتيوب تابعة لوسيلة الإعلام نيو تانغ تيليفجن، في نسختها اليابانية. ان تي دي تي في جي بي (NTDTVJP)، هي قناة تلفزية أسسها معتنقو فولان غونغ (حركة روحية تُعتبر طائفة في الصين)، ونشرت القناة هذا الفيديو يوم 25 كانون الثاني/ يناير. ويمكننا أن نقرأ باللغة اليابانية من خلال التعليق المكتوب في الفيديو: «طبيب في يونان يفقد الوعي بسبب الإجهاد» .ومن خلال مواصلة البحث على الصفحات الأخرى على غوغل، نجد أيضا نفس هذا المقطع منشورا في منصة الفيديوهات الصينية «سينا» عبر حساب «DV» وهو برنامج تلفزيوني تنتجه مؤسسة التلفزة والإذاعة في غواندونغ (محافظة في جنوب شرق الصين).

«من حسن الحظ أنه كان هناك زملاء حاضرون» هذا ما كُتب في التعليق المُصاحب لهذا الفيديو. ويقول النص الموجود مع هذا الفيديو أيضا أن المشهد تم تصويره في مستشفى في يونان. ويفسر النص أن الطبيب كان يعاني من انخفاض نسبة السكر في الدم ومن عمل مُنهك ومُطول وهو ما كان السبب في فقدانه الوعي. ومن خلال إدخال الكلمات المفاتيح «طبيب»، «يونان»، و«إغماء» باللغة الصينية على غوغل، نجد أيضا مقال في الصحيفة الصينية بيجينغ نيوزيعود ليوم 17 كانون الثاني/ يناير. ونتأكد بالتالي من أن هذا الحادث وقع في مستشفى دائرة زهينغ شيونغ، المنطقة التابعة إداريا لمحافظة يونان، حيث يذكر المقال أن الطبيب كان يعاني فعلا من انخفاض نسبة السكر في الدم ومن الإجهاد.

يمكننا إذا الجزم بأن هذا الفيديو لم يُصور في ووهان. وبالرغم من أنه من الصعب التحقق مما كان يعاني منه الطبيب، إلا أننا نعلم أنه قبل 17 كانون/ الثاني يناير، لم يعلن إلا عن 44 إصابة بفيروس كورونا فقط، 41 منها في ووهان و3 حالات في دول أخرى. وبالتالي فإنه لم تكن هناك أية حالة معلنة في محافظة يونان.

3 - حساء الخفافيش

إعتمد كثير من متصفحي الانترنت على عديد مقاطع الفيديوهات التي تظهر أشخاصا آسيويين بصدد تناول حساء بلحم الخفافيش للقول بأنه المتسبب في الإصابة بفيروس كورنا. وتعبر هذه المزاعم على تصور عنصري مسبق عن الصين في حين أن هذه الفيديوهات لم تصور الصين. (4)

تداول متصفحو الانترنت بكثرة ستة مقاطع فيديو يقولون إنها تظهر صينيين بصدد تناول لحم الخفافيش أو تبرز أنها تباع في أروقة أسواق ووهان، المدينة التي ظهر فيها فيروس كورونا. وبما أن الخفافيش كانت من بين الحيوانات المشتبه بحملها للفيروس، فقد أكد متصفّحو شبكة الانترنت أن هذه المقاطع المصورة تظهر التوقيت الذي بدأت فيه نشأة الفيروس. تدّعي هذه التغريدة أن الخفافيش تعتبر جزءا من الخصائص الغذائية المحلية في هوباي Hubei المقاطعة التي تنتمي إليها ووهان. وأدت هذه الادعاءات إلى إطلاق موجة عالمية من التعليقات العنصرية ضد الصينيين والآسيويين بشكل عام. ولكن حسب بحوث قمنا بها، فإن معظم هذه الفيديوهات صورت في بالاو وميكرونيسيا وإندونيسيا.

في الفيديو الأول، صينية صاحبة تأثير على مواقع التواصل الاجتماعي بصدد الاستماع في جزيرة في المحيط الهادي سنة 2016. ويقول أحد متصحفي الانترنت في فيديو نشره على قناته على يوتيوب Yutubeيوم 23 كانون الثاني / يناير الجاري وحصد 40000 ألف مشاهدة: «فيروس كورونا ينتشر في مدينة ووهان بسبب طبق حساء الخفافيش الشهير في الصين». وتظهر في الصور شابة تمسك خفاشا كاملا بين يديها ثم تقول بأكل قطعة منه على طاولة مطعم وبجانبها شابة أخرى.

وفي مواقع أخرى على الانترنت الصينية منها خصوصا، حصد هذا الفيديو مئات الآلاف من المشاهدات وتحته تعاليق مليئة بالكراهية. ويقول أحد المعلّقين: «من الطبيعي أن يصابوا بفيروس كورونا. إنهم يأكلون كل شيء عدا الحجارة والخشب». ويمكن أحد التفاصيل من التشكيك في أن الفيديو تم التقاطه في ووهان. حيث نشاهد في آخر الفيديو مقطعا قصيرا لنساء يرقدون قرب دعامة كتب عليها «لايت هاوس بالاو». وبالقيام ببحث عن هذه الكلمات المفاتيح على محرك بحث، يظهر لنا فندق في جزيرة بالاو Palau التابعة لميكرونيسيا Micronesia يحمل شعارا مشابها.

ويوم 22 كانون الثاني/ يناير. تحدثت الشابة التي تظهر في الفيديو على موقع ويبو Weibo ، أكبر منصة تواصل اجتماعي في الصين، بخصوص تفاصيل تصويره، ويتعلق الأمر بمؤثرة صينية مشهورة على مواقع التواصل الاجتماعي تروّج لبرامج سفر، وتعتذر في تصريحها عن إثارتها صدمة لدى

بعض متصفحي الانترنت وعدم تنبيهها بأن أكل الخفافيش قد يحمل مخاطر صحية. ولكنها نددت بعملية فبركة حديثة باعتبار أن الصور تعود إلى رحلة إلى بالاو التقطت في 2016 وتم نشرها ما بين سنتي 2016 و2017.
ويقول مدير مطعم في بالاو إن الفيديو تم تصويره في مطعم يسمى سي سي تايو تعرف عليه من خلال تصميمه الداخلي. وتم تداول تصريح المتصفّحة بشكل واسع في مؤسسات إعلامية دولية لكنه كانت مصدر لبس.

وفي فيديو نشر يوم 23 كانون الثاني/ يناير على الموقع الإخباري في هونغ كونغ آبل دايلي Apple Daily، تظهر شابة تم تصويرها وهي تتذوق لحم الخفاش على طاولة مطعم. ويتحدث الموقع عن إمكانية أن يكون الخفاش هو مصدر ظهور فيروس كورونا حيث يقول المقال: «أكل الخفافيش في الصين ليس أمرا مألوفا، لكن ذلك لا ينطبق على سكان ووهان».

وانتشر الفيديو فيما بعد انتشار النار في الهشيم على مواقع التواصل الاجتماعي، وتناقلته وسائل إعلام متعودة على الإثارة على غرار الدايلي مايل و روسيا اليوم، مع عناوين تذكر بأن العلماء ربطوا بين فيروس كورونا القاتل والخفافيش. وقامت بعض وسائل الإعلام التي تعرف بجديتها على غرار موقع فايسبوك بتداول نفس الفيديو مع عنوان: «حساء الخفافيش هو المسؤول عن فيروس كورنا» (تم تغييره فيما بعد). ويعبر مستخدمو فايسبوك وانستاغرم عن اشمئزازهم، مؤكّدين أن بعض الصينيين يأكلون الخفافيش بشكل كبير.
تم العثور على حساب صاحبة الفيديو دويين Duyin، التي تقدم نفسها على موقع التواصل الاجتماعي على أنها طالبة في جامعة ووهان، وعند زيارة صحفتها على الموقع يوم 28 كانون الثاني / يناير، كانت الشابة قد حذفت كل منشوراتها لكنها كتبت في ديباجة صفحتها الجملة التالية: «لا تثيروا القرف، الأمر يتعلق بمقاطع صوّرت الصيف الماضي»، كما قامت بنشر نفس التنبيه على صفحتها في موقع التواصل الاجتماعي تويتاو مع نشر صورة مثبتة للفيديو.

على يسار الصورة تظهر صفحة الشابة على موقع دويين وعلى يمينها يظهر حسابها على موقع تويتاو Twitao. ولم يعد هناك مجال للتشكيك في صحة الفيديو الذي يظهر الشابة الصينية لكنها لم توضح مكان تصويره. كما أن قولها بأن الفيديو صور في فصل الصيف وارتداءها ملابس خفيفة، يحيل إلى إمكانية أنها كانت في عطلة، لكن دون ذكر مكانها.

ويتشابه الطبق الذي تقوم بتناوله بشكل كبير مع حساء الخفافيش، الطبق التقليدي في بالاو، الوجهة المفضلة للصينيين في العطل. ويتم تقديم الحيوان في حساء ساخن يتم شربه. وعند إتمام المرحلة الأولى، يقشّر الحيوان بالاستعانة

بالنادل. ومن المرجح أن الشابة صورت الفيديو ما بين المرحلة الأولى والمرحلة الثانية لتذوق الطبق التقليدي. وقام فريق التحرير ببعث رسائل كثيرة للشابة بهدف معرفة مكان تصوير الفيديو، دون الحصول على جواب إلى حد الآن.

وتداول روّاد شبكات التواصل الاجتماعي بشكل كبير فيديو آخر يظهر حساء الخفافيش، كثيرا ما تم تركيبه مع الفيديو السابق. ونشر المحامي الصيني شين كيوشي المعروف بانتقاده للحكومة الصينية نفس الفيديو وحصد أربعة ملايين مشاهدة على حسابه على موقع تويتر، وتناقلته وسائل إعلام كثيرة على غرار جريدة لو سوار البلجيكية. وعرض فريق التحرير هذا الفيديو على مدير مطعم في جزيرة بالاو Balao من منطلق أن الحساء الظاهر في الفيديو يتشابه بشكل كبير مع حساء الخفافيش الرائج تقليديا في الجزيرة. وأكد هذا المدير أن الطاولة الظاهرة في الفيديو تتبع لمطعم سيفود هاوس في بالاو. وعند كتابة «مطعم بالاو» باللغة الصينية على محرّك البحث الصيني بايدو Baidu ، يمكن من تحديد عشرة صور تظهر أطباق محلية في بالاو بينها حساء الخفافيش وتتميز بنفس الخصائص: طاولة ذات شكل دائري، مع جزء مرتفع في وسطها بغطاء أبيض وذات أطراف سوداء.

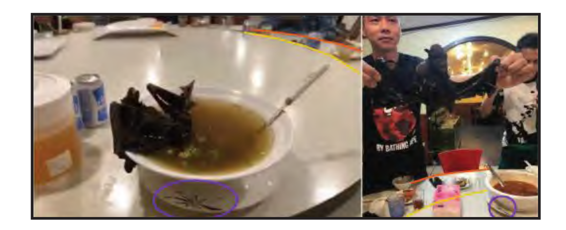
ويظهر فيديو آخر يزعم مروجوه أنه يتعلق باستهلاك لحم الخفافيش في سوق ووهان وتم تداوله بشكل كبير على موقع ويبو، أكبر منصة تواصل اجتماعي في الصين. ويقول متصفح الانترنت في تعليقه على الفيديو الذي قام بنشره وحصد 80 ألف مشاهدة: «في سوق هوانان لغلال البحر (في مدينة ووهان)، كانت هناك خفافيش كثيرة حاملة للفيروس معدة للأكل». (5)



1


据悉，这名医生晕倒的主要原因
是低血糖加长时间的疲劳工作
打开新浪新闻看视频 提升3倍流畅度！

2



3


ایست
ترامپ دمت گرم

4



5

ثالثا: الهستيريا واللقاح ضد الأخبار الكاذبة

1-هستيريا «كورونا»:

في علم الاجتماع وعلم النفس، تعرف الهستيريا الجماعية بالسلوك المضطرب الجماعي، وبالظاهرة التي تنقل مجموعة أوهام من خلال الشائعات وأساليب التخويف، وهي أحد أشكال الهلع الذي يحدث خصوصا في الحروب والكوارث. ويفترض العلماء بأن أصول الهستيريا الجماعية تنبع من غريزة القطيع المتأصلة بالكائن البشري، وقد أدت حالات شهيرة لها إلى عمليات إجرامية في العصور الوسطى والحديثة، كقتل النساء بتهمة السحر، أو قطع الأشجار لكونها موطناً للجن. والنوع الشائع من الهستيريا الجماعية يحدث لمجموعة من الناس عندما يؤمنون بأنهم يعانون من نفس المرض، ويشار إلى هذه الحالة بالمرض النفسي أو الهستيريا الوبائية.

من أهم الأمثلة التاريخية للهستيريا الجماعية ما سمي بطاعون الرقص عام 1518، وهو حالة من الرقص الهوسي حدث في ستراسبورغ التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وانتشر بين الناس كمرض الطاعون. وقد أخذ الكثير من الناس بالرقص من دون توقف لشهر كامل، مما أدى لوفاة بعض الأشخاص بالسكتة القلبية أو السكتة الدماغية أو الإجهاد. ومثل آخر هو سفاح هاليفاكس Halifax، الاسم الممنوح للمهاجم المفترض على السكان، ومعظمهم من النساء من بلدة هاليفاكس بإنجلترا في نوفمبر عام 1938، حيث انتشر الخوف و استمر أسبوعا، بعدما ادعت إمرأتان بأنهما تعرّضتا لهجوم من قبل رجل غامض يحمل معه مطرقة ومشابك لماعة على حذائه. إضافة إإلى تقارير أخرى عن هجمات قام بها رجل يشهر في الناس بالسكين او الموس. فقد أصبحت هذه الحالة خطيرة جدا مما أدى لقيام شرطة هاليفاكس بطلب المساعدة من سكوتلانديارد. cotland Yard. لاحقا (الشركة المركزية)، إعترف أحد الضحايا المزعومين بأنه ألحق الضرر بنفسه، وهكذا فعل بقية الضحايا، إذ اعترفوا بأنهم كاذبون، فاستنتج تحقيق يارد أنه لا يوجد شي حقيقي، واتهم خمسة من السكان المحليين بإرتكاب مخالفات بارزة، وتم إرسال أربعة منهم إلى السجن. (محمد السيد، 2018)

ومن القصص التي يذكرها التاريخ أيضا، وباء الضحك في سنة 1962، حيث بدأت فتيات في إحدى المدارس بالضحك بشكل متواصل، مما أدى لإغلاق المدرسة، وانتشرت الحالة بقرى أخرى خلال نفس السنة. ومثال متعارف عليه من العدوى الهستيرية هو ما حصل في شهر أكتوبر سنه 1965، حين تلقت

مدرسة البنات في بلاك بورن Blackborn عده شكاوى من الطالبات بالشعور بالدوار، والبعض منهن قد فقدن وعيهن في ساعتين، وتم إسعاف 85 طالبة لأقرب مشفى، بعدما أصبن بالإغماء وبأعراض غريبة.

من الأمثلة المعروفة أيضا حالة من الهسيتريا الجماعية سميّت ب«فايروس الفراولة مع السكر»، وقد جاء الاسم من مسلسل تلفزيوني برتغالي مخصص للفتيات المراهقات إسمه فروالة مع السكر Morangos com Açúcar . القصة هي أن أكثر من 300 طالبة من مدارس مختلفة أظهرت نفس الأعراض: طفح جلدي، صعوبة بالتنفس، والدوار. وعزى المختصون بالمعهد البرتغالي لطب الطوارىء السبب لذلك للهستيريا الجماعية. وفي سنة 2010 مثلا، وقعت حوادث هستيريا جماعية في مدرستين ثانويتين للبنات في بروناي. وفي 2014 في مدرسة ثانوية عامة، حصلت موجة من الذعر بين العديد من الآباء والمعلمين وأعضاء المجتمع، إدعوا أن المدرسة تمتلكها الأرواح والجن، فقد أصيبوا بأعراض هيستيرية مثل الصراخ والهز، والإغماء والبكاء، بينما رأى الأطباء أنها حالة من القلق العام تسببت بهستيريا جماعية.

أخيرا نذكر في سنة 2015 كيف تم إدخال أربعة مراهقين في تونجا، كولومبيا في الجمهورية الدومينيكية إلى المستشفى، بعد أن لعبوا لعبة تحدي تشارلي التي يظنونها لعبة تشترك فيها الأشباح، مع أنها لعبة تعتمد على تحرك الأقلام بسبب جاذبية الأرض.

الهستيريا وفق الإستخدام العام للكلمة، هي حالة ذهنية لا يمكن معها التحكم بالأحاسيس. فالناس الذين يوصفون بأنهم «هستيريون» كثيراً ما يفقدون السيطرة على أنفسهم، نتيجة لحالة من الخوف المهيمن الذي قد يكون ناجماً عن أحداث متعددة في الماضي تتضمن نوعاً من الصراعات الحادة. ويمكن للخوف أن يتمركز على جزء من الجسم، أو أن يكون مشكلة متصورة في الذهن عن جزء ما من الجسم في الحالات الأكثر شيوعاً، أو أن يكون شكوى مألوفة من مرض كما في إضطرابات المزاج.

ظهر فيروس كورونا في مرحلة تاريخية مضطربة، تعاني فيها العديد من الدول من أزمات اقتصادية حادة، وتشتد فيها النزاعات والمنافسات بين الدول للهيمنة على النظام العالمي الاقتصادي. من هنا أدى انتشار فيروس كورنا حول العالم إلى تعزيز مخاوف الناس من تداعيات الأزمة الصحية، ومن أن يتحول الأمر إلى سيناريو كارثي.

يشهد العالم حالة هستيريا جماعية أدت إلى التسارع إلى شراء وتخزين السلع المختلفة بصورة مبالغ فيها، واستعمال مستحضرات التنضيف والتطهير،

وألغيت الاحتفالات ومجالس العزاء وألغيت المباريات الرياضية وكل الفعاليات، حتى أعلنت حالات الحجر والطوارئ، وأقفلت المدارس والجامعات، وانقلبت حياة كل الناس رأسا على عقب.

حذرت جهات عديدة من ردود الفعل غير المحسوبة التي قد تسهم في تحول الأمر إلى حالة فوضى عالمية. وينشط الباحثون الاقتصاديون في الدعوة إلى الاستعداد لما هو أسوأ، ويجتهدون للتحذير من المخاطر الاقتصادية المتوقعة في حال استمرار فيروس كورونا في الانتشار. وتخصص وسائل الإعلام صفحاتها وشاشاتها لأخبار المرض وأرقام الإصابات، وللتوعية والإرشاد، ولمناقشة تداعيات انتشار الفيروس على الصحة العامة، وعلى الحياة اليومية للأشخاص، وعلى الاقتصاديات المحلية والعالمية.

وأمام الأرقام المتصاعدة للمصابين والقتلى حول العالم جراء فيروس كورونا، لا يعرف الناس عامة الحدود بين اتخاذ إجراءات الوقاية، والحذر من جهة، والدخول في حالة هستيريا والذعر من جهة أخرى. الخوف على البشرية موجود لدى كثيرين منذ عقود، لكن ظهور وانتشار فيروس كورونا يجعل الناس في كل العالم يشعرون أنهم يواجهون قاتلا مجهولا يهدد بفناء الإنسان. هنا يتجلى دور الوعي بالتواصل الاجتماعي، وأهميته في مرحلة يتزايد فيها التأثير النفسي بشكل ملحوظ، خصوصا وأن الناس يواجهون مخاوف تتعلق بمستقبلهم وبمصيرهم.

2- فوائد اللقاح:

يلجأ مروّجو الأخبار الكاذبة إلى عدة أساليب نفسية من أجل تمرير أكاذيبهم، ولكن، من المفترض أن يلجأ مستخدمو وسائل التواصل إلى عدة أساليب لتحليل المعلومات الجديدة عليهم. ومن هذه الأساليب، التساؤل هل يصدّق الآخرون هذه المعلومات، وهل هناك أدلة، وهل تتوافق هذه المعلومات مع ما نعرفه مسبقاً عن الموضوع، وهل مصدرها موثوق فيه؟

ولكن الناس عامة يلجأون إلى اختصار هذه الأسئلة أو تجاهلها، لأن ذلك يتلاءم مع وقع الحياة اليومية السريع وسيل المعلومات الغزير، الذي لا يسمح بتحليل كل المعلومات بطريقة صحيحة. والأسلوب المتبع حالياً هو القفز بين عناوين رسائل فيسبوك وغيره، بسرعة من دون التوقف لتحليل صحة أي منها. ولذلك تعد وسائل التواصل الاجتماعي تربة خصبة للأخبار الكاذبة.

لذلك، تأتي فائدة اللقاح ضد الأخبار الكاذبة بمثابة تحذير مسبق منها، يجعل العقل يقلل من سرعة تناول المعلومات، ويفكر لبرهة في كل منها. وبعد اللقاح تؤخذ الأخبار الكاذبة على محمل الشك أولاً، بدلاً من تصديقها من أول وهلة.

ويؤكد علماء النفس أن عامة الناس لا يريدون أن يملي عليهم أحد ما هو صحيح وما هي خطأ، ولذلك فإن الأسلوب الأمثل للتحصين ضد الأخبار الكاذبة هو تعليم الأساليب المستخدمة في نشر هذه الأخبار، لكي يسهل على المتلقين كشفها ورفضها.

3- طرق كشف التزييف:

وهناك بالطبع نقاط ضعف ظاهرة في نظرية التحصين ضد الأخبار الكاذبة، وهي أنها تستغرق الكثير من الوقت والجهد في توصيل اللقاح ضد المعلومات الكاذبة لمجموعات من الأفراد. كذلك فإن اللقاح ضد موضوع تزييف التحول المناخي لا يقي من المعلومات الكاذبة في موضوعات أخرى متعددة، ولا يعرف المتلقي عادة من أي اتجاه سوف تأتي الأخبار الكاذبة. (AJ Willingham, CNN, 2016)

من نقاط الضعف الأخرى أن هناك ملايين من الأخبار الكاذبة المنتشرة في المجال العام، خصوصاً على وسائل التواصل، وتوفير لقاحات لكل منها هو شبه مستحيل. لكن هل نحتاج فعلًا إلى ذلك؟ الأخبار المزيفة سهلة الكشف فعلًا، إن عرفنا كيف نفعل ذلك. وقد ظهر مؤخرا العديد من المواقع والصفحات والمقالات التي تقدم الإرشادات لكشف التزييف في النظام العالمي الجديد.

تقدم مثلا شبكة السي أن أن CNN دليلا متكاملا تميّز فيه بين عدة أنواع من الأخبار التي يجب أن ننتبه إليها، وهي الأخبار المزيفة، والأخبار المُضللة، والأخبار المتحيّزة، والعناوين المثيرة، والأخبار الساخرة. ويجب أن تكون المشاركة مع الآخر واعية بحيث يجب التأكد من صحة التغريدة التي نعيد تغريدها، أو ذلك المنشور الموجود على فيسبوك والذي قمنا بمشاركته. وحسب الخبراء فحتى أولئك الذين يقضون الكثير من وقتهم على الإنترنت هم غير محميين بشكلٍ كامل من الوقوع في فخ المحتوى المزيف.

وهناك أسئلة يجب أن يطرحها المتلقي للتأكد من صحة المقال الذي يقرأ، مثل الرابط هو الرابط الحقيقي لصفحة الخبر على الإنترنت، وهل هو غريب؟ هل هو موقع مستقل أم هو موقع مرفوع على منصة؟ هل يتوافق العنوان مع محتويات المقال؟ هل القصة الأصلية حديثة النشر؟ أم هي قصة قديمة تم إعادة نشرها؟ هل الوسائط والميديا الموجودة في المقال قابلة للتحقق من صحتها، أم أنّها مأخوذة من سياق معيّن؟.

يجب أيضا الانتباه إلى مصادر الأخبار والمعلومات. فبعض المواقع تبدو حقيقيةً، ولكنها مليئة بالكذب والتزييف مثل Now8News الذي هو موقع

مختص بنشر الأخبار الغريبة الكاذبة، وقد تحدث أحد مقالاته عن استرجاع شركة كوكاكولا لزجاجات المياه الخاصة بها بسبب وجود طفيليات شفافة لا يمكن رؤيتها فيها. لم تقم أي شركةٍ أو وسيلة إعلام أخرى بالتحدث عن هذه القصة لأنّها كاذبة مئة بالمئة.

يبقى من الضروري التأكد من صدق وواقعية هذه الاقتباسات. نذكر كيف تم نشر صورةً تحتوي اقتباسًا لدونالد ترامب يقول فيه التالي في لقاء في 1998: «إن أردت الترشح لرئاسة الولايات المتحدة، فإنني سأترشح عن الحزب الجمهوري، هم أغبى فئة تصوت في البلاد، هم يصدقون أي شيء تذكره FOX يمكنني الكذب كما أريد وهم يصدقونني، أنا أراهن أنني سأربح بأرقام عالية». هذه القصة سهلة الكشف إن بحث عنها فعلًا، فموقع People.com يمتلك أرشيفًا ضخمًا للاقتباسات، ولا يمكننا أن نجد هذا الاقتباس أو أي أثرٍ له في تلك المقابلة.

القاعدة الأساسية هي العودة دائما إلى المصدر الأساسي، والبدء بالشك. ثم نسأل أنفسنا: هل يدفعنا التحيّز لجهة معيّنة لقبول صحة مقال ما؟ فنحن كبشر نرغب بالحصول على المعلومات التي تؤكد صحة معتقداتنا الأصلية، وعندما نرى ما يناقضها، نحاول قدر الإمكان إثبات خطأ هذه المعلومات . وتبقى الموثوقية عاملا أساسيا، فهل تم تأكيد الخبر من إحدى مؤسسات توثيق الحقائق المرموقة؟ أو هل المصدر موجود على لائحة المواقع غير المعتمد عليها في نقل الأخبار؟ (AJ Willingham, CNN, 2016)

في أزمة كورونا الحالية، تبقى من أبرز الإرشادات التي يقدمها المسؤولون، ضرورة عدم قضاء وقت طويل في متابعة الأخبار المتعلقة بكورونا، وخصوصاً مع الكم الهائل من المعلومات المغلوطة، ويدعون إلى المصادر الموثوقة للاطلاع على المعلومات، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي التابعة لوزارة الصحة ومنظمة الصحة العالمية. والخطة الوطنية تتضمن عدة محاور وإرشادات للمواطنين الملتزمين بالحجر المنزلي لكيفية تمضية الوقت، ومساعدتهم لوضع خطة للتغلب على الروتين والقلق الذي يسود في هذه الفترة: تفعيل نشاطاتهم المنزلية بزيادة المطالعة، واللعب مع أطفالهم واللجوء إلى ممارسة التمارين الرياضية والاسترخاء. وتدعو الخطة إلى ضرورة بقاء المنعزلين في المستشفى وخارجها على تواصل مع أصدقائهم والعالم الخارجي، عبر وسائل التواصل، سواء المكالمات الهاتفية أو الدردشة الإلكترونية ومكالمات الفيديو. وهذا نوع من الدعم النفسي الجماعي. وتولي الخطة أهمية لضرورة مصارحة الأطفال بما يحصل، وتقديم الإرشادات الصحية لهم بطريقة تناسب أعمارهم، وحثهم على تطبيقها كنشاط ترفيهي يومي في المنزل. (منظمة العفو الدولية، 2020)

رابعا: اللاّعبون الجدد

1-من هم «اللاّعبون الجدد»؟:

اللاّعبون الجدد في الفضاء الاجتماعي العام هم «المؤثرون» Influencers الذين يساهمون في تسويق السلع والخدمات، خصوصاً على موقع إنستغرام Instagram. هؤلاء ساهموا في تسويق 3.7 مليون إعلان في عام 2018 بزيادة 43 في المائة عن حجم تسويقهم في العام الأسبق. وهذا الرقم هو فقط المعترف به بأنه مادة إعلانية، حيث يوجد عدد هائل إضافي من المواد التي يروج لها المؤثّرون من دون أن تظهر كمواد إعلانية. وهذا الحجم مرشح لأن يصل إلى 6.8 مليون إعلان في عام 2028. (الشرق الأوسط، 2019)

«المؤثّرون» يتمتعون بالابتكار ويرسمون خطوط توجهات الإنترنت التي تعرف باسم تريندز Trends، وهم فئات عديدة مثل الصحافيين والأكاديميين وخبراء التسويق ومحللي الأسواق. وقد يكون المؤثرون بلا مهن محددة ولكنهم استطاعوا جمع أعداد غفيرة من المتابعين، من خلال كتاباتهم في المدونات، في المواقع الالكترونية. ومن الجماعات المؤثرة جماعة المشاهير من الفنانين أو الرياضيين النجوم. وهؤلاء يمكنهم أيضاً ترويج السلع مقابل مبالغ طائلة قد تفوق ما يحصلون عليه من الأندية التي يلعبون لها. وبخلاف حملات التسويق التقليدية يتم دفع أتعاب المؤثرين مقدماً، وليس بعد انتهاء الحملات الإعلانية. (الشرق الأوسط، 2019) والتأثير لا يقتصر على المنتجات التجارية، بل يتعداها إلى مجالات أخرى مثل النشاطات السياسية والاجتماعية والبيئية.

هي ظاهرة موجودة منذ بداية الإنسانية، إذ كان الناس ينظرون إلى شخصيات بارزة كالملوك، ولاحقا شخصيات هوليوود كالممثلين والمشاهير الذين إستخدمتهم الشركات لأسباب تسويقية. ومنذ سنوات قليلة، ومع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، تبدّلت المعايير واختلفت المقاييس سواء بالنسبة إلى وسائل الإعلام أو بالنسبة إلى المؤسسات المعنية بالعلاقات العامة والإعلانات والتسويق، وانتشرت ظاهرة المؤثّرين في وسائل التواصل الاجتماعي الذين برزوا كجنود يحتلون مكانة مميزة في المجتمع ويلعبون دوراً بارزاً يزداد أهمية مع مرور الوقت.

باتت وسائل التواصل الاجتماعي متنفساً للناس في كل مكان، وقد استطاع المؤثرون أن يصلوا إلى الناس سريعاً، لأنهم معروفون وقريبون منهم ويمكن مراسلتهم، وهو يشبهونهم. كما ينقلون تفاصيل عن حياتهم اليومية، وهذا ما يزيد من تشبه الناس بهم وتقليدهم. وزاد من أهمية المؤثرين تعاونهم مع شركات

عالمية وعلامات تجارية شهيرة، وجنيهم المال بسرعة وسهولة، إذ لم تعد المهن التقليدية جذابة كالسابق، وقد ازداد مؤخرا الطلب على المؤثرين لارتفاع أعداد متتبعيهم ولأهداف تجارية وإعلانية. حتى أن المبالغ المالية التي تخصص لهم ولوسائل التواصل الاجتماعي للإعلانات، تعتبر أقل بكثير بالنسبة إلى الشركات، مقارنة بتلك التي كانت تخصص لوسائل الإعلام التقليدية، مهما كانت أسعار المؤثرين مرتفعة. (كارين اليان ضاهر، 2019).

2- سيف ذو حدين:

إلا أن ظاهرة المؤثرين سيف ذو حدين، خصوصاً أن عالم التواصل الاجتماعي شاسع ومعقد وتصعب السيطرة عليه، فمع ازدياد أعداد المؤثرين، قد تكون هناك صعوبة في الكشف عن مصداقيتهم. ومن المؤكد أن ثمة مؤثرين هم أفضل من آخرين ويظهر مستواهم من خلال المنصة التي يكتبون فيها، ومنهم من يدفع ثمن أعداد إضافية من المتابعين ويشترون أرقاماً كبيرة.

من خطورة جاذبية المؤثرين أن لهم القدرة على التأثير في وجهات نظر وسلوكيات واختيارات الآخرين بشكل مباشر، وحفاظهم على ذلك في نمط الحياة. ولا يمكن أن ننكر أن وسائل التواصل الاجتماعي تؤثر اليوم بشكل واضح في لا وعي المتابعين وتبلور أفكارهم وسلوكهم وآرائهم. هنا تكمن الخطورة الاجتماعية، بحيث أن الصورة المنقولة المرجعية التي يلجأ إليها المتابعون ليقيسوا مدى نجاحهم وجاذبيتهم استناداً إليها، يمكن أن تؤثر في نظرة الإنسان إلى ذاته وثقته بنفسه، فيصبح هدفه أن يشبه المؤثّر عن طريق تبني اختياراته وهويته. والأثر الذي تركه وجود المؤثرين على الإعلام التقليدي لا يستهان به، لأن ميزانيات الشركات الكبرى أصبحت تخصص للمؤثرين.

هذه الظاهرة باتت لها مكانتها في أولويات التغطية الإعلامية ومعاييرها، خصوصا أن بعض وسائل الإعلام قد قدمت للّاعبين الجدد منبرها لنشر أفكارهم، فاختلطت الحقائق والقيم.

لا يمكن أن نتوقع إلى أين يمكن أن تتجه هذه الظاهرة، وما التغييرات التي ستطرأ عليها، لكن مما، لا شك فيه أنها أصبحت تشكل مصدر قلق حقيقياً، نتيجة العشوائية السائدة فيها وما لها من انعكاسات سلبية على المجتمع.

3- كيف يؤثّرون:

إزدادت أبواب الشهرة، وظهرت مفاتيح سهلة وسريعة للوصول إلى الناس، فلم يعد إظهار مواهب الشباب حكرا على الطرق التقليدية، بل بات بإمكانهم إنتاج أفلامهم الخاصة بواسطة برنامج يوتيوب، ونشر آرائهم عبر فيسبوك، و

اختصارها في التوتير، ومشاركة ما يصورونه عبر انستجرام، فضلا عن نقل تفاصيل حياتهم الشخصية بواسطة برنامج «سناب شات»، وحديثا برنامج «تيك توك». وهكذا وجد الشباب منافذ التواصل والتعبير والشهرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وأصبحوا نجوما في وقت قياسي. وميزة النجومية في مواقع التواصل الاجتماعي أن لا قيود عليها، فهي تقوم على العفوية، وتتنوع التقنيات التي تظهر بها الصور أو مقاطع التقديم والتمثيل وغيره من المحتويات، وكلها لها خاصية التعديل والتحرير عن طريق برامج مميزة ومؤثرات صوتية وفيديوهات تسهم في تجميل ما يقدم عبرها، بعيدا عن التقليدية في مجالات الإعلام التقليدي.

ويتمثّل جمهور التواصل الاجتماعي أولا في فئة الشباب، فهم الذين يكتشفون هذه التقنية ويتابعونها أكثر من المتقدمين في السن. والشباب يتابعون مواقع التواصل بشكل مستمر ويعيشون مع ما يقدمه صاحب الحساب من أجواء مختلفة. كما يتأثر صاحب الحساب بهم كونه يحصد الشهرة ويذيع صيته، وبالتالي يصل للنجومية. من هنا، فقد تنبهت الجهات الإعلانية وأصحاب المصالح إلى تأثيرهم المباشر في متابعيهم، فأصبحوا يركزون عليهم ليظهروهم في حملاتهم، وبعضهم أصبح مذيعا في التلفزيون، والبعض الآخر ممثلا في أعمال درامية، وبعضهم تحول إلى وجوه تسويقية. إن ساحة مواقع التواصل الاجتماعي تشهد منافسات حامية تتمثل في حشد المتابعين، وزيادة عدد المشاهدات، وتكمن أهميتها في الاستثمار الإيجابي لشخصياتها الفاعلة، ولأصحاب القاعدة الجماهيرية، بحيث يتم تبنيهم وتوعيتهم بدورهم تجاه المجتمع، وحثهم على التحلي بالهوية الوطنية، وبث رسائل مجتمعية هادفة. (خديجة الكثيري، 2015)

ولكن، هناك أيضاً العديد من المخاطر المصاحبة لاستخدام المؤثرين في التسويق لسلع معينة، حيث يمكن أن ينعكس أي تصرف عشوائي من قبل المؤثرين، على سمعة الشركة والسلع التي تنتجها. وهناك العديد من الحالات التي ألغيت فيها صفقات تسويق بسبب فضائح تورطوا فيها أو تصريحات مسيئة. لذلك تجبر قوانين الولايات المتحدة المؤثرين على الإفصاح عن المبالغ التي يتقاضونها، وعن ضرورة كتابة أن المحتوى الذي يكتبونه هو برعاية الشركة، بينما في بريطانيا هناك اتفاق ودي واختياري، تم توقيعه في بداية هذا العام، لكي يلتزم المؤثرون بقوانين حماية المستهلك السائدة.

ومثلما هو الحال في العديد من مجالات التسويق والعلاقات العامة، هناك أيضاً فئات كاذبة من المؤثرين يشترون الأصوات والتفضيلات والتعليقات من مواقع أخرى لاستخدامها في خداع الشركات وتقاضي رسوم منها لقاء ترويج منتجاتها. ويحاول إنستغرام جهدها لإغلاق المواقع التي تبيع أصوات المتابعين. وقد أجرت إحدى وكالات الإعلان البريطانية تجربة اختبار بتصميم موقعين كاذبين على

الإنترنت لمؤثرين مفترضين، اشترت لهم الأصوات من على الإنترنت وروجت لهما بين الشركات. واكتشفت الشركة استجابة بعض الشركات الكبرى للخدعة وتصديقها. (الشرق الأوسط، 2019).

إن أنظمة القيم باتت أساسية للتواصل الاجتماعي، فإذا اعترفنا بأن وسائل التواصل الاجتماعي توفر فرص حرية التعبير، غالبًا ما يتم تجاهل كل التحديات المتأصلة في وسائل التواصل الاجتماعي. هنا يعبّر الوعي عن مدى إدراك الإنسان للأشياء والعلم بها، بحيث يكون في وضع اتّصال مباشر مع كل الأحداث التي تدور حوله، من خلال الحواس الخمس، كما وتندرج مصطلحات المنطق والإدراك الذاتي والعقلاني والحسيّ والحكمة تحت مسمّى الوعي.

بالنهاية، إن الشرط المبدئي لقيامة نظام قيم راسخ على النطاق العالمي، هو إيجاد التوازن بين قوى المجتمع الدولي وأقطابه المتعددة. وحتى يصير هذا الأمر واقعياً لا بد أن يسبق التوازن حدوث تحولات ضرورية في القوى الدولية، وتحقق ديمقراطية أممية أساسها الاعتراف بمبادئ العدالة والسيادة وحقوق الإنسان، وهذا قابل للتحقيق حاليا على نطاق المجتمعات المحلية فقط. (مي العبدالله، 2020) .

الفصل الخامس:

المشاركة الاجتماعية ودور التخطيط الاستراتيجي

أولا: معنى المشاركة المجتمعية

1-«البلطجة» وأهمية التوعية:

يستخدم البشر اليوم في كل مكان وسائل التواصل الاجتماعي، وقد أصبحت أساسية في حياتنا اليومية وتربطنا بطرق لم نكن نتخيلها أبدًا من بضع سنوات. أصبحا بفضلها نشارك المعلومات والأفكار والآراء على الفور من خلال الشبكات الاجتماعية التي قمنا ببنائها. غير أن التبادل بهذه الطريقة، وإن كان مفيدا لأسباب عديدة، فهو يحمل الكثير من المخاطر والتحديات.

يمكننا التأكيد بناء على التجربة أن الإفراط في مشاركة المعلومات هو أكبر خطر في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي. فاللصوص المحتملون يراقبون، والمتسللون يبحثون عن الفرص والمعلومات التي يمكنهم استخدامها لاختراق الحسابات، والمحتالون يبحثون عن الأشخاص القابلين للخداع، ولصوص الهوية يتربصون لضحاياهم. وهناك العديد من الأمثلة الأخرى عن الأخطار التي قد تأتي من أشخاص، يتوفر لهم الكثير من المعلومات التي لا ينبغي أن يصلوا إليها.

«البلطجة الإلكترونية» هي قضية جديدة برزت إلى الواجهة بسبب الاستخدام المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي. وقد أثبتت شبكة الإنترنت نفسها أنها منتدى يشعر فيه الناس بالارتياح الشديد لقول أشياء من المحتمل ألا يتحدثوا عنها شخصيًا. وفي كثير من الأحيان، تتفاقم المشكلة بسبب الأشخاص الذين ينشرون الحقائق دون معرفة .

أمام هذه المخاطر يتساءل الباحثون عن معنى التوعية وأهميتها. تؤكد راشيل هوبنفلد Rachel Sacks-Hoppenfeld أن خفض الوعي بوسائل التواصل الاجتماعي هو من أهداف التسويق بالذات: إنه من غير الواقعي اكتساب الوعي من القنوات الاجتماعية. ضع في اعتبارك استبدال الوعي العام بالوسائط الاجتماعية بحملات إعلانية مستهدفة موجهة إلى عملاء محددين، ورسائل تخترق الفوضى وتضمن رؤية صوت علامتك التجارية وسماعه.(Hansen et al., 2003) وقد حدد باحثون آخرون أن الهدف العام لمشاركة المجتمع هو في كونها آلية لتمكين وتسهيل تحسين حياة الفقراء في العالم. وقد حدد كيلي Georges Kelly الدور الحاسم للسلطة في صنع القرار بتعريفه : المشاركة هي عبارة عن مجموعة من العمليات التي من خلالها تشارك المجتمعات المحلية، وتلعب دورًا في القضايا التي تؤثر عليها. يختلف مدى مشاركة السلطة في صنع القرار باختلاف نوع المشاركة. (Kelly, 2001).

2- أبعاد المفهوم:

يحدث التفسير الخاطئ الأكثر شيوعًا عندما يفشل الناس في فهم الفرق بين المشاركة والاستشارة (Coakes,1999) . «تشير المشاركة المجتمعية إلى دور نشط للمجتمع، مما يؤدي إلى سيطرة كبيرة على القرار»، بينما يعني التشاور «مشاركة المعلومات ولكن ليس بالضرورة السلطة». (سركيسيان، والش وآخرون، 1997، ص. 17).

من الواضح أن هناك ارتباكًا يحيط بتعريف المشاركة، وأن المطلوب هو توضيح أبعاد المصطلح وتحديد المفاهيم المرتبطة به، ك «العمل الجماعي» أو «الحوكمة الجماعية»، حيث تؤكد هذه المصطلحات على علاقات القوة والحاجة إلى الإنصاف الذي يحدد المشاركة الحقيقية في أدبيات التنمية. (Kelly, 2001) و«الحكم الرشيد» هو مفهوم آخر، على الرغم من أنه يعتبر مصطلحًا واسعًا للغاية بحيث لا يكون ذا صلة تشغيلية فورية في مجمله. وتتبنى «الحوكمة التشاركية» منظورًا أضيق هو أكثر فائدة في المواقف التنموية. (Schneider, 1999)

تشير المشاركة في العلوم الاجتماعية إلى آليات مختلفة للجمهور للتعبير عن الآراء، وممارسة التأثير بشكل مثالي، فيما يتعلق بالقرارات السياسية أو الاقتصادية أو الإدارية أو القرارات الاجتماعية الأخرى. يمكن أن تتم عملية صنع القرار القائم على المشاركة في أي مجال من مجالات النشاط الاجتماعي البشري، بما في ذلك الاقتصاد، أو السياسة (أي الديمقراطية التشاركية أو التشابك)، الإدارة، أو الثقافة أو الحياة العائلية. وللحصول على مشاركة مستنيرة، يمكن القول أن بعض أشكال الشفافية، على سبيل المثال الشفافية الراديكالية، ضرورية لكنها ليست كافية. وقد قيل أيضًا أن الأشخاص الأكثر تأثرًا تأثرًا بالقرار يجب أن يكون لهم رأيهم، في حين أن الأقل تأثرًا يجب أن يكون لهم أقل قول في الموضوع.

مشاركة المواطنين هي عملية توفر للأفراد فرصة للتأثير على القرارات العامة، وكانت منذ فترة طويلة أحد مكونات عملية صنع القرار الديمقراطي. ويمكن تتبع جذور المشاركة السياسية إلى اليونان القديمة ومستعمرة نيو انغلاندNew England. قبل الستينيات، تم تصميم العمليات والإجراءات الحكومية لتسهيل المشاركة الخارجية، وتم إضفاء الطابع المؤسسي على مشاركة المواطنين في منتصف الستينيات من خلال برامج «المجتمع العظيم» للرئيس ليندون جونسون Lyndon Baines Johnson. (Cogan & Sharpe، 1986، ص 283)

المشاركة العامة هي وسيلة لضمان أن يكون للمواطنين صوت مباشر في القرارات العامة. وغالبًا ما يتم استخدام مصطلحي "مواطن" و"مشاركة"

بشكل عام، للإشارة إلى عملية يكون للمواطنين من خلالها صوت في قرارات السياسة العامة. يكشف ميز Mize أن مصطلح «مشاركة المواطن» وعلاقته بصنع القرار العام، قد تطور بدون توافق على معناه أوعواقبه.(Mize,1972)

تختار العديد من المؤسسات أو الأفراد إستبعاد المشاركة العامة أو تقليلها جهود التخطيط، بحجة أن مشاركة المواطنين مكلفة للغاية، وتستغرق وقتًا طويلاً. مع ذلك، يتم إطلاق العديد من برامج مشاركة المواطنين، وهناك فوائد ملموسة يمكن استخلاصها من برنامج فعال لإشراك المواطنين. ويحدد كوجان وشارب (Cogan & Sharpe، 1986، ص 284) خمس مزايا لمشاركة المواطنين في عملية التخطيط، وأولها إضافة معلومات وأفكار حول القضايا العامة. كما تساهم المؤسسة في دعم قرارات التخطيط، وتجنب النزاعات الطويلة والتأخيرات المكلفة، وإضافة روح التعاون والثقة بين الوكالة والجمهور.

في كتابهما «مشاركة المواطن في صنع القرار العام»، يؤكد دوساريو ولانغتون DeSario and Langton دور التكنولوجيا في قرارات السياسة العامة.(DeSario and Langton, 1987) ويخلصان إلى أن القرارات العامة تتأثر بشكل متزايد بالتكنولوجيا. ويميزان بين نهجين لصنع القرار: النهج التكنوقراطي والنهج الديمقراطي.

3-النهج التكنوقراطي وغايات المشاركة:

ويتم تعريف التكنوقراط، أو النهج التكنوقراطي، على أنه تطبيق المعرفة الفنية والخبرة والتقنيات، وأساليب حل المشكلات. وتشير الديمقراطية، كما حددها DeSario وLangton، إلى «أنشطة إشراك المواطنين فيما يتعلق بالتخطيط الحكومي وصنع السياسات.» (DeSario and Langton,1987, p.5)

وقد حدد كانتروفيتز Kantrowitz ثلاثة أنواع منفصلة من القرارات السياسة: القرارات التقنية التي تستند فقط إلى تطبيق واستقراء القضايا العلمية، وقرارات القيمة بحل القضايا المعيارية أو المجتمعية الهامة، وثالثا قرارات مختلطة لها مكونات فنية وقيمة. وتنطوي قضايا القيمة على قرارات معيارية لما يجب أن يكون. «على الرغم من أن المعلومات العلمية يمكن أن توفر إرشادات فيما يتعلق بقرارات القيمة، إلا أنها نادرًا ما تكون المحدد الوحيد.» (DeSario and Langton, 1987. p. 8)

كثيرا ما تؤثر قرارات إدارة الموارد الطبيعية على القيم الاجتماعية. ومن الصعب تطبيق النهج التكنوقراطي في صنع القرار بنجاح على المشكلات الاجتماعية، «لأن الأهداف الاجتماعية غالبًا ما تكون معقدة ومتضاربة وغير واضحة». (DeSario and Langton, 1987 p. 9) وفقاً لكانترويتز، «إن

المشكلة بالنسبة للخبراء هي أن القضايا التي يواجهونها بشكل متكرر عند معالجة المشكلات الاجتماعية هي قرارات مختلطة، تنطوي على أحكام فنية وقيمية».
(Kantrowitz, 1975, p. 506)

«أصبح عدد متزايد من الأمريكيين أكثر تشكيكًا بالتكنولوجيا وخبرائها. وإحدى نتائج هذا الشك هي الطلب المتزايد على مشاركة أكبر للمواطنين فيما يتعلق بالقرارات التكنولوجية». (DeSario and Langton، 1987 p.11)
لذلك، سيواجه التقدم التكنولوجي تدقيقًا عامًا متزايدًا لأن أوجه القصور في التكنولوجيا والخبراء تصبح أكثر وضوحًا. وقد أدى التكامل بين المقاربات التكنوقراطية والديمقراطية، خاصة في إدارة الموارد الطبيعية، إلى شعور متزايد بالإحباط والعقم بالنسبة لكل من الجمهور والمؤسسات الحكومية المعنية.
(Caplan & Caplan, 1989)

إن صنع القرار الديمقراطي، على النقيض من اتخاذ القرار البيروقراطي أو التكنوقراطي، يقوم على افتراض أن كل من يتأثر بقرار معين له الحق في المشاركة في صنع هذا القرار. «ويمكن أن تكون المشاركة مباشرة بالمعنى الديمقراطي الكلاسيكي، أو يمكن أن تكون من خلال الممثلين لوجهة نظرهم في نموذج جمهوري تعددي». (Kweit and Kweit, 1986, p.22)

قد يكون الدافع وراء أنشطة المشاركة من منظور إداري، أو منظور على مستوى حكومي أو مؤسسي أو اجتماعي. من وجهة النظر الإدارية، يمكن للمشاركة بناء الدعم العام للأنشطة. ويمكنها تثقيف الجمهور حول أنشطة المؤسسة، كما يمكن أن تسهّل أيضًا تبادل المعلومات المفيدة فيما يتعلق بالظروف المحلية. وغالباً ما تكون المشاركة إلزامية من الناحية القانونية.

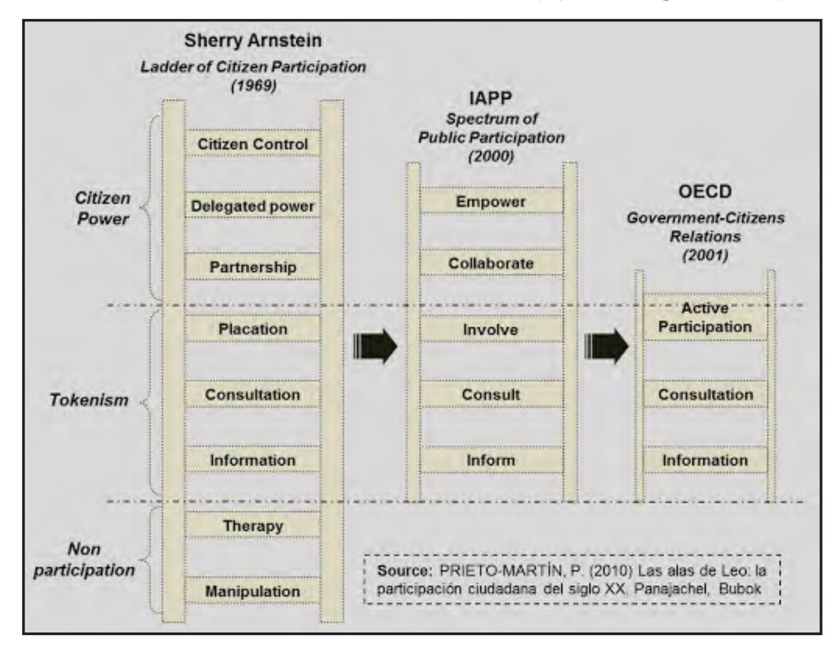
من وجهة نظر المواطن، تمكِّن المشاركة الأفراد والجماعات من التأثير على قرارات الوكالة بطريقة تمثيلية. وتعتمد أنواع المشاركة السياسية المختلفة على الدافع. عندما تكون المجموعة مصممة للعمل على حل مشكلة المجتمع، يمكن أن تكون هناك مسيرات للعمل للمرشحين.

تناقش شيري أرنشتاين Sherry Arnstein ثمانية أنواع من المشاركة في سلم مشاركة المواطنين Ladder of citizen participation : أولا في سلطة المواطن: سيطرة المواطن، السلطة المفوضة والشراكة. ثانيا في الرمزية: الاسترضاء، التشاور والإعلام. وفي عدم المشاركة: العلاج والتلاعب.

يقدم أرشون فونغ Archon Fung تصنيفًا آخر للمشاركة على أساس ثلاثة أسئلة رئيسية: من الذي يُسمح له بالمشاركة، وهل يمثل السكان؟ وما هي طريقة الاتصال أو اتخاذ القرار؟ وما مدى التأثير أو السلطة الممنوحة للمشاركة؟

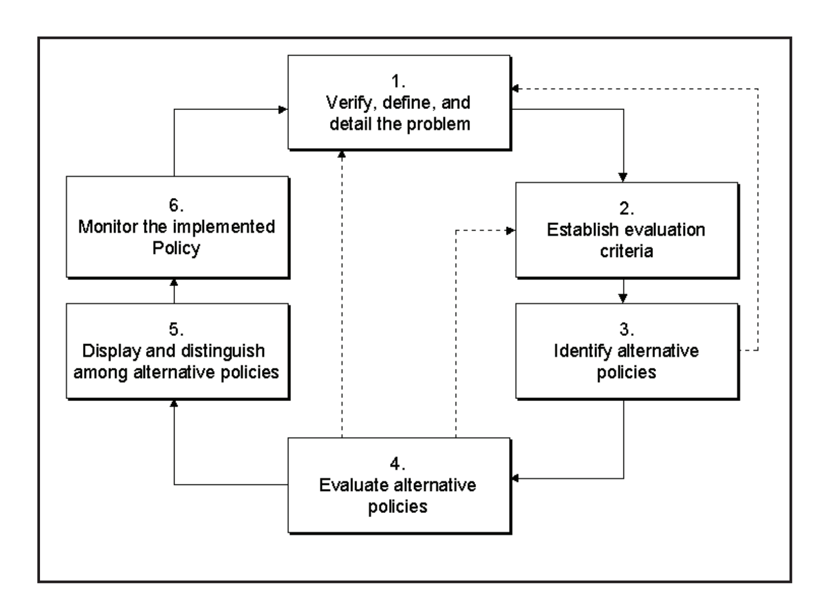
وقد طوّرت «الرابطة الدولية للمشاركة العامة» (IAP2) نموذجا على أساس خمسة مستويات: المعلومات والتشاور والمشاركة والتعاون والتمكين.

يحدد باتون وسويشيكي Patton and Sawicicki ست خطوات في عملية تحليل السياساتThe Policy Analysis Process : تعريف المشكلة، تحديد الغايات والأهداف، تطوير البدائل، وضع معايير التقييم، تحديد البديل «الأفضل»، ورصد وتقييم النتيجة (Patton and Sawicicki, p. 26 1986,). ويوضح الشكل(أ) مخططًا لعملية تحليل السياسات.



سلّم مشاركة المواطنين 1969/2001

http://roadtolorien.info/characterizing-collaborative-participation/



الشكل (أ) - عملية تحليل السياسات 1986

https://pages.uoregon.edu/rgp/PPPM613/class10theory.htm

إن تحليل السياسات يميل إلى تركيز السلطة في أيدي عدد قليل من الخبراء، وهو الأكثر توافقًا مع عملية صنع القرار البيروقراطي الذي «يتعارض مع مشاركة المواطنين» (Kweit and Kweit, 1986, p.21). ولأن عملية تحليل السياسات تعتمد على تقنيات متخصصة، فإن الخبرة هي عنصر متأصل في تحليل السياسات. على هذا النحو، يتم تقليل دور مشاركة المواطنين في عملية تحليل السياسات التقليدية إلى الحد الأدنى. "وغالبًا ما يفتقر المواطنون إلى الخبرة التقنية، ويمكن أن يشاركوا عاطفيًا في القضايا المثيرة للقلق بدلاً من أن يكونوا منفصلين وعقلانيين". (Kweit and Kweit, 1986, p. 22)

لعدد من الأسباب، من الصعب اتخاذ قرارات عقلانية بحتة. وأحد القيود الرئيسية المتأصلة في العملية هو نقص المعلومات الشاملة. مع ذلك، يمكن أن تساعد المدخلات مجموعات المواطنين خارج الحدود التنظيمية على توفير معلومات أكثر شمولاً حول جميع جوانب عملية تحليل السياسات. و قد رأى لانغ Kevin Lang أن عمليات التخطيط التقليدية الشاملة والاستراتيجية غير كافية للتخطيط لإدارة الموارد. ويقترح اتباع لانغ نهجا أكثر تفاعلية للتخطيط، هو النهج المتكامل لتخطيط الموارد الذي يشتمل على التفاعل مع أصحاب المصلحة في البحث عن المعلومات ذات الصلة، والقيم المشتركة، والإجماع، وفي النهاية، الإجراء المقترح الممكن والمقبول. كما يرى لانغ أن التخطيط التقليدي يسيطر

عليه أسلوب فني - تحليلي، حيث يكون المخطط خبيراً مستقلاً محايداً يقدم المشورة لصانعي القرار حول أفضل طريقة لتحقيق أهدافهم وخدمة المصلحة العامة. وينصب التركيز على جمع البيانات وتحليلها كوسيلة لإيجاد أفضل الحلول للمشاكل ووضع خطة سليمة تقنيا، والافتراض الضمني هو أن المعلومات الأفضل تؤدي إلى قرارات أفضل. كما يقاس النجاح في التخطيط التقليدي بمدى تحقيق أهداف الخطة. وبحسب لانغ، فإن «التخطيط التفاعلي يعتمد على افتراض أن العمليات التشاركية المفتوحة تؤدي إلى قرارات أفضل. ويتعامل المخطط مباشرة مع أصحاب المصلحة لكسب الدعم وبناء التوافق، وتحديد الحلول المقبولة وتأمين التنفيذ. كما يقاس النجاح في التخطيط التفاعلي بمدى إمكانية تحقيق التوازن بين المصالح المتنافسة، ويتم التوصل إلى توافق في الآراء بشأن الإجراءات المناسبة». (Kevin Lang,1986, p.35-39) (الجدول ب)

Interactive Planning	Conventional Planning
Includes information/ feedback, consultation and negotiation Interaction occurs early on and throughout the planning process, with full range of stakeholders Assumes that open participation leads to better decisions Planner as value-committed advocate Focuses on mobilization of support Plan = what we agree to do Success measured by achievement of agreement on action	Limited information/feedback; maybe some consultation Early interaction with implementers; affected interests not involved until late in process Assumes that better information leads to better decisions Planner as value-neutral expert Focuses on manipulation of data Plan = what we should do Success measured by achievement of plan's objectives

الجدول (ب) - التخطيط التفاعلي مقابل التخطيط التقليدي 1986

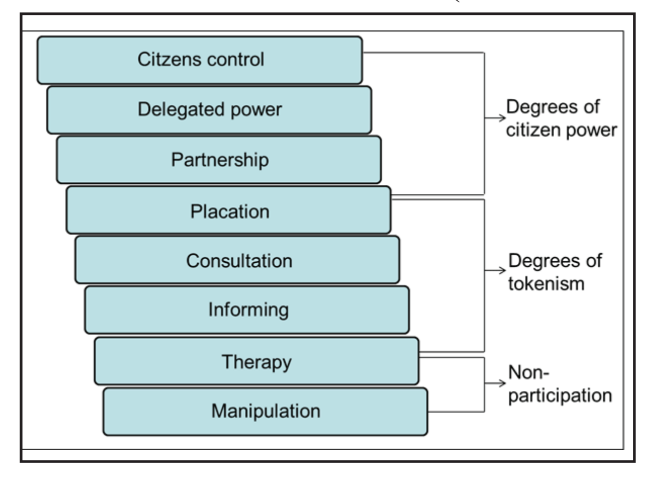
https://www.semanticscholar.org/paper

ثانيا: مبادئ مشاركة المواطن

1- برامج مشاركة المواطنين:

تعتبر تصورات أصحاب المصلحة والمخططين من الاعتبارات المهمة في تطوير وتنفيذ أي برنامج للمشاركة العامة. وغالبًا ما تكون المشاركة العامة شرطًا للمخططين، ومع ذلك فهي دائمًا اختيارية، إذ يختار المواطنون المشاركة، لأنهم يتوقعون تجربة مرضية، ويأملون في التأثير على عملية التخطيط. ويشير كوجان David G.Cogan إلى أن المشاركة يمكن أن تكون ذات فوائد للمواطنين، من خلال فعل المشاركة، أو فرصة المساهمة في السياسة العامة. «إن توقعات المخططين مهمة أيضًا من حيث أن برنامج المشاركة العامة الفعال يمكن أن يؤدي إلى عملية تخطيط أفضل، بالإضافة إلى الرضا الشخصي.» (Cogan & Sharpe، 1986، ص 284)

وترتبط البرامج مشاركة المواطنين بتوقعات كل من المواطنين والمخططين، وهي الناجحة، يكون التفاوت بين توقعات المخطط والمشارك في الحد الأدنى. «إذا كانت التوقّعات مختلفة، فإن النزاع محتمل، وهذا الصراع يضر بعملية التخطيط، وبالعلاقة بين المشاركين والمخططين. وفي كثير من الأحيان، يمكن تجنبه لأن مصدره توقعات متضاربة بدلاً من مطالب متضاربة». (كوغان وآخرون، 1986، ص 287).



سلّم مشاركة المواطن1969

https://catcomm.org/ladder-participation/

من الواضح أن برامج مشاركة المواطنين يمكن أن تزيد التكاليف ومقدار الوقت الذي يستغرقه المشروع. وعلاوة على ذلك، هناك مستوى معين من المخاطر المرتبطة ببرامج مشاركة المواطنين. مع ذلك، يقترح كوجان أن برامج مشاركة المواطنين يمكن أن تجعل عملية التخطيط أكثر فعالية من خلال الحد من عزلة المخطط عن الجمهور، وتوليد روح التعاون والثقة، وإتاحة الفرص لنشر المعلومات، وتحديد أبعاد إضافية للبحث، والمساعدة في تحديد الحلول البديلة، وإضفاء الشرعية على جهود التخطيط والمصداقية السياسية للمؤسسة، وزيادة الدعم الشعبي. علاوة على ذلك، «قد يساهم برنامج المشاركة العامة الفعال في توفير الوقت والمال من خلال التأكد من أن الحل المقترح مقبول من قبل جميع أصحاب المصلحة والمهتمين». (كوغان وآخرون، 1986، ص 287).

2-أشكال المشاركة العامة:

هناك مجموعة متنوعة من التقنيات المتاحة للمخططين لطلب مساهمة الجمهور في عملية التخطيط، تتراوح بين الاجتماعات الأساسية المفتوحة، إلى التقنيات الأكثر تعقيدًا. ويمكن تقديم هذه التقنيات بيانيا كسلسلة متصلة تتراوح من المشاركة السلبية إلى المشاركة النشطة (الشكل ج). ويقدم كوغان الوصف التالي لأشكال المشاركة العامة: (Cogan et al., 1986, pp.292-294)

- الدعاية: أي تصميم تقنيات الدعاية لإقناع وتسهيل الدعم العام، فيما يتعلق بالمواطنين كمستهلكين سلبيين.

- التعليم العام: تقدم برامج التعليم العام معلومات كاملة ومتوازنة نسبيًا حتى يتمكن المواطنون من استخلاص استنتاجاتهم الخاصة.

- المدخلات العامة: تقنيات المدخلات العامة تتطلب الأفكار والآراء من المواطنين. وتكون أكثر فعالية عند دمجها مع آليات التغذية الراجعة التي تبلغ المشاركين بمدى تأثير مساهماتهم في القرارات النهائية.

- التفاعل العام: تقنيات التفاعل العام تسهل تبادل المعلومات والأفكار بين المواطنين والمخططين وصناع القرار. وعندما يتم استخدام هذه التقنيات بشكل فعال، فإن كل مشارك لديه الفرصة للتعبير عن آرائه، والاستجابة لأفكار الآخرين، والعمل باتجاه توافق الآراء.

- الشراكة العامة: توفر الشراكات العامة للمواطنين دورًا رسميًا في صياغة القرارات النهائية.

وقد يوفر الاجتماع العام فرصًا للتعليم والتفاعل. والنقطة الرئيسية التي يشير إليها كوغان هي أن عدد المواطنين الذين يمكن مشاركتهم مرتبط بشكل عكسي بمستوى المشاركة النشطة. على سبيل المثال، «يمكن أن تصل جهود العلاقات العامة إلى عدد أكبر من المواطنين، بينما تقتصر الشراكة العامة المشاركة على عدد قليل». (Cogan et al.,1986, p. 293) (الشكل ج)

PUBLICITY	PUBLIC EDUCATION	PUBLIC INPUT	PUBLIC INTERACTION	PUBLIC PARTNERSHIP
Building public support	Disseminating information	Collecting information	Two-way communication	Securing advice and consent
<----------------- PASSIVE ACTIVE------------------>				

الشكل (ج): إستمرار المشاركة العامة

غالبًا ما تكون المشاركة في المجتمعات تفاعلًا اجتماعيًا يحدث كتقدم للمجتمع، بدلاً من تفاعل الفرد. ويمكن أن تكون المشاركة في هذه المجتمعات بمثابة «خدمة للتعلم». يتراوح هذا التعلم من الأنشطة اليومية، حيث يكتسب أفراد المجتمع مهارة جديدة لإكمال مهمة، أو المشاركة من خلال الأحداث الاجتماعية للحفاظ على ممارساتهم الثقافية. «وتسمح أحداث المشاركة الاجتماعية هذه للأجيال الجديدة، بمشاهدة الأحداث والتعلم من هذه المشاركة المستمرة لمواصلة هذه الممارسات. وعلى الرغم من وجود مجالات وأهداف مختلفة للمشاركة في المجتمعات، فإن الخلاصة الأساسية لهذه المشاركة هي أنها غير ملزمة وغالبًا ما تكون موجهة نحو المجتمع.» (Cogan et al.,1986, p. 293)

3-نموذج المشاركة السياسية لوسائل التواصل الاجتماعي:

على الرغم من أن الدراسات تشير إلى أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يعزز المشاركة السياسية، هناك نقص في التنظير حول العمليات النفسية الكامنة وراء هذه العلاقة. يحدد نموذج المشاركة السياسية لوسائل التواصل الاجتماعي، مجموعة من العمليات المترابطة التي يجب تحقيقها بحيث يؤثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على المشاركة السياسية. ويوضح النموذج الظروف الطارئة الرئيسية، ويقدم رؤى حول تعزيز المشاركة السياسية.

وقد توسعت دراسة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (SMU) والمشاركة السياسية (PP)، وأشارت نتائج البحوث إلى أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يعزز مختلف أشكال المشاركة السياسية.

وعلى الرغم من هذه المجموعة الكبيرة من الأبحاث، هناك نقص في التنظير حول العمليات النفسية الكامنة وراء هذه العلاقة بين المشاركة السياسية. وتشير نظرية أنظمة الأهداف إلى أن الأهداف البشرية يتم تمثيلها عقليًا على أنها بنيات معرفية مرتبطة بالأهداف الفرعية ووسائل الإنجاز.(Kruglanski et al., 2002)

وبالتالي، من أجل شرح نموذج المشاركة السياسية، نحتاج إلى فهم كيفية قيام المواطنين بتشكيل وتنشيط وتنفيذ الأهداف التشاركية، قبل وأثناء الموقف السلوكي. وباختصار، لكي تمارس إستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي تأثيرًا على المشاركة السياسية، يجب تحقيق سلسلة من حالات الطوارئ.

يستنتج أصحاب النموذج أنه على المواطنين أن يعرِّضوا أنفسهم، سواء عن قصد أو عرضيًا، للمعلومات السياسية التي يعتبرونها ذات صلة، كما عليهم أن يستنتجوا أن هناك فجوة بين الدولة الحالية والدولة المستقبلية المرغوبة. من هنا يجب عليهم اعتبار الحالة المستقبلية قابلة للتحقيق، مما يؤدي إلى تشكيل هدف تشاركي واضح. وأخيرًا، يجب على المواطنين تنشيط هذا الهدف ضد أهداف أخرى في موقفهم السلوكي.

وحتى إن لم يتم تشكيل هدف تشاركي صريح، فقد تستمر استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز أشكال الجهد المنخفض من المشاركة السياسية.

يوضح النموذج لماذا وكيف يمكن للتعرض المتعمد والعرضي لمحتوى الوسائط الاجتماعية السياسية، أن يعزز الإجراءات التشاركية المنخفضة والمرتفعة.(Kruglanski et al., 2015)

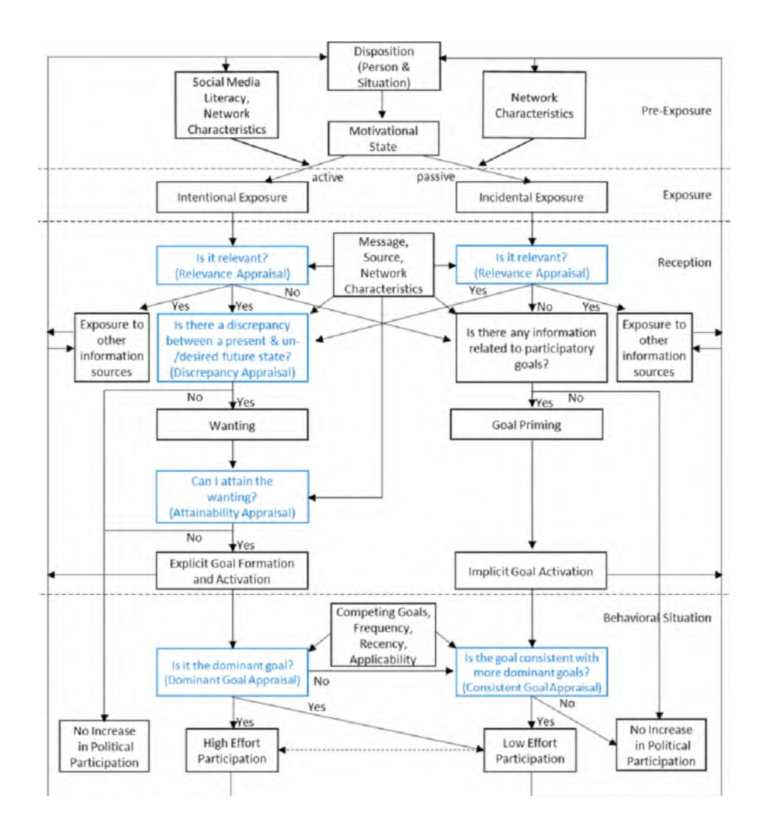
يدمج نموذج المشاركة السياسية المتكامل نظرية أنظمة الأهداف مع نهج الاستخدامات والإشباع (كاتز وآخرون، 1974)، ونظرية التقييم (Lazarus,1996) مع النموذج التمهيدي (Higgins,1991). كما يشرح العمليات النفسية وراء تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على المشاركة السياسية، ويحدد ويدمج الشروط الطارئة الرئيسية لهذا التأثير بناءً على البحث السابق، ويقدم رؤى حول طرق تعزيز أشكال الجهد المنخفض والعالية من المشاركة السياسية، على المدى القصير والطويل. ويوفر النموذج (SMPPM) للعلماء إطارًا شاملاً يمكن من خلاله استخلاص الفرضيات واختبارها، فيما يتعلق بالتعرض للمعلومات السياسية عبر وسائل التواصل الاجتماعي (ومصادر

إعلامية أخرى)، وتشكيل أهداف تشاركية صريحة وضمنية، وتنفيذ هذه الأهداف التشاركية في السلوك والمواقف. ويمكن بشكل عام تعريف المشاركة السياسية بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي على أنه «أي سلوك من قبل المواطنين العاديين يكون موجها نحو التأثير على بعض النتائج السياسية» (برادي، 1999، ص. 737).

وسائل التواصل الاجتماعي هي مساحات مخصصة للغاية، وتعتمد تأثيراتها على كيفية استخدام الناس لها. وتشير نتائج التحفيز وسلوك المستخدم إلى أن التركيبة السكانية والاستعدادات المسبقة تحدد كيفية استخدام الأشخاص لوسائل التواصل الاجتماعي. وقد يتجنب الناس المعلومات السياسية أو يسعون إليها بنشاط (Baek, 2013)؛ ولكن حتى لو تعرضوا لمحتوى سياسي، فقد لا يشارك المستخدمون (Tang and Lee, 2015). وقد أظهرت الأبحاث أن المصدر أو معلومات التوظيف المباشر، تلعب دورًا مهمًا في أن تؤدي استخدامات وسائل التواصل الاجتماع إلى المشاركة السياسية بشكل عام (Nekmat et al., 2015). وقد وجدت بعض الدراسات تأثيرات إيجابية (Bachmann and Gil de Zuniga, 2013) ، إلاّ أنها أدت إلى نتائج غير متناسقة. (Ekstro Vitak, et al., 2014)

علاوة على ذلك، إلى جانب التعرض المتعمد، قد يتعرّض المستخدمون غير المهتمين نسبيًا عن طريق الخطأ للمعلومات السياسية. فعلى وجه التحديد، يمكن القول إن صعود وسائل التواصل الاجتماعي قد ساهم بشكل أكبر في ظاهرة التعرض العرضي أو غير المقصود للمحتوى الخاص بالشؤون العامة، لأن مثل هذا المحتوى غالبًا ما يتم دفعه إلى الناس من قبل معارفهم. لذلك، تم البحث كثيرًا عن العوامل السياقية التي تزيد من فرصة التأثر العرضي.

من المهم ملاحظة أن التعرض المتعمد والتعرض العرضي يمكن أن يؤديا، في بعض الظروف، إلى نفس النتائج، وبالتالي قد يكون لهما نفس التأثيرات. ومع ذلك، قد تكون العمليات الأساسية مختلفة تمامًا. والسبب هو أنه يمكن استخدام العديد من النظريات أو النماذج للتنبؤ بنتيجة واحدة. (Lee, 2013)(أنظر رسم النموذج المتكامل للمشاركة السياسية لوسائل التواصل الاجتماعي SMPPM)



رسم نموذج المشاركة السياسية المتكامل لوسائل التواصل الاجتماعي
2015 -SMPPM

https://www.researchgate.net/figure/Social-media-political-participation-model-SMPPM_fig1_322694058

ثالثا: التواصل الاجتماعي والتخطيط الاستراتيجي

1 - مفهوم التخطيط الاجتماعي:

التخطيط الاجتماعي هو صنع سياسات مقصود بها اتباع سلوكيات محددة، من خلال مجموعة من القوانين والتنظيمات والمحفّزات، والحملات الإعلامية والخدمات والمعلومات، لتحقيق نتائج مرصودة، ضمن مروحة واسعة من الاحتمالات. ولا بد للمجتمعات المحلية والمجموعات القاعديّة من المشاركة في التخطيط وفي تنفيذ السياسات، فقد أصبح من غير المقبول أبدا أن يعتقد المواطنون أنّها مشكلة الآخرين، بحجة أنّهم لا يملكون الوقت أو الطاقة للانخراط في جهود تخطيطية للمصلحة العامة.

إن إشراك كل أعضاء المجتمع المحلّي ضروري اليوم أكثر من أي وقت مضى، وقد أتاحته وسائل التواصل الاجتماعي، إلاّ أنّه ما زال يتطلّب الوقت والمجهود. فقد يحتاج الناس أولا إلى التدريب والإرشاد من أجل أن يدركوا إجراءات المسار التشاركي وفرضيّاته. ومن جهة أخرى، ربما كانت لديهم المهارات للمشاركة، غير أنهم قد يكونون في حاجة إلى حافز للقيام بذلك. وقد يتطلّب إضفاء الثقة على المسار وصانعي القرار الكثير من التنظيم المجتمعي، قبل أن يتقبل المجتمع المحلّي بأسره مشروع المشاركة.

عندما يخطّط صانعو السياسات في الفراغ، فغالباً ما تفشل خططهم، لأنّهم لم يأخذوا في الحسبان وقائع الوضع والحاجات الحقيقية للسكّان المستهدَفين. ويمكن لأعضاء المجتمع المحلي أن يساعدوا صانعي السياسات على فهم حياتهم كالصعوبات التي يواجهونها، وما الذي يشعرون أنّه من الواجب طرحه. ويمكن لأعضاء المجتمع، من خلال المشاركة في بناء السياسات، أنْ يروا أنّ هذه السياسات وُضعت لتحسين حياتهم فعلياً، بدل من أن تكون دون تأثير، أو أن تَفرض عليهم المزيد من الأعباء. وبدل أن يُنظر إليهم كضحايا أو كمصدر إزعاج، يُنظر إلى أعضاء المجتمع المحلي المنخرطين في مسار التخطيط الاجتماعي التشاركي، على أنهم زملاء ومواطنون معنيون بتحسين مجتمعاتهم. فهم يُحترمون كبَشر أولا، وكمواطنين لديهم مهارات ومعرفة، ويبذلون جهودا يساهمون بها في المسار.

ويتعلّم الذين يشاركون في المسار مهارات القيادة، فضلاً عن ممارستها، كما يرون أنفسهم كأشخاص لديهم القدرة على أن يكونوا قادة. والخطوة الأكثر أهميّة في القيادة وفي القيام بتحرّكات للتأثير على الأحداث المضرّة بهم، هي

الإيمان بقدرتهم على ذلك. من هنا، يستمر مسار التنمية المجتمعية مع الوقت ولا يتوقف، فعندما يزداد تحكّم أعضاء المجتمع المحلي بالمزيد من المجالات في حياتهم، يخلقون تغييرات تحسّن نوعية الحياة للجميع في المجتمع المحلي، ويقومون بمأسسة هذه التغييرات.(James H. Dalton, Maurice J. Elias, and Abraham Wandersman, 2007) .

ويمكن لصانعي السياسات التعامل ظاهرياً مع المشاركة المجتمعية، فيما هم فعليّاً يقومون بالالتفاف عليها أو تجاهلها. ومن وجهة نظر صانعي السياسات، يكون التخطيط الاجتماعي مناسباً، خصوصا عندما يطالب المجتمع المحلي به. فقد تكون هناك مشكلة مجتمعية قد وصلت إلى حدّ شعر فيه المجتمع المحلّي بضرورة القيام بأمر ما، من دون أن يعرف ما هو، أو ما إذا كان لديه الموارد للقيام به. فيطلب عندها المساعدة من صانعي السياسات أو من مصادر خارجيّة.

ومن الطبيعي أن يشارك المجتمع المحلي بالتخطيط الاجتماعي إذا وصلت مسألة أو مشكلة ما إلى حدود الأزمة، فيصبح واضحاً للجميع واجب القيام بأمرٍ ما. وقد يتطلّب الأمر أحياناً حدثاً محدّداً كأعمال الشغب الاجتماعي، أو اضطراب عنيف، لوضع مسار التخطيط الاجتماعي على السكّة. ولكن في حالات أخرى، قد يكون المسار تجاوباً مع ظروف مستمرة (مثل بطالة متصاعدة أو تزايد في جرائم الشباب أو جرائم العنف ضد المرأة..).

وفي حال وجود مسألة أساسية مزمنة، كالفقر أو العنف أو مشكلة السكن أو الجوع، تلفت نظر صانعي السياسات، وبسبب الترويج الإعلامي لها، يشعر المسؤولون والأشخاص الموجودون بمواقع القرار بضرورة الاستجابة ومحاولة القيام بأمر ما. مثال على ذلك : لطالما تواجد الفقر المدقع في الولايات المتّحدة، ولكنّ حرب الرئيس جونسون على الفقر كانت مدفوعة جزئياً بنشر كتاب مايكل هارينغتون «أميركا الأخرى: الفقر في الولايات المتّحدة»، عام 1962. . (Amanda Smith Barusch, 2006)

2- شروط نجاح التخطيط:

لكي يعمل التخطيط الاجتماعي جيّداً، يجب أن يكون على الأقل صانعو السياسات مدعوّين للمشاركة، بالإضافة إلى كافّة أصحاب المصلحة، وكلّما زاد التمثيل، كان ذلك أفضل. و«أصحاب المصلحة» هو تعبير يشمل كافّة المتأثرين بشكلٍ مباشر وبطريقةٍ ما، بالتغييرات المحتملة في السياسات أو بالمسائل المطروحة.

والمشاركة المجتمعية غاية مهمّة لمعظم المنظّمين المجتمعيين، وهي تبدأ بكل شخص على حدى. فكون الأشخاص أعضاء في المجتمع المحلي لا يعني أنّهم بالضرورة يملكون أجوبة جيّدة عن كافّة المشكلات أو المسائل التي يواجهونها، ولكن هذا يعني أنّ لديهم منظوراً أفضل لما هي حياتهم ربطاً بتلك المشكلات والمسائل، وبما يحصل فعليّاً في المجتمع. وما إن يصبح الناس نسبيّاً متمكّنين مما هو ممكن، وبكيفية التعاطي مع الأنظمة المختلفة السياسية والمالية والاجتماعية وغيرها، يكبر احتمال تمكّنهم من إيجاد حلولهم الخاصّة. والمجتمع المحلي الذي له خبرة أصلاً في هذا المجال هو مستعدّ على الأرجح للقيام بالجهود وحده، وقد يحتاج فقط دعماً ماليّاً وسياسيّاً. أمّا المجتمع من دون تجارب سابقة، والذي لم تسنح له حتى أي فرصة، فسيحتاج إلى أكثر بكثير من ذلك.(Judith C. Meredith and Catherine M. Dunham, 1999)

من الأساسيّ للغاية احترام أعضاء المجتمع المحلي والتعامل معهم كشركاء، ولكن هذا لا يعني التضحية بالممارسات الفضلى أو بالخبرات السابقة، بقدر ما لا يعني تجاهل المجتمع المحلي. التوازن هنا دقيق، ولكن إذا انطلق المجتمع المدني بالشكل المناسب فسيكون مسرورا بالمسار وبالنتائج. و في بعض الحالات، قد يكفي إبقاءُ المجتمع المحلي على علم بما يجري، من خلال اجتماعات دورية والإعلام ولائحة إلكترونية. في حالات أخرى، قد يكون ما يحتاجه هو اجتماعٌ عامّ، مع فرصة لمداخلات من المجتمع المحلي.

وعندما تأتي المبادرة من صانعي السياسات، يختلف الوضع، بما أنّ مسألة المشاركة المجتمعية قد لا تكون على أجندة المخطّط. في معظم الحالات إذن، يُترك للقادة والناشطين المجتمعيّين أمرُ إثارة هذه القضية والتأكّد من إشراك المجتمع المحلّي في المسار. وفي حال قاوم صانعو السياسات الفكرة، وكانوا غير قابلين لتغيير رأيهم بالمنطق أو الحجج، قد يكون عندها الوقت قد حان للتحوّل إلى أسلوب التحرّك الاجتماعي. من جهة أخرى، إذا عمل صانعو السياسات والمجتمع المحلي كشركاء وليس كخصوم، تكون الإنتاجية عادةً أكبر بكثير.

المسألة تبدأ بتبشير المواطنين بحسنات العمليّة التشاركية، بحيث يقفون للمطالبة بالمشاركة في أي قرارات متعلّقة بالسياسات التي تؤثر عليهم. إذا كان واضحاً أنّ المجتمع يريد المشاركة وهو مستعد للقيام بالعمل الضروري وسيدعم تنفيذ السياسات الناجمة عن ذلك، فسيكون من الصعب على صانعي السياسات المقاومة.

3- أسس ونتائج التخطيط الاجتماعي:

التخطيط الاجتماعي يمكن أن يكون وسيلةً فعّالة للتنظيم المجتمعي والتنمية، ولتغيير السياسات، إذا دخل في روح من الشراكة مع المجتمع المحلّي. إذا استطع صانعو السياسات أو بناة المجتمعات، جعْل المسار شاملاً وتشاركيّاً فعلاً، تكبر الفرص في أن تتأتّى عنه نتائج إيجابية وطويلة الأمد لهم، كما للمجتمع المحلّي.

يقوم مفهوم التخطيط الاستراتيجي الاجتماعي على تحقيق الأمن الاجتماعي وامتلاك القوة الاستراتيجية الاجتماعية، ويتضمن بناء مجتمع متجانس متفاعل إيجابياً منصهر وطنياً يقوم على قيم الخير والمرتكزات الاستراتيجية التي تتضمن تحقيق العدالة الاجتماعية، وتعزيز الإنتماء الوطني وأمن الإنسان وكرامته، وتأسيس الاوضاع الديمغرافية التي تؤسس لحفظ كيان الدولة وحفظ حضارتها ، وتوفير الفئات العمرية المطلوبة لتحقيق التنمية، وتشكيل الثقافة الوطنية المطلوبة لتحقيق المصالح الاستراتيجية للدولة، بما في ذلك الإسناد الثقافي المطلوب لتحقيق الأمن والسلم العالمي. ويتضمن تنمية ورعاية الإنسان وجدانيا ونفسياً وعقلياً وبدنياً، ونشر المعرفة وتوفير الموارد البشرية المؤهلة من حيث السلوك الوطني والمهني والمهارات والقدرات والانتماء للوطن، كما يتضمن تعزيز دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية والثقافية، وتعزيز قدرات المجتمع في تحقيق المصالح الاستراتيجية.

وتتمحور المصالح الاستراتيجية في المجتمع حول تحقيق الأمن الاجتماعي وامتلاك القوة الاستراتيجية الشاملة، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتعزيز الإنتماء الوطني. ويقوم التخطيط الاجتماعي الاستراتيجي على تعزيز أمن الإنسان وكرامته، وتأسيس الاوضاع الديمغرافية التي تحفظ كيان الدولة وتوفّر الفئات العمرية المطلوبة لتحقيق التنمية. كما يرتكز على تشكيل الثقافة الوطنية المطلوبة لتحقيق المصالح الاستراتيجية للدولة، وتوفير الإسناد الثقافي لتحقيق الأمن والسلم العالمين.(Elizabeth A. Segal & Stephanie Brzuzy, 1998)

من هنا، فإن التخطيط الاستراتيجي الاجتماعي يشمل استراتيجيات فرعية عديدة أهمها الاستراتيجية الثقافية، واستراتيجية الموارد البشرية (التربية والتعليم والتدريب)، واستراتيجية الصحة والرعاية والضمان الاجتماعي، واستراتيجيات الأسرة والشباب والمرأة والطفل، والرياضة ومكافحة المخدرات وذوي الحاجات الخاصة.

وتقوم الخطة الاستراتيجية على الأسس التالية:

1 - الواقعية: تعني أنَّ الخطة ينبغي أنْ تُبنى على أساس تقدير دقيق للواقع، أي أن تكون معبرة عن مشكلات الواقع وملابساته.

2 - الشمولية: تعني أنَّ الخطة يجب أن تتناول القطاعات الأساسية للمجتمع كافة دون استثناء أو إهمال لأحد جوانبه.

3 - التكامل: يعني أن تكون مشاريع الخطة مكملة لبعضها ويسهم كل منها بنجاح الأخر، فالتخطيط لا يقوم على أساس التصور الاستقلالي لكل مشروع، وإنما يقوم على أساس التصور التكاملي بين المشاريع التي تتكون منها الخطة.
4 - تتابع وتلاحق خطط التنمية: يعتمد التخطيط السليم على ضرورة تلاحق خطط التنمية، بحيث تبدأ خطة جديدة عند انتهاء الخطة السابقة، وهذا المبدأ مهم لا سيما في الدول النامية حيث تتطلب عملية تكوين رأس المال وقتاً طويلاً من العمل الإنمائي، حتى يمكن أنْ تظهر آثار الخطط بطريقة واضحة في حياة الأفراد.
5 - تحقيق الموازنة بين خطط التنمية الاقتصادية وخطط التنمية الاجتماعية: تقوم عملية التخطيط على أساس تحقيق التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، فالخطة الجيدة يجب أنْ تتضمن مشاريع اقتصادية إنتاجية إلى جانب المشاريع الاجتماعية، مثل المشاريع الخاصة بالتعليم والإسكان والصحة الخ. فهناك علاقة جدلية بين قطاع الإنتاج المادي وبين قطاع الخدمات الاجتماعية، بحيث يصعب الفصل النهائي بينهما. (غنيم، 2005)

عرف التخطيط، كمنهج علمي، منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وعنيت بتطبيقه الدول الاشتراكية، حيث رأت فيه الطريق الوحيد لتحقيق ما تصبو إليه من تقدم اقتصادي ونمو إجتماعي. لذلك ساد اعتقاد أن سياسة التخطيط لا تصلح إلا في ذلك النوع من المجتمعات، حيث تتركز السلطات في يد الدولة، وحيث يسود الاستقرار في جهاز الحكم. ولكن، ما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها، حتي سارعت كثير من دول العالم، الاشتراكية منها والرأسمالية، إلى الأخذ بهذا المنهج بصور مختلفة، وبدرجات متفاوتة. واستطاعت أن تحقق عن طريقه غايات وأهدافا ما كان من الممكن تحقيقها بدون اتباع هذا المنهج الذي مكنها من استخدام مواردها المادية والبشرية أحسن استخدام. كما أعطاها القدرة على تحريك هذه الموارد والطاقات نحو تحقيق أهداف المجتمع وغاياته في إطار السياسة العامة التي رسمها، وفي الوقت المحدد للتنفيذ.

ومعنى هذا أن التخطيط أصبح أمرا مقررا، وحقيقة واقعة لا تقبل الجدل أو المناقشة. وإذا كانت الدول المتقدمة ترى في اتباع هذا المنهج ضرورة لا غنى عنها لاستثمار مواردها، وتعبئة طاقاتها، وتحقيق أهدافها، فإن ضرورة اتباعه والأخذ به تصبح ألزم ما تكون لتلك الدول التي تخلفت فترات طويلة من الزمان، لتطوي مسافة التخلف بينها وبين الدول التي سبقتها في مجالات التقدم ولتحقيق معدلات سريعة للتنمية، مع ضمان التكامل والتوازن بين مختلف القطاعات، وفي كافة المجالات، وعلى كل المستويات.

غير أن التخطيط لا يقتصر على مجرد معالجة المشكلات الاجتماعية بعد حدوثها، وإنما يعتمد على التنبؤ والتوقع لما يمكن أن يحدث، كما يقوم على تقدير حاجات المجتمع خلال فترة زمنية، ثم وضع خطة شاملة متكاملة لتحقيق هذه المطالب والحاجات، خلال الوقت الزمني المحدد لتنفيذ الخطة. فالتخطيط، يهتم بالجانب الوقائي أكثر مما يهتم بالجانب العالجي، ويركز علي الجانب الوقائي، فهو محاولة لتوقع المستقبل، والتنبؤ باتجاهاته، وتحديد مجراه، ثم اتخاذ أسلوب للعمل بتلافي حدوث المشاكل . وهو تغير اجتماعي مقصود يتم في ميدان حافل بالقيم الاجتماعية المتعارضة، ووسائله هي الاستقصاء والمناقشة والاتفاق والعمل.

ويعرَّف التخطيط أيضا بأنه عملية إرادية تفاعلية تهدف للوصول إلي الظروف والعلاقات، والقيم التي ينظر إليها كأمور مرغوب فيها. هذا يعني أنه أداة إرادية واعية للتغير االجتماعي، بحيث لا تترك عمليات التغير للتلقائية والمصادفة، وإنما تخضع للضبط والتحكم لتسير الظواهر والنظم في طريق مرسوم، ونحو غاية محددة. وهو كعملية اجتماعية يعبر عن استمرار الجماعة في تقدمها نحو الأهداف الاجتماعية المحددة، دون أن تكون لهذه العملية بداية أو نهاية معينة.

ويرى بعض المفكّرين أن التخطيط يقوم علي عنصرين أساسين هما التكهن بالمستقبل، والاستعداد لمواجهته، ويستدلون على ذلك بأن هنري فايول Henri Fayol، الرائد الأول لعلم الإدارة العامة، قد عبر عن التخطيط بمصطلح أكثر دلالة من كلمة «Planning»، وهو المصطلح الفرنسي Prévoyance الذي يحمل في طياته معني التكهن والاستعداد. إلا أن المفكرين الاقتصاديين والاجتماعيين يرون أن الخطة ليست مجرد تكهن بما يمكن الوصول إليه من أهداف، كنتيجة للقرارات الفردية للمؤسسات والمنظمات المختلفة التي تكون المجتمع، بل إن الخطة القومية الشاملة تتضمن قدرا كبيرا من التوجيه لنشاط هذه المؤسسات والمنظمات، وتحديد أهدافها بما يحقق الأهداف العامة المحددة للمجتمع، وأن هذه الخطة لا بد وأن تصدر عن جهاز مركزي يمثل المجتمع في جملته، ويكون له حق الرقابة والتوجيه للمنشآت والمنظمات التي تكون الوحدات الأساسية للنشاط الاقتصادي والاجتماعي.(Henri Fayol, 1945)

التخطيط هو عبارة عن عمليات منظمة لإحداث تغيرات موجهة، وذلك عن طريق حصر إمكانيات المجتمع وتحديد مطالبه وتقدير حاجاته، ووضع خطة شاملة متكاملة ومتجددة في الوقت نفسه لتحقيق هذه المطالب والحاجات خالل فترة زمنية معينة. وفي هذه الفلسفة الاجتماعية التي يريد المجتمع أن يتحرك وينمو في إطارها، مع التنبؤ بما قد يعترض سير المجتمع من عقبات، يتم تحديد أنسب الوسائل اللازمة لتخطي المشاكل، والسير بالمجتمع في طريق التقدم المنشود.

وفقا لكل ما سبق يمكن تحديد خطوات التخطيط الاجتماعي فيما يلي: (غنيم، 2005)

- تقدير موارد المجتمع تقديرا دقيقا للوقوف على إمكانياته المادية والبشرية، وتحديد احتياجاته تحديدا واقعيا.
- حصر الحاجات الأساسية وترتيبها تنازليا في سلم الأولويات.
- توضيح الوسائل والنظم والتنظيمات التي يمكن الاستعانة بها لتحقيق هذه الأهداف.
- تحديد فترة زمنية لا بد أن تتحقق خلالها هذه الأهداف.

رابعا: دور المجتمع المدني

1- ماهيّة المجتمع المدني:

المجتمع المدني يشير إلى إطار العمل الجماعي الذي لا يتّسم بالإكراه، والذي يدور حول مصالح وأهداف وقيم مشتركة ومتبادلة. واعتماد هذا المفهوم وبلورته يؤدي للمساهمة في تحقيق التنمية، من خلال مجتمع متعايش متكافل اقتصاديا ومتشارك بالقرارات. ولكن، في ظل عدم تمكن الأحزاب السياسية من القيام بدور يساهم بالتنمية، يصبح الإعلام غير فعال ويعمل حسب مصالح الأحزاب، وهو بالتالي لا يمكن اعتباره من هيئات المجتمع المدني، أن وسائل الإعلام تتأثر بالمعايير والمقاييس والعوامل السياسية وبرامج القوى السياسية المختلفة في الحكم والسلطة، وتعتبر مرآة تعكس نشاطها وفعالياتها وأعمالها ومواقفها، وتضخّم إنجازاتها ومشاريعها خاصة في دول العالم الثالث. (قتيبة قاسم العرب، 2017)

إن أغلب منظمات المجتمع المدني غير حكومية، وقسم منها أهلية تعمل في مجال الرعاية والإغاثة الإنسانية والتنمية الثقافية والاجتماعية، وأي مجتمع بدونها يكون ناقصا وفيه خلل. أما أهم سماتها فهو التطوع الإرادي وغير الجبري في عضويتها، رغم إن الدراسات والتقارير قد أكدت أن نسبة الفعاليات والمساهمات التطوعية ضعيفة ومحدودة في مجال هذه المنظمات، بسبب غياب الوعي بأهمية العمل التطوعي في المجتمعات بشكل عام. لذلك يجب تفعيل وتعزيز العمل التطوعي، وتوسيع آفاقه بإعطاء فرصة للمتطوعين في القيادة الإدارية والتخطيط والتنفيذ في هذه المنظمات، لتشجيعهم على العطاء والتميز والإبداع، واستقطاب عناصر ودماء جديدة، وأن تعمل بصورة مبرمجة لأهداف محددة وفق معايير مقنعة.

إن قيام مجتمع مدني حقيقي يقابله وجود دولة قادرة على حماية الحقوق التي يقرها الدستور بالنسبة للجماعات والأفراد، على أن يظل المجتمع ملتزماً بالوسائل والقنوات السلمية في ممارسة نشاطه كالتعبير عن الرأي و المطالبة بالتغيير، والاشتراك الفعلي في عملية التغيير. ويعتبر هذا الشرط من أهم العناصر لتحقيق الترابط والتماسك، ليشعر الأفراد بأنهم قادرون على الدفاع عن هويتهم المشتركة وحمايتها مقابل التزامهم بأداء واجباتهم نحو الدولة. والمجتمع الذي يقبل فيه الأفراد والجماعات وجود من يخالفهم في الرأي والمصلحة، إذ يحترمون حقوقهم في التعبير عن وجهات نظرهم، هو المجتمع الذي تسوده الروح المدنية.

المجتمع المدني، بالشكل، هو إذن كافة الأنشطة التطوعيّة التي تنظّم من قبل مجموعة من الأشخاص، حول قيم وأهداف ومصالح مشتركة، وتتضمن هذه الأنشطة جميع الغايات التي ينخرط بها لتقديم الخدمات في عمليّة التأثير على السياسة العامة. أما في المضمون، فهو القوة البديلة الناتجة عن دينامية الشعب، التي تنهض بعبء وثقل التعبير عن قيم واهتمامات الأعضاء الآخرين، وله وجودٌ كبير في الحياة العامة، حيث إنّ تلك الأعباء تستند إلى عددٍ من الاعتبارات الثقافيّة، أو السياسيّة، أو الأخلاقيّة، أو الدينيّة، أو الخيريّة.

وعليه، يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى جمعيات ينشئها أشخاص تعمل لنصرة قضية ما. أما الميزة المشتركة التي تجمع بين منظمات المجتمع المدني كافة، على شدة تنوعها، فهي تتمثّل باستقلالها عن الحكومة والقطاع الخاص أقله من حيث المبدأ. ولعل هذا الطابع الاستقلالي هو ما يسمح لهذه المنظمات بأن تعمل على الأرض وتضطلع بدور مهم في أي نظام ديمقراطي. وبقدر ما تتمكن منظمات المجتمع المدني من وضع آليات فاعلة لعملها وهيكلية تنظيمية واضحة وأنظمة أدارية شفافة ومرنة بقدر ما يصبح دورها اكبر وأكثر فاعلية وتأثيرا في عملية التنمية. وإن تنوع منظمات المجتمع المدني من حيث الخبرة والاختصاص يشكل مصدر غنىً يؤدي الى التكامل، وهو لذلك يحتاج الى تفعيل آليات التنسيق والتشبيك والتعاون بين مختلف مكونات المجتمع المدني، وبينها وبين الجهات الرسمية والقطاع الخاص. (قتيبة قاسم العرب، 2017)

كما أن التشبيك والتنسيق والتعاون، وبناء التحالفات ضروري لكي تتمكن منظمات المجتمع المدني من القيام بدورها المطلوب، كشريك فاعل وقوي في عملية التنمية واستمرارية بناء وتنمية القدرات الشبابية. ويعيق عمل منظمات المجتمع المدني، أو الجمعيات غير الربحية، تبعيتها أحيانا للأحزاب السياسية وتأثرها بصراعاتها، مما ينعكس سلبا على دورها في توفير الأموال والرعاية والدعم من الموازنة العامة للدولة لبرامجها، وتشجيع المانحين على ذلك وفق ضوابط مالية وعدالة في التوزيع، وكذلك قلة مراكز البحوث والدراسات والعمل الميداني والتدريب الممنهج.

وتعتبر منظمات المجتمع المدني شريكا أساسيا في تحقيق التنمية، لا سيما بعدما أصبحت الدولة غير قادرة على الايفاء بكافة الاحتياجات للمواطنين كما ونوعا، وفي الوصول الى كافة الفئات المحتاجة. إلا أن النظرة للمجتمع المدني تعتريها العديد من الملابسات التي لا بد من توضيحها. فالسلطة في غالبية الدول تنظر إليه بريبة وتخوف شديدين لا سيما لجهة مصادر التمويل التي قد تحصل عليها والأدوار التي تقوم بها. إن توفير الموارد البشرية والمالية أساسي لضمان الكفاءة والمهنية في التنفيذ وفي إيصال الخدمات إلى محتاجيها، وبالتالي على

الجهات المعنية في أي سلطة، فيما لو كانت تعتبر المجتمع المدني شريكا، أن تساهم في رسم آليات مشاركته الفاعلة، ومساعدته على توفير بعضا من موارده من غير ان تؤثر في رؤيته.

2- الوعي المدني في لبنان:

للمرة الأولى في العام 2015، انفجر الوعي المدني في وجه سلطة لبنانية حاصرت الشعب اللبناني بمشاكل وكوارث بيئية وتقصير كبير في ادارة الأزمات المعيشية، فلم تجد بمواجهتها إلا المدنيين الذين خرجوا أفراداً غير منظمين لمحاربة الفساد ، وسرعان ما تشكلت مبادرات وطنية خاضت الانتخابات في بيروت وطرابلس ضد السلطة في الانتخابات المحلية في 2016، وأوصلت نائبة مدنية هي بولا يعقوبيان في انتخابات العام 2018 النيابية.

كان ذلك بمثابة مشاركة مدنية مهّدت لثورة 17 تشرين الأول -أكتوبر 2019، حيث ارتفع صوت المجتمع المدني بشكل كبير، بمعزل عن التيارات السياسية الفاعلة، وحتى عن مؤسسات المجتمع المدني القائمة التي لم يُلحظ تأثيرها، على الرغم من عدم الاعتراف بقوتها، ومن شيطنتها بحيث تم تصويرها كبديل عن الأحزاب.

إن حضور الوعي المدني في لبنان، ليس وليد حادثة، ولو أن الأحداث كشفت حضوره. هو تتمة لسيرة تربوية وإنمائية واجتماعية تراكمت بالخبرات، وحضرت بإنجازات تنموية وبيئية وتحركات مطلبية، كبديل أساسي عن قصور السلطة وتدجين الأحزاب. لكن هذا الصوت الذي لا يزال يتردد في الشارع، لم ينتقل عملياً إلى داخل مؤسسات الدولة، بسبب غياب آلية تشريعية كما في الدول المتقدمة، تنقل صوت المجتمع المدني إلى البرلمان، وبالتالي غياب مفوض برلماني أو نائب عام برلماني ينسق بين مطالب المجتمع المدني واللجان البرلمانية، لتحويل المطالب إلى سياق قانوني يتم تنفيذه، وهي ليست معضلة المدنيين بقدر ما هي معضلة النظام القاصرعن استيعاب صوت الشعب والاخذ به.

لقد أتى التحرك الشعبي الواسع الذي عمّ المناطق اللبنانية كافة والذي شارك فيه مئات الآلاف من الشبان والشابات، ليعبّر عن فقدان الثقة بين الشعب اللبناني والطبقة السياسية بكل مكوناتها، وعن رفض الاستمرار في السياسات والخيارات التي أدت الى تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وتردي الأوضاع البيئية وتدهور الخدمات العامة. وقد ترافقت هذه السياسات مع انتشار الفساد السياسي والمالي وتغليب روحية الزبائنية والمحاصصات الطائفية، ما ادى الى إضاعة

جميع الفرص التي اتيحت لإنجاز إصلاحات اجتماعية واقتصادية تنقذ البلاد من السقوط في الهاوية. (جاد تابت، 2019)

وقد شكلّت انتفاضة تشرين ثورة سياسية ـ اجتماعية ـ ثقافية انطلقت من ألم الفقراء، ومن وضع اقتصادي اجتماعي ادخل البلاد في أزمة عميقة. وتجاوزت الإنتفاضة الحواجز الطائفية والمذهبية للدفاع عن كرامة المواطن وطموحه للعيش الكريم، وشكلت دعوة لإعادة بناء الوطن على أسس جديدة تنطلق من تحقيق العدالة الاجتماعية وتأسيس دولة مدنية لا طائفية جامعة تؤمن المساواة بين المواطنين وترسم أفق تحول جذري نحو نظام اقتصادي-اجتماعي بديل، في وطن يلعب دوراً ريادياً في العالم العربي بوحدة أبنائه حول فكرة الحرية، ورفض التقوقع ضمن سجون الولاءات الطائفية والمذهبية التي لا أفق لها سوى الحرب الأهلية الدائمة.

إن صوت منظمات المجتمع المدني بات اليوم مسموعا في لبنان، لأنها غير تابعة لأحزاب سياسية توجهها، وأي محاولة لأي منظمة من هذه المنظمات للتحول إلى مشروع سلطة يتم رفضه، وهذا يتجلى بالاعتراض على شخصيات تعد نفسها من المجتمع المدني، أو على محاولة بعض المنظمات قيادة الثورة من وراء الستار. ومعظم هذه المنظمات تتمحور أولوياتها على فكرة التغيير وعلى قدرة وقبول الأحزاب والسلطة على تبني هذه الطروحات، هذه الأفكار لم تتحول حتى اليوم الى طروحات شعبية، بل لا تزال غير واضحة، وهذا برأي البعض ما يربك السلطة ويجعل الثورة الشعبية في لبنان تنجح وتستمر.

يرى البعض أن منظمات المجتمع المدني في لبنان ليست بحاجة إلى تفعيل بقدر حاجتها إلى سلطة سياسية جديدة تحترم وتقدر المساعدات التي تقدمها هذه المنظمات دعما للدولة، مثال العرض المدني الذي نظمته الثورة في عيد استقلال 2019، والذي تطلّب ساعات قليلة، وقد عكس كم أن الشعب اللبناني يتمتع بالجهوزية، وأن ما تنتظره هذه الجمعيات هو احترام عملها من قبل الطبقة الحاكمة.

لكن في حال كان صوت هذه المنظمات يتعلق بصفقات المحارق أو إدارة المياه والسدود والتي تستفيد منها المافيا المكونة من وزراء ورجال أعمال، فإنه لا يعود مسموعا، لأن المعيار لمسألة الصوت المسموع لا يرتبط برفع الصوت أو خفضه، بل بطبيعة الملف المطروح، لكن الوضع أصبح مختلفا ما بعد ثورة 17 تشرين الأول.

لا يخفي الباحثون أن منظمات المجتمع المدني تحتاج إلى إصلاح. وتظهر بيانات لبنانية أن 44% من أصل 3306 جمعية تعاني مشاكل على صعيد تداول المسؤولين في الهيكلية الإدارية، ولم تغيّر رئيسها منذ العام 1981 حتى العام 2005. و76% من الجمعيات تعاقب عليها رئيسان أو ثلاث رؤساء خلال الفترة

نفسها، ما يظهر مشاكل في الإدارة الداخلية. وهناك ضرورة لإصلاح قطاع منظمات المجتمع المدني كبقية القطاعات في لبنان، فالجسم اللبناني متسمّم، لذلك هناك حاجة إلى تغيير في النمط، وبالتأكيد هذه المنظمات تلعب دورا أساسيا في إبراز الفئات المهمشة وسماع صوتها، ولكن التسمم هذا لا يستثني الأحزاب السياسية التي هي أيضا بحاجة إلى إصلاح كي يكون هناك نوع من ديناميكية معينة، إن كان عند هذه المنظمات أو عند الأحزاب.

في كل الأزمات يكون المواطن الحقيقي مندفعا لتقديم يد المساعدة، وللتحرك الفوري لأن يحقق ذاته ومواطنيته، وهذا ما يُعرّض المواطنين، رغم حسن نواياهم، إلى الخطر وإلى المساهمة في تعكير الظروف وليس تحسينها. وفي هذا السياق، تتحول منظمات المجتمع المدني إلى مؤطرة وحاضنة للطاقات والأفكار، وتعمل على توجيهها بطريقة تتماشى مع متطلبات حل الأزمة، وبالتنسيق مع سُلطات الإشراف ضمن إطار قانوني واضح. وتعمل منظمات المُجتمع المدني على حشد هذه الطاقات وضخها في أعمال تطوعية يمكن أن تتجلى في عدة أوجه على الصعيد الوطني، بواسطة فاعلين محليين مؤطرين من الجمعيات في كل منطقة يعملون بها، بالتنسيق مع سُلطات الإشراف. (غيث تريكي، 2020)

3- رعاية الأمم المتحدة:

مما لا شك فيه أن أهمية منظمات المجتمع المدني في العالم العربي آخذة في التزايد في ظل التغيرات المتسارعة السياسية والأمنية، والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تشهدها المنطقة العربية ككل. وعند النظر إلى ماهيّة نشاط منظمات المجتمع المدني في الدول العربية، نجد أن منظمات المجتمع المدني العاملة في المجال الاجتماعي تشكل نسبة 74%، بينما تأتي في المرتبة التي تليها المنظمات العاملة في المجال السياسي بنسبة 20%، ثم المنظمات العاملة في المجال الاقتصادي، وهي الأقل بنسبة 6%. وتحتل دول الخليج العربي المرتبة الأولى في عدد منظمات المجتمع المدني ذات ً الطابع الاجتماعي بنسبة 82%، ثم تأتي الدول العربية الأقل تقدما بنسبة 79%، ثم بنسبة 73 % في دول المشرق العربي، وبنسبة % 71 في دول المغرب العربي. وترتفع نسبة منظمات المجتمع المدني ذات الطابع السياسي في دول المشرق العربي بنسبة % 22 عنها في باقي المجموعات الثالثة، وتكون أقل تمثيلا في دول الخليج العربي حيث تصل نسبة منظمات المجتمع المدني ذات الطابع السياسي إلى 7 % فقط. وتخلو بعض دول الخليج العربي من هذا النوع من المنظمات. أما بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني ذات الطابع الاقتصادي المعنية بتمويل بعض المشروعات الصغيرة والمتوسطة بشكل مباشر أو غير مباشر، فتحتل دول المغرب العربي أعلى نسبة تصل إلى

15%، تليها دول الخليج العربي بنسبة 11%، تليها الدول العربية الأقل تقدما بنسبة 6%، والتي غاب عن بعض الدول فيها وجود مثل هذه المنظمات. وتأتي دول المشرق العربي في المرتبة الأخيرة بنسبة 5.% (غيث تريكي، 2020)

تواجه منظمات المجتمع المدني في ممارسة مهامها العديد من التحديات في العالم العربي، في ظل الأزمات السياسية والاقتصادية المتفاقمة، والأوضاع الإنسانية المتدهورة، وتتراوح التحديات بين التضييق الأمني من الأنظمة السياسية، وحالات القتل والاختطاف من الجماعات المسلحة في مناطق النزاع.

وتسطيع المنظمات غير الحكومية المشاركة في أعمال الأمم المتحدة بإحدى طريقتين، إما من خلال الحصول على مركز استشاري مع المجلس الاقتصادي والاجتماعي، أو من خلال التعاون مع إدارة الأمم المتحدة للتواصل العالمي، التي كانت تعرف سابقا بإدارة شؤون الإعلام. ويتيح الحصول على مركز استشاري لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للمنظمات غير الحكومية إمكانية العمل مع المجلس الاقتصادي والاجتماعي وكثير من هيئاته الفرعية، فضلا عن كثير من آليات الأمم المتحدة للعمل في مجال حقوق الإنسان.

وتُعد وحدة المجتمع المدني التابعة لإدارة الأمم المتحدة للتواصل العالمي هي الرابط بين الأمم المتحدة وما يقرب من 1500 منظمة من المنظمات غير الحكومية المرتبطة بالأمم المتحدة، وتقدم لها الدعم في نشر موادها الإعلامية المتصلة بالقضايا ذات الأولوية على جدول أعمالها، بما في ذلك التنمية المستدامة، وخلق عامل أكثر أمنا وسلامة، ومساعدة الدول التي تمر بمراحل تحول، وتمكين المرأة والشباب، والتصدي للفقر، وغيرها من القضايا. ويساعد الأرتباط بين المنظمات غير الحكومية وإدارة التواصل العالمي على بناء المعرفة والدعم للمنظمة على مستوى القواعد الشعبية.

وتتيح وحدة المجتمع المدني، بعد دمج دائرة الاتصال غير الحكومي السابقة بإدارة التواصل العالمي، المعلومات الاستراتيجية والتحليل والدعم لمجموعة واسعة من المعنيين، من طريق استخدام قدرتها الفريدة على عقد الاجتماعات والربط الشبكي لتعزيز الحوار بين أصحاب المصلحة المتعددين وبناء التحالفات المتعلقة بقضايا مثل الثقافة والتعليم، وحقوق الإنسان والسلام والأمن، والبيئة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والصحة والسكان، من خلال منظور منظومة الأمم المتحدة بأكملها.

وقد أنشئ صندوق الأمم المتحدة للديمقراطية (صندوق الديمقراطية)، لدعم المشاريع الرامية إلى تعزيز صوت المجتمع المدني وحقوق الإنسان، وتشجيع مشاركة الجميع في العملية الديمقراطية. وتنفق مبالغ التمويل المقدمة من

الصندوق على منظمات المجتمع المدني المحلية، وبخاصة تلك التي في مراحل الانتقال الديمقراطي. (غيث تريكي، 2020)

شهدت البلدان العربية منذ عقدين تقريبا، موجة من الاهتمام المتصاعد بمؤسسات المجتمع المدني، وبما يرتبط بذلك من هيئات وتنظيمات وفعاليات متنوعة تغطي مساحات واسعة ومجالات متعددة في الواقع الاجتماعي المعاصر. وتأتي هذه الموجة المتصاعدة في سياق موجة عالمية شاملة تقودها منظمات غير حكومية عملاقة، تطمح إلى تكوين نوع من الوحدة بين شعوب العالم ومجتمعاته فيما يتعلق بقضايا الحريات العامة وحقوق الإنسان والتنمية البشرية المستدامة والمتوازنة.

تسعى اليوم مؤسسات المجتمع المدني إلى القضاء على الفقر، وتحسين أوضاع الفئات المهمشة والمحرومة حول العالم، وتحدي سياسات العولمة المتحيّزة ضد الشعوب الفقيرة والدول الضعيفة، في اتجاه بناء «المجتمع المدني العالمي». ولكن، مع بداية الحملة الأميركية الغربية ضد ما يسمونه «الإرهاب» في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001، تراءى لكثير من الدوائر الإعلامية والسياسية الغربية، ولبعض الحلفاء المحليين للسياسات الغربية في بلادنا، أن تاريخ مؤسسات المجتمع المدني في العالمين العربي والإسلامي قد وصل إلى نهايته، قبل أن ينضج ويأخذ مكانته على المستويات المحلية والعالمية. وانتهز هؤلاء الفرصة ليشنّوا حملة إعلامية كثيفة ظالمة ضد كافة أشكال العمل الخيري، باعتباره مكونا رئيسيا من مكونات المجتمع المدني العربي، ظنا منهم أن ذلك يمكن أن يساهم في الإجهاز عليه وإخلاء الساحة الوطنية والعالمية منه. (إبراهيم البيومي غانم، 2020)

صحيح أن العمل الخيري، باعتباره مكونا أصيلا من مكونات المجتمع المدني العربي استطاع، حتى الآن، أن يصمد في مواجهة العواصف المعادية التي طفقت تهب عليه بكثافة في أعقاب تلك الأحداث، وتسعى للنيل منه وتضربه بقسوة في مناطق متعددة من العالم. ولكن لا تزال هناك عقبات كبيرة سوف تستمر لفترة مقبلة في اعتراض طريقه بهدف القضاء عليه، أو بهدف صرفه عن غاياته ومقاصده وإفقاده هويته وخصوصيته، وذلك بجره إلى مواقع سياسية ليست من طبيعته، وإقحامه في قضايا وأزمات دولية هو أبعد ما يكون عنها، واتهامه باتهامات زائفة مثل تهمة «الإرهاب».

لا يقتصر دور مؤسسات وجمعيات العمل الخيري فقط على توفير خدمة معينة، إنما تسهم هذه المؤسسات أيضا بدور تربوي على درجة كبيرة من الأهمية، ويصب هذا الإسهام في مجرى عمليات التنشئة الاجتماعية التي يمر بها المواطنون، ويتركز جانب منها على تنمية قيمة العمل الجماعي لديهم وعبر

مختلف مراحل حياتهم. إن المواطن في مجتمعاتنا العربية يجد نفسه عضوا في عديد من الجماعات والتكوينات والتنظيمات، كما أنه يعطي ولاءه لعدة دوائر في وقت واحد دون أن يشعر بوجود تعارض أو تنازع بين دائرة وأخرى. وفي الوقت الذي يحمل فيه ميراث وثقافة هذه الجماعات بطريقة تلقائية فإنه يحمل ميراث وثقافة مجتمعه وأمته الكبيرة التي ينتمي إليها بالطريقة نفسها أيضا.

من جهة ثانية، تسعى عدة جمعيات للمجتمع المدني في العالم العربي لرصد وتوثيق ما يرافق الأزمات الحالية خصوصا، من انتهاكات لحرية المشاركة المجتمعية والتعبير. وقد سعت جمعية مهارات Maharat اللبنانية مثلا لرصد وتوثيق ما رافق الانتفاضة الشعبية في لبنان، منذ اندلاعها على صعيد حرية الرأي والتعبير التي شكلت السلاح الاول للثوار، والتي أتاحت لأصواتهم أن تصل الى كل بيت في كل مناطق لبنان، والتي بلغ صداها مختلف دول العالم، من خلال الاهتمام الذي واكبها في وسائل الإعلام العالمية.

«لقد تحدّى صراخ الثائرين كل المسؤولين السياسيين في سابقة لم يعرفها لبنان من قبل، فتركت تحولات عميقة على مجمل أفرقاء الفضاء العام من صحافيين ومؤسسات اعلامية وناشطين في الحقل العام ونقابيين وجامعيين.» (مهارات، 2019).

بناء على جمعية مهارات، لقد تعددت اوجه الانتهاكات لحرية الراي والتعبير بشكل عام ولحرية الصحافة بشكل خاص في لبنان في سنتي 2018 و2019. فالناشطون على وسائل التواصل الاجتماعي قد تعرضوا لإجراءات تعسفية وإستنسابية من اجهزة امنية مختلفة، وضغوطات لحذف منشوراتهم من آراء ومعلومات، وتوقيع تعهدات بالصمت وعدم التعبير مجددا في نفس القضية او تناول الموظف العام في المستقبل، فضلا عن احتجاز حريتهم لدى المخافر الامنية لعدة اسابيع. وتعرض الصحافيون لإجراءات مماثلة وضغوط لسحب مقالاتهم وافشاء مصادر معلوماتهم، إضافة الى انتهاك خصوصية مراسلاتهم.

ومن التحديات التي واجهها الصحافيون ايضا تعرضهم للملاحقة امام المحكمة العسكرية وتدخل المدعي العام العسكري في عمل الصحافة واصدار بلاغات بحث وتحر بحقهم، واخضاع مكاتب عملهم للتفتيش والاقتحام، واخضاعهم للتحقيق امام الشرطة العسكرية، كما الادعاء عليهم مباشرة امام محكمة المطبوعات خلافا لأحكام القانون. كما حجبت السلطات العامة بعض المطبوعات الاجنبية والافلام ومنعتها من العرض لأسباب غير مقنعة وضرورية وتتعارض مع حرية النشر وتداول الافكار والمعلومات. (مهارات، 2019).

الفصل السادس:
متاهة التواصل في المجتمعات العربية
(دراسات مسحية)

أولا: إستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي

(نتائج دراسات الفريق البحثي)

تمهيد

في هذا الفصل نقوم بتحليل نتائج البحوث والدراسات الميدانية التي أنجزها فريقنا البحثي، والتي أوصلتنا إلى بلورة مقاربتنا الفلسفية النظرية، وتحديد فرضياتنا وبلورة عناصر وشروط نظرية «متاهة التواصل الاجتماعي في المجال العام»، بعد قيامنا بمراجعة الرسائل التي أشرفنا عليها أو قرأناها أو ناقشناها خلال 2015-2018، وقد أنجزها طلاب من مختلف الدول العربية.

قمنا برصد النقاط المشتركة في النتائج المرتبطة بالبحوث حول وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي، وتوقفنا عند أهم النتائج الخاصة بأهداف الدراسة، نوجزها في الصفحات التالية.

1 - الاستخدامات والاشباعات:

من خلال دراسات الفريق البحثي، ظهر أن من أبرز إشكاليات العولمة تداعياتها على المستوى المعرفي والثقافي المتمثل بتقدم تكنولوجيا الاتصال والإعلام، التي تعتمد أحدث ما أنتجه العقل البشري من تقنيات، والتي لها آثار أكيدة على الهوية الثقافية المحلية. فهوية المراهقين في المجتمع اللبناني اليوم تتكون من تداخل فضاءات ثقافية ثلاثة، أولها الفضاء الثقافي التقليدي من عادات غذائية وأنماط موسيقية شعبية وغيرها، إضافة إلى مظاهر الحنين إلى الماضي، والتشبث بالمرجعيات التاريخية. وثانياً، الفضاء المحلي الذي يتضمن تأثير وسائل الإعلام المحلية والبرامج التلفزيونية واليوميات المعيشية، أما الفضاء الثالث فهو الفضاء «المُعَولم» وتأثير نجوم الموسيقى والموضة الغربية والإنترنت والوجبات السريعة، وثقافة الاستهلاك واللغة الإنجليزية إلخ.

أ)- إستخدامات وسائل الاتصال الحديثة:

في رسالة حول استخدامات وسائل الإعلام والاتصال والاشباعات المتحققة منها، بينت النتائج أن نسبة متابعة الانترنت استحوذت على نسبة أعلى من متابعة وسائل الإعلام التقليدية، ولمدة تتجاوز ثلاث ساعات يومياً. وكان اتجاه الإناث لعدم الاستماع أكبر من الذكور، وكان اتجاه المشاهدة لمصلحة الذكور على

الإناث. (تغريد عبدالله، 2017-2016)

وحلت البرامج الحوارية في الفضائيات في المرتبة الأولى من حيث المشاهدة، وحلّت وسائل الاتصال الحديثة في المرتبة الأولى، وتفوّقت على سائر الوسائل الإعلامية السمعية والبصرية لناحية اعتماد الشباب عليها كمصدر للمعلومات السياسية والأخبار المحلية والدولية.

كما حلّت إذاعة صوت لبنان في المرتبة الأولى للحصول على الأخبار السياسية، ثم إذاعة النور. وحلّت صحيفة السفير في المرتبة الولى كمصدر للأخبار السياسية، وجاءت بعدها صحيفة النهار. بينما جاءت فضائية «أم تي في» في المرتبة الأولى كمصدر للأخبار السياسية، وفي المرتبة الثانية حلّت «أل بي سي». وجاء الفيسبوك في المرتبة الأولى في قائمة المصادر التي يعتمد عليها أفراد العينة في الحصول على الأخبار السياسية، وحلّت الصحافة الإلكترونية في المرتبة الثانية. وبينت النتائج أن القضايا الإقليمية هي الأكثر متابعة من قبل أفراد العينة في وسائل الإعلام والاتصال كافة، وحلّت بعدها القضايا المحلية.

وفي ما يتعلق بدوافع استخدام وسائل الإعلام والاتصال، جاء دافع «الاطّلاع على الأوضاع الجارية» في المرتبة الأولى في وسائل الإعلام والاتصال كافة، وحلّ دافع «زيادة المعلومات السياسية» في المرتبة الثانية. وتفوقت نسبة الذكور على نسبة الإناث في استخدام الإذاعة والصحيفة بهدف الاطّلاع على الأوضاع الجارية، فيما تفوقت نسبة الإناث على الذكور في استخدام الفضائيات والإنترنت للاطّلاع على الأوضاع الجارية. وحلّ أفراد العينة المنتمون إلى حزب سياسي في المرتبة الأولى في استخدام وسائل الإعلام والاتصال بهدف الاطّلاع على الأوضاع الجارية. (تغريد عبدالله، 2017-2016) .

ب)- إستخدامات الصحافة الالكترونية:

في دراسة أخرى، تناولت إستخدامات الصحافة الإلكترونية والإشباعات المتحقّقة منها، تمكّنت الباحثة من تبيان العلاقة بين الإشباعات المتحققة من الموقع وبين مجموعة من المتغيّرات كالجنس والعمر ووقت وعدد مرّات استخدام الموقع في الأسبوع. وقد عالج البحث موضوع صناعة المحتوى الإعلامي في المواقع الإخباريّة الإلكترونية اللبنانية والاستخدامات والإشباعات المتحققة منها، تناولت الباحثة ثلاثة مواقع إخبارية لبنانيّة إلكترونية النشأة، في سبيل إجراء هذا البحث وهي: موقع النشرة، موقع ليبانون فابلز، موقع لبنان 24. وقد تمّ اختيار هذه المواقع الثلاثة لأنها احتلت ترتيباً ممتقدماً بين قائمة أكثر 100 موقع يتردّد عليه اللبنانيون على شبكة الإنترنت، كما تمّ اختيارها لأنّها مواقع إخباريّة لبنانيّة إلكترونية النشأة أي غير تابعة لمؤسّسات إعلاميّة تقليديّة كما أنها غير حزبيّة.

(سيرين تيماني، 2016-2015)

وبيّن البحث شيوع استخدام هذه المواقع بين أفراد المجتمع اللبنانيّ، فالنسبة الأعلى من أفراد العيّنة يتابعون المواقع الإخباريّة الإلكترونية اللبنانيّة، لكن بالمقابل هناك شريحة لا يستهان بها من أفراد المجتمع اللبنانيّ لا يستخدمونها لعدّة أسباب، أبرزها: يجدون قراءة الأخبار على الإنترنت مملّة، والحصول عى الأخبار من مصادر أخرى تكفيهم، ولا يجيدون استخدام الإنترنت. وارتبط استخدام هذه المواقع بعدة عوامل أبرزها: العمر، المستوى التعليمي، مستوى الدخل، المهنة، انتشار الهواتف الذكية، النّطاق الجغرافي لمجتمع الدراسة، وخصائص المواقع نفسها كسرعة نقل الأخبار والفوريّة في تحديث المضمون وتمكين الأفراد من قراءة الأخبار في الوقت والمكان الذي يناسبهم، والتفاعلية التي تتيحها للمستخدم. (سيرين تيماني، 2016-2015) .

كما بيّنت النتائج أنّ المواقع الإخباريّة الإلكترونية اللبنانيّة باتت من أكثر الوسائل استخداما للحصول على الأخبار حيث تستخدم منذ 4 سنوات وأكثر بشكل يومي ما بين [15 – 30] دقيقة وباتت تستخدم في كلّ الأوقات. كما بيّنت النتائج أنّ النسبة الأعلى من أفراد العيّنة يتلقون الأخبار على هواتفهم المحمولة و/ أو عبر بريدهم الإلكتروني. وجاءت فئة الأخبار المهمة، والمواضيع السياسيّة والأمنيّة المحليّة في مقدّمة اهتمامات أفراد العيّنة، وتبيّن أنّهم يتبّعون نمطاً انتقائيا في قراءتهم لمختلف المضامين الإعلاميّة.

أمّا عن دوافع دخولهم إلى الموقع، فجاءت الدوافع النفعية في الترتيب الأوّل، بعدها جاءت الدوافع الطقوسيّة. كما بينت النتائج وجود علاقة بين الجنس والعمر والمستوى التعليمي لأفراد العيّنة، وبين دوافع دخولهم إلى الموقع. وجاءت إشباعات المحتوى في مقدّمة الإشباعات المتحقّقة من استخدامها، وكانت إشباعات الوسيلة أقل من إشباعات المحتوى بشكل عام. وجاء المتوسط الحسابي للإشباعات المتحقّقة من متابعة الأخبار السياسيّة والأمنيّة المحليّة أعلى من المتوسط الحسابي للإشباعات المتحقّقة من متابعة الأخبار الرياضية والثقافية والعربيّة والدوليّة. كما بيّنت النتائج عدم وجود فروق في الإشباعات المتحقّقة من الموقع باختلاف الجنس الذي ينتمي إليه المبحوث. (سيرين تيماني، -2015 2016) .

بناء على تحليل الباحثة، إنّ إخفاق المواقع المدروسة في تحقيق التوازن بالتغطيّة الإعلاميّة لشتّى المواضيع السياسيّة والأمنيّة، والاقتصاديّة والاجتماعيّة والرياضيّة والثقافيّة، وإخفاقها في تقديم ما هو أعمق من الخبر كالتقارير والمقالات والمقابلات والتّحقيقات، كما ذكرت الباحثة سابقاً، كان له انعكاسات سلبيّة ملموسة على درجة الإشباعات المتحقّقة لأفراد العيّنة من المواقع المدروسة، ممّا يجعلهم

يقومون بعد هذا بزيارة مواقع أخرى تحقّق إشباعات أخرى، وبالتالي لا يكتفون بموقع إخباريّ واحد.

كما لاحظت الباحثة وجود هوّة بين الجهات المتصلة بشبكة الإنترنت، التي تستطيع متابعة المواقع الإخبريّة، وبين الجهات غير المتصلة بشبكة الإنترنت، العاجزة عن متابعتها. هذا من جهة، ومن جهة ثانية بين المستخدمين أنفسهم، «إذ إنّ المواقع الإخباريّة تنتشر بسرعة مذهلة وتظهر باستمرار مواقع إخباريّة جديدة، ويعجز المجتمع بكافة أطيافه وفئاته عن مجاراتها لأسباب اجتماعيّة واقتصادية وثقافيّة. وما تتحدث عنه الباحثة هو الفجوة الرقميّة التي صاحبت انتشار الصحافة الإلكترونية، والتي تعدّ من بين أبرز التحدّيات التي تواجهها. ومن أبرز أسبابها غياب الثقافة العلميّة التكنولوجية، والبنية التحتية للاتصالات، ومستوى الدخل، والعمر، وأماكن سكن الناس، من حيث القرب أو البعد عن العواصم والمدن الكبرى. وقد لاحظت الباحثة مثل هذه المؤشرات ضمن منطقة بيروت الكبرى التي تغطيّها خدمات الإنترنت بالكامل وبإمكان المتواجدين ضمنها الاستفادة من خدمة الجيل الرابع 4G التي تقدّمها شبكات الهاتف الخلوي.

لكن ماذا سيحدث لو تخطيّنا هذا النّطاق الجغرافي وتناولنا مختلف المناطق اللبنانيّة لا سيما الأرياف والقرى؟ إنطلاقاً من هذا تبرز ضرورة إجراء المزيد من البحوث حول انعكاس الفجوة الرقميّة على استخدام الأفراد للمواقع الإخباريّة. (سيرين تيماني، 2016-2015)

ت)- تأثير الصحافة الإلكترونية على الصحافة الورقية:

بخصوص عوامل تأثير الصحافة الإلكترونية على الصحافة الورقية، توصل أحد البحوث إلى أن العامل المادي هو الأكثر حضوراً على صعيد تأثير الصحافة الإلكترونية على الصحافة الورقية. ويلعب عامل القراءة دوراً في جعل الصحافة الإلكترونية ذات تأثير على الورقية. فعمليّة القراءة تمر بأزمة واضحة، حيث تبيّن أن عدد الكتب التي يقرأها أقل من نصف العينة لا يتجاوز الثلاثة كتب كحد أقصى في السنة الواحدة.

ويبرز عامل الوقت والسرعة وسهولة التوفر بشكل واضح من خلال أجوبة المبحوثين الذين يقبلون على الصحافة الإلكترونية نظراً لقدرتها على إيصال الأخبار بسرعة البرق، ولطبيعتها التي تجعل القراء يتابعونها بسهولة نظراً لتوفرها وتوفر وسائطها المتعددة مجاناً دون عناء ودون مقابل. كما يؤدي الهاتف المحمول دوراً في جعل الصحافة الإلكترونية ذات تأثير على الصحافة الورقية، فالغالبية الساحقة من الناس تملك هاتفاً خلوياً، وهذا ما يمكن اعتباره عاملاً تقنياً يجعل الأخبار والتقارير والموضوعات في متناول اليد، بل وتتسلل إليهم عن

طريق الهاتف دون سابق إنذار أو تعمّد. (أمل حمزة، 2018-2017)

أوضحت نتائج الدراسة التّحليليّة أنّ المواقع الإخباريّة الإلكترونيّة اللبنانيّة تنقل مضامين من وسائل إعلامية أخرى من دون الإشارة إلى المصدر، كما تعتمد بشكل كبير على وسائل الإعلام التقليديّة، مقابل انخفاض نسبة اعتمادها على مصادرها الذاتيّة لاستقاء المعلومات، كما أنّها تقوم بإعادة نشر المادة نفسها المأخوذة من مصادر خارجيّة بدلاً من إعادة كتابتها. وبيّنت النتائج ضعف توظيف الوسائط المتعدّدة في صناعة المحتوى، واتّضح أنّ الصور هي الشّكل الغالب استخدامه من مجمل الوسائط المستخدمة من قبل المواقع الإخباريّة الإلكترونية اللبنانيّة. (أمل حمزة، 2018-2017)

ث) - إستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي في صناعة الخبر السياسي:

في رسالة أخرى حول دور استخدامات وسائل التواصل الاجتماعي في صناعة الخبر السياسي في قناتي الجزيرة والعربية، تبيّن أن التغييرات الذي شهدتها تكنولوجيا الاتصال، وعالم التواصل عبر شبكة الإنترنت قد شكّل علامة فارقة في استخدامات وسائل الإعلام وأساليب عملها، وقد تأثرت بذلك الفضائيات ومنها العربية والجزيرة بصفتهما وسيلتي اتصال جماهيري. (أنور الزوبعي، 2018-2017) .

بيّنت النتائج أن قناتي العربية والجزيرة تستخدمان مواقع التواصل الاجتماعي في صناعة الخبر، لا سيما موقع الفيس بوك التي تستثمره القناتان في جمع المعلومات والأخبار لصناعة نشرات الأخبار، ويأتي بعد فايسبوك تطبيق إنستغرام. كما أن لـ«الهاشتقات» على وسائل التواصل الاجتماعي تأثيراً في السياسة الإخبارية للفضائيات العربية محل الدراسة، وبالتالي في صناعة الخبر السياسي.

ويتغيّر أسلوب تقديم الأخبار عند الحصول على معلومات من وسائل التواصل الاجتماعي، كما تتأثر شعبية الفضائيات العربية باستخدامها لوسائل التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار، بسبب الصورة النمطية عن مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي بكونها «تنشر الغث والسمين». كما أن القنوات الفضائية تنشر الفيديوهات والصور المصاحبة للخبر من وسائل التواصل الاجتماعي في حالة عدم دقتها ووضوحها، لأهميتها وعدم توفر البديل. (أنور الزوبعي، -2017 2018) .

ومن العوامل المؤثّرة في معالجة الأخبار التي تنشر على وسائل التواصل الاجتماعي، العوامل السياسية التي احتلت المرتبة الأولى، تلتها العوامل القانونية، ثم العوامل الاقتصادية، وأخيراً العوامل الذاتية، فالعوامل المهنيّة. ومن الضوابط

والسياسات التي تحدد انتقاء الفضائيات العربية للخبر السياسي من مواقع التواصل الاجتماعي، الالتزامَ بطبيعة القناة، ثم كون الخبر قليل الكلمات مصحوباً بصورة حقيقية، وأن الخبر السياسي يخضع انتقاؤه لهدف تشكيل رأي عام، ويخضع اختيار الأخبار لميول القناة الإيديولوجية والسياسية.

ومن الضوابط الرقابية الإجرائية التي وضعتها القناتان الفضائيتان للقائم بالاتصال والمحرر في التعامل مع الأخبار السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي، التزام القائم بالاتصال في المؤسسة بإعادة صياغة الأخبار المستقاة من مواقع التواصل الاجتماعي أكثر من مرة، ثم تحديد سقف زمني للقائم بالاتصال لاستقاء المادة الإخبارية من شبكات التواصل الاجتماعي. (أنور الزوبعي، 2018-2017) .

أمّا عن القيم المهنيّة لقناتي العربية والجزيرة المؤثرتين في انتقاء الأخبار من وسائل التواصل الاجتماعي، فأهمها قيمة المصداقية، ثم قيمة الحيادية. وتتعامل الفضائيات العربية مع أخبار مواقع التواصل الاجتماعي حسب القرب المكاني للمصدر من موضوع أو واقعة الخبر، بمعنى أن الفضائيات العربية يعنيها كثيراً مضمون الخبر فيما إذا كان يتناول حدثاً في المنطقة العربية بشكل أساسي. وتستخدم الفضائيات العربية مواقع التواصل الاجتماعي في صناعة الخبر بحسب الأهمية التنازلية للخبر، وهذا يدل على أن القناة أو القائم بالاتصال يتحرى الخبر الأهم فالمهم، وتستخدمها عندما يكون الخبر مفاجئاً وغير متوقع ونادراً، وهذا يدل على أن الفضائيتين تلجآن لأخبار مواقع التواصل الاجتماعي عندما تكون أخبار تلك المواقع مفاجئة وغريبة ونادرة.

تستخدم الفضائيات العربية مواقع التواصل الاجتماعي في صناعة الأخبار في حالة ارتباطها بأحداث العنف والفساد والفضائح، وفي حالة تضمن الخبر حالات إنسانية، وبحسب جدة الخبر وقوته في الاستمرارية مما يزيد من مصداقيته.

«إن انتقاء الخبر من وسائل التواصل الاجتماعي وانعكاس ذلك على المنافسة الإخبارية في الفضائيات يكمن في تأثير الخبر في مخاطبة الجمهور بصورة مباشرة في حالة احتواء الخبر إثارة وخروجا عن المألوف، كما يكمن في تأثير الخبر في مخاطبة الجمهور بصورة مباشرة في حالة تعبير الخبر عن ضخامة حدث ما، وفي حالات الاكتفاء بنقل الخبر كما هو، واتسام الخبر بالموضوعية والوضوح دون الحاجة إلى تفسير، ومخاطبة الخبر وتلبية طلباته واجتذاب اهتمامه، والتعامل مع الخبر عند الانتقاء على أنه بضاعة متطورة خاضعة للمنافسة وفيه خدمة اجتماعية للجمهور». (أنور الزوبعي، 2018-2017)

في بحث آخر في الاتصال السياسي، تناول النظرية الإنسانية في خطاب

الملك حسين في الأردن، تبيّن تطور العملية الاتّصالية ودخول مفاهيم جديدة ساهمت بتعزيز التفاعل بين أفراد العملية الاتّصالية، وساهمت بالتوسع العام للمتحاورين، وبروز خصائص جديدة لوسائل الاتّصال في تخطيها لحدود الزمان والمكان، بحيث أصبحت الرسالة المنطلقة من أي وسيلة إعلام تصل إلى فرد في أي مكان وفي أي زمان. «ولأجل ذلك كلّه تحتّم على الإعلام أخذ مسؤولياته تجاه من تصله الرسالة ومستوى تأثيرها عليه، وبالتالي الحديث عن خصائص الشعوب وتمكينها من الولوج لمخاطبة المجتمعات القطرية والإقليمية والدولية.» (عدنان الزعبي، 2018-2017) .

2 - تأثير الاستخدامات على الثقافة المحلية:

في رسالة دكتوراه حول «تأثير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة على الثقافة المحلية عند طلاب المرحلة الثانوية في لبنان الشمالي»، توصلت الباحثة إلى أن التقنيات الحديثة تتميز بخصائص عدة: منها اللامركزية والضبط، والطابع التفاعلي، وتضييق الزمان، وانتفاء المكان، «مما جعل من محاولات الانعزال والقطيعة الثقافية مجرد ردود فعل سلبية لا تفي بغرض الحفاظ على الهوية المحلية.» (رانيا عبود، 2017-2016)

حاولت الباحثة معالجة الموضوع من خلال «رصد مواقف المراهقين حول مجموعة من القيم الاجتماعية، نتيجة الطفرة التكنولوجية الكبرى التي شهدتها وسائل الإعلام والاتصال بحيث أصبحت ضرورة حياتية في المجتمع الشمالي، ولها دور فاعل فيه، ويكاد يدخل في أدق تفاصيلها، بل ويقوم بدورٍ كبير في قولبة هذه الحياة، بما يمسّ بالتصرفات والعادات والسلوكيات».(رانيا عبود، 2016-2017) .

وقد كشفت المعاينة الحقلية للبحث نسب امتلاك المبحوثين للوسائل التكنولوجية ومدة الاستخدام، والعلاقة بين القطاع التعليمي وامتلاك الوسائل التكنولوجية، والعلاقة بين مكان الإقامة وامتلاك الوسائل التكنولوجية. فظهر أن الهاتف المحمول الذكي يحتل المرتبة الأولى في الوسائل التكنولوجية التي يمتلكها التلاميذ في المجتمع الشمالي اللبناني، يليه الكومبيوتر(الحاسوب) ثم ''اللابتوب'' Labtop (الحاسوب المحمول)، ثم «الآيباد» IPad.

كما أن التلاميذ يشاهدون التلفزيون ويستخدمون الإنترنت بين (1 – 2) ساعة يومياً، أما الهاتف المحمول الذكي المتصل بالإنترنت فتتراوح مدة استخدامه بين (3 – 4) ساعات يومياً. يحتل المرتبة الأولى من حيث الاستخدام، كل من الفايسبوك، وتطبيق «واتساب آب» الذي يستخدم من خلال الهاتف المحمول

الذكي، والمواضيع الاجتماعية على مواقع التواصل الاجتماعي. وبناءً عليه، يتبيَّن أن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تقوم بالمرتبة الأولى بوظيفة التسلية والترفيه عند المراهقين في المجتمع الشمالي اللبناني. (رانيا عبود، 2016-2017) .

توصلت الباحثة إلى أن ارتفاع مستوى المعيشة واعتماد الترف والرفاهية في أسلوب الحياة وأساليب التربية المتراخية، كلها عوامل أدت إلى توجه تلاميذ في ثانويات القطاع الخاص إلى اقتناء الوسائط التكنولوجية أكثر من التلاميذ في ثانويات القطاع الرسمي. كما أن تميز أهل المدن والبلدات الكبيرة الأكثر انفتاحاً في مواكبتهم للتقدم التكنولوجي أدى إلى توجه التلاميذ الذين يسكنون أقضية طرابلس والكورة وزغرتا إلى اقتناء الوسائط التكنولوجية أكثر من التلاميذ الذين يسكنون أقضية عكار والمنية – الضنية، وهي الأقضية الأكثر حرماناً في المجتمع الشمالي، والتي تعيش حالة من الفقر والتهميش على كافة المستويات.

واتضح أن هناك توجهاً لتلاميذ قضاء الكورة إلى الاشتراك بالمحطات الفضائية من خلال أكثر من مصدر (وسيط محلي وصحن لاقط في المنزل)، مما يشير إلى ارتفاع في مستوى المعيشة وإلى الحرية في المشاهدة التلفزيونية، وتوجه تلاميذ أقضية عكار والمنية – الضنية وزغرتا إلى الاشتراك بالمحطات الفضائية من خلال مصدر اشتراك واحد (صحن لاقط خاص في المنزل)، أما تلاميذ أقضية طرابلس فيشتركون من خلال مصدر واحد (وسيط محلي). (رانيا عبود، 2016-2017) .

أ)- أنماط السلوك والقيم المحلية:

إن معظم التلاميذ يشاهدون الفضائيات من خلال الأقمار العربية، مما ينعكس «إيجاباً» على المنظومة القيمية التقليدية المحلية. وبالرغم من ذلك يكتسب المراهقون بعض أنماط السلوك المغايرة للمنظومة الثقافية المحلية، وذلك يعود إلى بث المسلسلات الغربية والتركية والهندية المدبلجة إلى العربية، أو البرامج المستوردة، أو تقليد البرامج الغربية بما تتضمنه من أنماط سلوك وقيم غريبة على المحطات المحلية والعربية. تقول الباحثة: «تم التوصل من خلال نتائج الدراسة إلى أن المراهقين في المجتمع الشمالي بتوجهون إلى المحطات المحلية والبرامج الترفيهية العربية. فالمراهق في مطلع الألفية الثالثة في المجتمع الشمالي يواجه موجة من البرامج الترفيهية التي استحوذت على اهتمامه ووقته واحتلت المرتبة الأولى من بين البرامج المفضلة عنده، وهي خالية من أي مضامين ثقافية. وهذه البرامج تسهم في تكوين جزء مهم من ثقافة المراهقين، لتغدو ثقافتهم ثقافة سطحية وفارغة، كما أن البرامج الترفيهية التي تعرض على الشاشات المحلية والفضائية تتنوع ما بين برامج الألعاب والبرامج الغنائية.» (رانيا عبود، 2017-2016) .

وقد كشف البحث أن تلاميذ أقضية الكورة وطرابلس أكثر توجهاً إلى امتلاك تلفاز خاص في غرفهم من تلاميذ أقضية المنية – الضنية، عكار، زغرتا، مما يشير إلى انفتاح ذهنية الأهل، وإلى منافسة التلفزيون للأهل في عملية التنشئة الاجتماعية (طرابلس والكورة). كما أن تلاميذ أقضية عكار والمنية – الضنية أكثر مشاهدة لبرامج التلفزيون مع الأهل من تلاميذ أقضية طرابلس والكورة، ومن تلاميذ قضاء زغرتا، ما يشير إلى أن الأهل ما زالوا مصدر التنشئة الاجتماعية (عكار، المنية – الضنية).

أما تلاميذ أقضية طرابلس والكورة وزغرتا فهم أكثر موافقة على البرامج التي يختارها الأهل من تلاميذ عكار والمنية – الضنية، مما يشير إلى استمرارية الأهل في القيام بدورهم في عملية التنشئة الاجتماعية كما يجب (طرابلس والكورة وزغرتا). بناءً على هذه المعطيات نستنتج أنه، كلما كان الأهل أكثر تأثيراً في عملية التنشئة الاجتماعية، أدى ذلك إلى الحفاظ على الثقافة المحلية، إذ يتبين أن تلاميذ أقضية المنية – الضنية، طرابلس، الكورة وزغرتا أكثر توجهاً إلى مواكبة التقدم التكنولوجي وعالم الحداثة واعتماد الإنترنت كوسيلة لتنمية المعارف واكتساب المعلومات، تماشياً مع القيم الوافدة، من تلاميذ الإنترنت كوسيلة لتنمية المعارف واكتساب المعلومات، تماشياً مع القيم الوافدة، من تلاميذ قضاء عكار، الذين ما زالوا يتجهون إلى التمسك بالقيم التقليدية والمحلية التي ترى أن الأهل هم الحل والربط (الوجهاء وكبار السن) وهم المرجعية في الحصول على المعارف والمعلومات.

أما التلاميذ من الديانة المسيحية فهم أكثر توجهاً إلى مناقشة البرامج التي تعرض مواضيع جنسية مع الأهل من التلاميذ من الديانة الإسلامية، كما أن تلاميذ القطاع الخاص أكثر توجهاً من تلاميذ القطاع الرسمي إلى مناقشة الأهل في ما تعرضه مواقع الإنترنت. أضف إلى ذلك أن ذهنية الأهل تلعب دوراً في ذلك (القطاع الخاص). نستنتج أن التلاميذ من الديانة المسيحية والقطاع الخاص أكثر توجهاً نحو التأثر بوسائل الإعلام والاتصال الحديثة، مما ينعكس على العلاقة مع الأهل، ويترك تداعياته على الثقافة المحلية.

ب)- بين التعليم الرسمي والخاص:

كشف البحث ذاته عن نوعين من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، الأولى تقوم بدورها بطريقة مباشرة (الأسرة والمدرسة...)، والأخرى بطريقة غير مباشرة (وسائل الإعلام والاتصال الحديثة). وقد تراجع في دور الأهل في عملية التنشئة الاجتماعية عند المراهقين، بسبب انشغالهم بتأمين متطلبات الحياة واستخدام وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، كما أن المدارس الرسمية لا تقوم بدورها في عملية التنشئة الاجتماعية، مقابل المدارس الخاصة التي تقوم بدورها إلى

حد ما. ولكن يوجد تعاون بين الأهل والمدارس من أجل إعادة تصويب التنشئة الاجتماعية في حال حدوث خلل ما، إلا أن الأساليب والنتائج تختلف من قطاع إلى قطاع، ففي القطاع الخاص تعتمد الطرق الديمقراطية والحوار أكثر من القطاع الرسمي.

وقد ظهر أن هناك تراجعاً في المستوى التعليمي عند التلاميذ نتيجة انشغالهم بوسائل الإعلام والاتصال الحديثة، كما أنه لم يتم توجيه التلاميذ في القطاع الرسمي إلى كيفية الاستفادة من وسائل الإعلام والاتصال بطريقة مفيدة، مقابل التوجيه المدروس والمخطط له من قبل القطاع الخاص. وهذا ما ينعكس على منظومة القيم والثقافة المحلية، على اعتبار أن الأهل والمدرسة يشكلان مؤسستي التنشئة الاجتماعية التقليدية، التي تعمل على نقل الثقافة والقيم المحلية من جيل إلى جيل.

لا يلعب المستوى التعليمي الجيد عند الآباء والأمهات دوراً في رعايتهم لأبنائهم في المجتمع الشمالي. ومن خلال مراقبة مدة استخدام الإنترنت، من أجل احتواء هذه الطفرة التكنولوجية التي رمت المراهقين في عالم افتراضي لا يشبه العالم الذي ينتمون إليه. يعني ذلك أن مجموعة من الآباء والأمهات المتعلمين لم يستطيعوا القيام بدور المراقب والمتابع للأبناء الذين يجلسون لفترات طويلة على الانترنت، وبالتالي معرفة المواقع التي يستخدمها الأبناء ودرجة تأثيرها على شخصيتهم الاجتماعية والنفسية، مما يشير إلى تقاعس الأهل عن القيام بدورهم في عملية التنشئة الاجتماعية. (رانيا عبود، 2017-2016) .

ت)- تأثيرات الأسرة والبيئة:

كما أن الوضع العائلي المستقر لم يساهم في انخفاض ساعات استخدام الهاتف المحمول الذكي إذ إن الآباء الذين يقيمون مع الأبناء يستخدم أبناؤهم الهاتف المحمول االذكي (3 – 4) ساعات، مما يشير إلى أن عملية ضبط مدة استخدام الهاتف المحمول الذكي غير ممكنة، سواء بحضور الأهل أم بغيابهم، مما يؤثر على عملية التنشئة الاجتماعية. أضف إلى ذلك توجه الأهل إلى مراقبة الإناث أكثر من الذكور، لمعرفة البرامج التي يشاهدنها والمواقع التي يزرنها. وقد توجه التلاميذ إلى اعتبار استخدام الهاتف المحمول الذكي بكثرة يؤدي إلى تقلص التواصل بين التلاميذ والأهل.

تستنتج الباحثة أن للمجتمع الشمالي عادات وتقاليد مجتمعية لا يمكن تخطيها بسهولة، في مجتمعات ذكورية بطريركية، تعطي الأب والأخ والزوج السلطة المطلقة في التحكم بمصير الأنثى، وفرض الالتزام المطلق بالعادات والتقاليد.

وتختم الباحثة بالتساؤل التالي:«نحن أمام عصر انهيار الخصوصية، فلا بد

لنا من البحث عن كيفية التأقلم مع هذه الوقائع، لأن الهرب من التطور والاتصال بات شبه مستحيل. فالخصوصية أصلاً تنهار تدريجياً مع كل اختراع وابتكار. فهي تقلصت مع تغير نمط العمارة، وزاد تقلصها مع وسائل الإعلام، وأكثر مع التواصل الاجتماعي، وهنا، علينا أن نسأل أنفسنا: هل نفقد في عصر تكنولوجيا الإعلام والاتصال هويتنا الشخصية وتتحول المجتمعات إلى نماذج ثقافية متكررة؟ هل المجتمعات مقبلة على عصر استنساخ ثقافي أم إلى عكسه ستبحث المجمتعات مع التغيرات العالمية الحاصلة عن هوية خاصة بها؟». (رانيا عبود، 2016-2017) .

ث) ـ مواقع التواصل الاجتماعي والمشاركة السياسية:

في دراسة تناولت دور مواقع التواصل الاجتماعي في الانتخابات الطلابية في جامعة الكويت (2014/ 2015)، قامت الباحثة بتأكيد الدّور الذي تلعبه المضامين الانتخابية على مواقع التّواصل الاجتماعي في استثارة اهتمام طلّاب الجامعات للمشاركة في الانتخابات الطلابية، وثبت أنّ مواقع التّواصل الاجتماعي أولت اهتماماً خاصاً للتفاعلات والأحداث التي ارتبطت بالانتخابات الطلابية في جامعة الكويت (2014/ 2015). أظهر الطّلّاب قدراً عالياً من التفاعل مع المضامين، خصوصاً على مستوى التّدوين على كلّ من موقعي تويتر وفيس بوك، ما يعني أنّ هناك اتّجاهاً من جانب الفاعلين السياسيين في الانتخابات الطلابية للتوظيف السياسي لهذين الموقعين، في إطار الانتخابات.

«لكن، لا نستطيع القول إنّ الفاعلين السيّاسيين نجحوا في توظيف المواقع في الانتخابات بمستوى عالٍ من الكفاءة، فقد خلت نسبة كبيرة من المضامين من الأدلّة الإقناعية، واعتمدت بالدّرجة الأكبر على الكلام المرسل، وعلى الصّيغ الإنشائية، وعلى محاولة التّأثير باللغة أكثر من التّأثير بالمعلومات، الأمر الذي جعل تأثيرها متوسّطاً على تحديد اتجاهات الطّلّاب نحو الانتخابات الجامعية، وهو ما أثبتته الدراسة الميدانية، حيث رأت النّسبة الأكبر من الطلاب أنه لا توجد علاقة بين التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي وتحديد اتجاهاتهم التصويتية.» (هاجر شبكوه، 2016-2017) .

لم تسهم الأخبار السياسية في وسائل الإعلام والاتصال في لبنان أيضا في تحفيز الشباب على المشاركة السياسية، وتفوّقت نسبة الذكور على نسبة الإناث في مستوى المشاركة السياسية. وقد حلّت الجامعة اللبنانية الدولية في الترتيب الأول من حيث ضعف مشاركتها السياسية فطلابها لا يهتمون بالقضايا السياسية. في حين أن الوضع المادي للأسرة لم يؤثر بشكل مباشر في التحفيز على المشاركة السياسية أو يعتبر دافعا لها. (تغريد عبدالله، 2016-2017) .

2 - الفاعلون:

في دراسة الاستخدامات، بيّنت النتائج وجود علاقة بين الاتجاه نحو المشاركة السياسية لدى أفراد العينة وبين النوع الاجتماعي والجامعة والانتماء السياسي. كما بينت أن زيادة المعلومات السياسية من خلال وسائل الإعلام والاتصال لم تسهم في تحفيز أفراد العينة على المشاركة السياسية.

بينت دراسة استخدامات وسائل الاتصال، من خلال المقابلات التي أجريت مع مسؤولي التحرير في أبرز ثماني وسائل إعلام واتصال في لبنان، أن هؤلاء عزوا ضعف المشاركة السياسية لدى الشباب اللبناني عموما، إلى الخلل في النظام السياسي القائم على الطائفية والفئوية والمحاصصة، والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهه. (تغريد عبدالله، 2017-2016) .

لقد كشف البحث عن جوانب العلاقة الوطيدة بين الاتصال والمشاركة السياسية، كما بيّن أن تشكيل الثقافة السياسية لدى الشباب اللبناني، والتي تفضي بدورها إلى المشاركة السياسية، لها علاقة بما تبثّه وسائل الإعلام والاتصال التقليديّة والحديثة من أفكار وتحليلات، لا سيما بعدما حقّق الانتقال المؤثّر لقطاع الشباب إلى جهة التغيير، والتأثير السياسي من خلال كسر احتكار النخب للعمل السياسي في الشارع.

إزاء تلك المؤشرات، يمكن القول إن دافع الشباب للحصول على معلوماته السياسية من خلال وسائل الإعلام التقليدية أو الحديثة، لم يحفّزهم بالضرورة على المشاركة السياسية، فقد تكون هناك وسائل أخرى تؤثّر في هذا الموضوع منها الأصدقاء والأسرة والندوات والأحزاب وغيرها من وسائل الاتصال الشخصي، هذا فضلاً عن عزوفهم عن المشاركة السياسية لأسباب عديدة متعلقة بأداء النظام السياسي والوضع الاجتماعي والاقتصادي المتردّي في لبنان. كما أن النظام الإعلامي في لبنان، الذي هو انعكاس للنظام السّياسي المبني على الطائفية، لم يتمكن من بناء مفهوم جديد للمواطنة، لأنه خاضع في تطبيق معظم قواعده إلى تحكم الاستنسابيّة فيها.

أ)- الخلل في النظامين الاعلامي والسياسي:

وعلى الرغم من تكريس الدستور اللبناني للحريات في مواده، إلّا أنه في كثير من الأحيان لم تُحترم هذه النصوص. إن الخلل في النظام السياسي اللبناني، القائم على المحاصصة الطائفية، أفرز الكثير من الأزمات السياسية والاقتصادية التي انعكست سلباً على الشباب اللبناني الطامح للعيش بحرية وكرامة في دولة القانون والمؤسسات. وعلى الرغم من استفادة الشباب من المساحة الواسعة التي قدمها التطور التكنولوجي في الإعلام والاتصال، للتعبير عن ذاته بحرية والمشاركة

في الشأن العام، إلا أن هذا لم يؤد إلى حثّه على المشاركة السياسية الفعالة.(تغريد عبدالله، 2017-2016) .

في البحث حول المواقع الاخبارية، تدنّت نسبة توظيف ملفّات الصّوت والصّورة، وفي ما يتعلّق بالجداول والرّسوم البيانيّة بيّنت الأرقام قصوراً تامّاً في توظيفيها. وتمّ استخدام الروابط الداخليّة بالدّرجة الأولى في موقعي النشرة ولبنان 24، بالمقابل أغفل موقع ليبانون فايلز استخدامها. أمّا بالنسبة للروابط الخارجيّة، فتثير مسألة استخدامها جدلاً واسعاً بين المعنيّين بالموضوع، لكن ما يبدو واضحاً خوف القائمين على المواقع الإخباريّة الإلكترونية التي تناولها البحث، من إرسال المستخدم بعيداً عن موقعهم. وفي ما يتعلق بالأنواع الصحافيّة التي اتّبعتها المواقع الثلاثة، احتلّ الخبر المساحة الأبرز، وبيّنت النتائج محدوديّة الاهتمام بالتقارير والمقالات والمقابلات وسط غياب تام للتحقيقات خلال الأيام التي تمّ رصدها. (سيرين تيماني، 2016-2015) .

وبالتالي فإن المواقع الإخباريّة الإلكترونية اللبنانيّة لا تستفيد بالقدر الكافي ممّا أتاحه النشر الإلكتروني من إمكانيّات وتوظيفها في صناعة المحتوى. وبالرغم من إدراك الصحافيين في المواقع للمهارات التي يجب أن يتحلّى بها الصحافيّ للعمل في البيئة الرقمية، فإن ممارساتهم تعكس قصوراً في توظيف هذه الإمكانات في صناعة المضامين الإعلامية وتقديم هذه المضامين بأساليب مميّزة تختلف عما تقدّمه وسائل الإعلام التقليديّة، ويعزى ذلك إلى نقص في تدريب الصحافيّ. وهناك أسباب أخرى يمكن أن تكون قد أثّرت سلباً على استفادة الصحافيين من إمكانيّات النشر الإلكتروني وتوظيفها في صناعة المحتوى ومنها ضغوط العمل الشديدة التي يتعرّض لها الصحافيّ يوميّاً بسبب المنافسة بين المواقع من أجل إيصال الخبر بأسرع وقت ممكن، وازدياد تدفق المعلومات يوميّاً من شتّى الجهات إذ باتت من المسائل التي تعقد العمل الإعلامي لجهة فرزها ومعالجتها وتحليلها. (سيرين تيماني، 2016-2015) .

ب)- قصور الابداع:

بالتالي انعكست هذه الأسباب سلباً على قدرات الصحافيّ الإبداعية فنراه ينسخ الموادّ الإعلاميّة بدلاً من الابتكار، ويعيد نشرها كما هي بدلاً من إعادة كتابتها، ويسرع في نقل ما نشره الغير بدلاً من التحقّق منه. وكان لهذا القصور انعكاسات سلبيّة ملموسة على درجة رضى الأفراد حول صناعة المضامين الإعلاميّة في المواقع المدروسة، فالنسبة الأعلى من أفراد العيّنة أجابوا بـ «أحياناً» حول استخدام هذه المواقع أساليب مميّزة في التغطية الاعلاميّة، وحول نشر المواقع صورا ومقاطع فيديو مرتبطة بالأحداث بشكل كاف، وحول تقديم أخبار عاجلة دون التأكّد منها، وتعكس هذه النتائج آراء أفراد العيّنة المتردّدة نحو ما تمّ ذكره.

وقد اختلفت درجة اهتمام المواقع الإخباريّة المدروسة بالمواضيع الرياضيّة والاقتصاديّة والفنيّة حيث أفرد لها القائمون على موقع النشرة صفحات خاصّة بها، ولم يتمّ الاكتفاء بنشر الأخبار فقط بل تمّ توظيف الأنواع الصحافيّة المختلفة من تقارير ومقابلات ومقالات، وخصص مكان لنشر الصور ومقاطع الفيديو في معرض خاص بهما. بالمقابل أفرد موقعا ليبانون فايلز ولبنان 24 لهذه المواضيع مساحات قليلة واكتفيا إلى حدّ ما بالخبر والصور أو مقاطع الفيديو المرافقة له، وهو ما يستدعي ضرورة الاهتمام بهذه النوعيّة من المواضيع لإشباع حاجات المستخدم. ولم تهتم المواقع المدروسة بالمواضيع الثقافية والاجتماعية بالدّرجة المطلوبة. وما ذكر يعكس قصوراً واضحاً في الكوادر البشريّة المدربة والمؤهلة للعمل في البيئة الإلكترونيّة، ويعد هذا ضعفاً مهنيّا لدى العاملين في المواقع التي تناولها البحث. (سيرين تيماني، 2016-2015) .

ت)- تحدّيات مهنيّة:

وقد رافق هذه التحوّلات في صناعة المضامين الإعلاميّة في المواقع المدروسة العديد من التحدّيات، منها ما هو مادي حيث المعلن لا يزال يفضل اللجوء إلى الصحافة التقليديّة، وينعكس هذا النقص الحاصل في التمويل سلباً على تحسين جودة العمل وتوظيف المزيد من الصحافيين والمراسلين ومدققي اللّغة وتوسيع حجم التغطية. ومنها ما هو تقني كالمشاكل الفنيّة المفاجئة التي تخص برمجة الموقع والقرصنة التي تعدّ من الجرائم الإلكترونيّة والتي طالت المواقع الإخباريّة في ظل تنامي دورها في المجتمع بهدف إعاقة مستخدمي الموقع من استقاء المعلومات وتتبعه. ومنها ما هو قانونيّ، فالمواقع الإخباريّة الإلكترونيّة اللبنانيّة تعاني من غياب الأطر القانونيّة القادرة على تنظيمها، ومنها ما هو بشري ومهني، كالسرعة المطلوبة في مواكبة الأحداث في ظل عدم توفّر الإمكانات بالنسبة إلى الصحافّة الإكترونيّة في لبنان، وصعوبة الوصول إلى مصادر الأخبار في كثير من الأحيان للتحقق منها والتّأكد من صدقيتها، والمنافسة من أجل سرعة إيصال الأخبار، وكثرة تدفق المعلومات والتي انعكست بدورها على الصحافيّ وجعلته يتعرّض للكثير من الضغوط في بيئة العمل.

كما بيّنت إحدى الدراسات وجود حالات خرق لأخلاقيّات المهنة في المواقع الإخباريّة الإلكترونيّة اللبنانيّة، كاستنساخ المضامين من وسائل إعلاميّة أخرى من دون ذكر المصدر. فالمواقع الثلاثة: النشرة، ليبانون فايلز، لبنان 24 تستنسخ من الصحف المحليّة والعالميّة ووكالات الأنباء والمحطات التلفزيونية من دون ذكر المصدر، وبالتالي يتبيّن صعوبة السيطرة على هذه المواقع ومحاسبتها في حال إقدامها على القيام بأي تجاوز في ظل غياب القوانين والمواثيق الأخلاقية التي تنظم عملها. كما أنّ هذه المواقع لم تبذل جهداً كبيراً في الحصول على أخبارها

الخاصّة إلا في نطاقات ضيّقة، فقد اعتمدت في الجانب الأكبر من تغطياتها على المصادر الخارجيّة ما يعكس تبعيّتها للمصادر التي تستقي منها المضامين الإعلاميّة. بالتالي فإنّ التحدّيات التي تواجهها المواقع الاخبارية، انعكست سلباً على صناعة المضامين الإعلاميّة. (سيرين تيماني، 2016-2015) .

ث)- دور المجتمع المدني:

في رسالة حول دور المجتمع المدني في بناء فضاء عمومي فاعل في لبنان، قامت الباحثة بدراسة تحليلية للنشاط الاتّصالي الرقمي لمنظمات الحراك المدني في الفترة الممتدة من أيار/ مايو 2017 إلى أيار/ مايو 2018

«لقد شكّل نمو النشاط الاتّصالي الرقمي لمنظمات المجتمع المدني في لبنان، وبخاصة تلك التي تهتم بالشأن السياسي، ظاهرة مهمة للبحث والمتابعة، وذلك لارتباطه بمجموعة ظواهر وعلاقات وممارسات تخص المجتمع اللبناني، ولارتباط الفضاء العمومي الجديد (الافتراضي) بفضاءات أخرى سبقته في التشكّل وساهمت في وجوده.» (زينب حسن سليم، 2018-2017) .

إن افتراض وجود دور لهذا الفضاء الافتراضي في عملية الإصلاح السياسي والتنمية الاجتماعية والاقتصادية لم يأتِ من فراغ، إنما انطلق من مؤشرات وملاحظات تدل على توفر قدرٍ من حرية التعبير وأفقٍ ونقاشاتٍ حرة وعقلانية، قد تؤدي إلى زيادة الوعي السياسي لدى جمهورٍ كبير بات مستخدماً ومتفاعلاً مع تقنيات الاتّصال الحديثة. وقد كان إجراء الانتخابات النيابية في 6 أيار/ مايو من العام 2018، بعد تسع سنوات من التعطيل لهذه العملية الديمقراطية، وبمشاركةِ مرشحين ممثلين لمنظمات الحراك المدني، للمرة الأولى، مناسبة هامة كمحك عملي اتّصالي سياسي تقاس من خلاله أبعاد هذه الظاهرة وحدود إسهاماتها في بلورة قيم التغيير المُشار إليها في الإشكالية.

وعلى الرغم من أن مفهوم الفضاء العمومي لا يزال كغيره من المفاهيم المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية والفلسفية مع جدال ونقاش، بدءاً من مثالية النموذج الهابرماسي وليس انتهاءً بالنموذج الافتراضي الحديث (الفضاء السيبيري)، إلا أن دراسته باتت أمراً ضرورياً لما له من تداعيات وبخاصة في الدول النامية التي تشهد مجتمعاتها تحولات على غير صعيد. (زينب حسن سليم، 2018-2017) .

وقد توصلت الباحثة إلى تأكيد وجود دوافع إقتصادية (ضعف التمويل مقابل فرض مبالغ طائلة للحصول على تراخيص إنشاء وسائل إعلامية كالصحف والتلفزيونات)، وسياسية (غياب المساندة والتغطية الكافية من قبل وسائل الإعلام الجماهيرية أو ارتباطها بعدد من التحفظات)، وتشريعية (المحاصصة

والتوزيع الطائفي للتراخيص، إضافةً إلى تحديد بعضها وفرض شروط قاسية على أخرى)، واجتماعية (اتساع دائرة المواطنين اللبنانيين المشاركين بخدمات الإنترنت وبخاصة ما يتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي)، وتكنولوجية ذاتية (سهولة استخدام عدد كبير من شبكات الاتّصال الرقمية، مقابل تدني كلفتها وإمكانية عرض مختلف المواضيع عليها وبطرق متعددة)، كلها حتَّمت على منظمات المجتمع المدني في لبنان إنشاء وتفعيل صفحات خاصة بهم على مواقع التواصل الاجتماعي. ويقتصر الخطاب في فضاء الانترنت على القضايا المحلية، وبخاصة ما يتعلق بكشف الفساد وانتقاد أداء الطبقة الحاكمة في مقاربة المشاكل الأساسية للمواطن اللبناني، كما أن المشاركين الأساسيين فيه هم محليون، حتى لو لم يتواجدوا مادياً على أرض لبنان كالمغتربين والمسافرين، وهم في الغالب متواجدون فيه بهوياتهم وانتماءاتهم الحقيقية، ولذلك فالنقاش فيه غالباً ما يكون بين أطراف معلومة.

ج)- سيطرة الخطاب الآني:

وبيَّن البحث سيطرة الخطاب الآني واليومي على رسائل المنظمات المدنية على حساب المعالجة الاستراتيجية للقضايا والمواضيع، والاعتماد الكبير على الاستنساخ غير المكلف والنشر الفوري، وكذلك الارتكاز على الاستمالات العاطفية على حساب تلك المنطقية، مما انعكس تراجعاً في مستوى النقاشات لجهة غياب الاعتماد على الحجج العلمية والبراهين المنطقية. وقد حقق «الإعلام الرقمي» في لبنان، إضافةً نسبية تتعلق بالحريات والنقد وتبادل الآراء وعرض الأفكار والتحليلات والتعليقات، وتناول قضايا لا تستطيع وسائل الإعلام الأخرى تناولها، لكن منظمات الحراك المدني لا تزال عاجزة عن استثمار كل هذه المتغيرات لخلق نقاشات حرّة وعقلانية. (زينب حسن سليم، 2018-2017)

إن منظمات الحراك المدني تسعى من خلال نشاطها الاتّصالي الرقمي، للبحث عن الوسائل التي تمكّنها من التأثير في الآخر، أكثر من تلك التي تضمن تحقيق الإجماع وفقاً لمفهوم قوة الأطروحة الأفضل المرفقة بالبرهان الأقوى، الأمر الذي أفقد النقاش وأطرافه الكثير من مقاييس العقلانية. والفضاء العمومي الافتراضي في لبنان كحيز غير مادي يجمع جمهورا من المواطنين من ذوي الاهتمامات المشتركة، هو فضاء متحقق ومتاح لكل القادرين على استخدام الحاسوب والنفاذ إلى الإنترنت. ولذلك فإن الإقصاء الأساسي فيه متمثل بفئتي الكهولة (تشمل الفئة العمرية بين الأربعين والستين سنة) والشيخوخة (تبدأ من عمر الستين سنة).«ولكن، يفتقد هذا الفضاء لقيمتي الإنصات واحترام وجهات النظر، فالندية والنقدية هي السمة الغالبة على النقاشات الدائرة فيه، سواء في منشورات المنظمات أو في تعليقات المتابعين الذين تتفاوت قدرتهم على التعبير

بحسب مستواهم العلمي ودرجة وعيهم، الأمر الذي يتعارض مع أحد أهم شروط الفضاء العمومي الفاعل». (زينب حسن سليم، 2018-2017) .

لقد بيّن البحث أن موافقة الدولة، وإن سرّيّاً وشكليّاً، على محاورة منظمات الحراك المدني ومناقشة بعض القضايا معها والوقوف عند آرائها واتجاهاتها التي تُنشر بشكل أساسي عبر مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بها، يُشكّل مدخلاً للتأسيس لفضاء عمومي فاعل، لكن الخلافات الكبيرة في وجهات النظر (تصل حد التعارض في بعض المجالات)، تُشكّل أحد الأسباب التي تُضعف موقف هذه المنظمات أمام الدولة، ويجعل دورها ينحصر في المراقبة والعرقلة. (زينب حسن سليم، 2018-2017) .

3 - الممكنات:

أكّدت نتائج رسالة تناولت دور الاستراتيجية الاتّصالية في تفعيل العمل الإداري داخل الجامعة اللبنانية، أن الاستراتيجية الاتّصالية تلعب دوراً هاماً في تطوير العمل الإداري داخل المؤسسة التربوية الحكومية في لبنان.

وتعمل نشاطات الاتّصال الأربعة: الإعلام، العلاقات العامة، الإعلان والتسويق، على تفعيل استراتيجية تطوير الجامعة، وعلى تحسين وتوحيد صورتها في أذهان جمهورها، وعلى تسويق خدمة التعليم المجاني بها، كذلك تعمل على تفعيل الاتّصال بين أفراد جمهورها، من خلال التخطيط الاتّصالي التربوي الفعّال الذي يسمح للجامعة بتحقيق كل أهدافها والوصول إلى أكبر عدد ممكن من جمهورها، حيث إن المؤسسة التي تريد النجاح والاستمرارية خصوصاً في ظل التنافس الكبير على الصعيد الأكاديمي، هي بحاجة إلى خطة اتّصالية. (بتريسيا عبيد، 2017-2016) .

وقد خلص البحث إلى أن الاستراتيجية الاتّصالية غير موجودة فعلاً في العمل الإداري للجامعة اللبنانية، لأنّ أي خطة اتّصالية لو وجدت يجب أن يشعر جمهورها بوجودها باعتباره جزءاً لا يتجزأ منها. فالاستراتيجية الاتّصاليّة الجيّدة والناجحة تشرك كل العاملين في المؤسّسة فيها، لكن في الجامعة اللبنانية، قد تبيّن أن الأساتذة كما الطّلاب غائبون عن أعمالها الإعلامية والاتّصاليّة. لأن أغلبية الأساتذة لم يتم تكليفهم ولا حتى إعلامهم بأي خطط اتّصالية قد تعمل بها الجامعة، كما أن الطلاب يشاركون ويستفيدون بنسبة ضئيلة جدا من الإعلام الخاص بالجامعة، بالإضافة إلى صورة الجامعة المشوشة في أذهانهم، وهذه الصورة دليل على عمل الجامعة الخجول لناحية بناء صورة موحّدة وإيجابية للجامعة اللبنانية في المجتمع اللبناني خاصة.

تعتمد الجامعة اللبنانية تنظيما خاصا، من خلال توزيع الوظائف والمهام في إدارتها، مما يساهم في دمج نشاطات الاتّصال (الإعلام، العلاقات العامة، الإعلان والتسويق) في أقسام من الإدارة المركزية لتفعيل عملها. وهذا التنظيم هو ضمان لاستقرار المجتمع بما أن المؤسسات التربوية هي جزء لا يتجزأ من المجتمع اللبناني. ويساهم انفتاح الجامعة على الجامعات الأجنبية والعربية، والجمعيات المحلية والدولية، والاتّصال بين جماهيرها الداخلية والخارجية، في تنسيق الجهود، وتلبية الحاجات، وفي تأقلم الجامعة مع المتغيّرات.

إن اعتماد استراتيجية اتصالية يساعد في التعريف بالجامعة، وتحسين صورتها، ما يجعل المؤسسة في موقع التأثير في الجمهور، خصوصاً إذا كانت رسائلها عبر وسائل الإعلام والاتصال نوعيّة وتتعلق بمستقبل الشباب اللبناني. كل ذلك يتوقف على الميزانية المرصودة لهذه الاستراتيجية، فالحملات الإعلاميّة المتكاملة واستخدام تقنيات الاتّصال كافة لفترة زمنيّة معيّنة يساهم بتعريف المؤسسة بشكل أفضل عن نفسها، ويساعدها على الترويج لمشروعها الأكاديمي. فغياب هذه الاستراتيجية يمكن أن يؤثّر سلباً على بناء الجامعة اللبنانية، خاصة في ظل المنافسة مع مؤسّسات التعليم العالي الخاصة. (بتريسيا عبيد، 2016-2017) .

أ)- في الاتصال السياسي:

وتوصّل الباحثون في الاتصال السياسي إلى جملة مقترحات وتوصيات، كاقتراح عقد مؤتمر شامل من قبل القائمين على الإعلام وهيئات الإعلام والاتصال المرئي والمسموع والمكتوب في الدول العربية لوضع دليل التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، وثانيا حث الأكاديميين لطلبة الدراسات العليا في الجامعات العربية على إعداد دراسات علمية لاستقصاء نسبة الأخبار الحقيقية والموضوعية إلى جانب الأخبار الملفقة، والتي لا أصل لها والتي تم نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي، واستخدمتها القنوات الفضائية العربية لفترة معينة. كما اقترحوا إعداد دراسات استكشافية من قبل الباحثين لمعرفة نسبة الأخبار التي تؤخذ عن وسائل التواصل الاجتماعي، وتستخدم في النشرة الإخبارية الواحدة لقنوات فضائية معينة، وبفترة معينة.

وتوصي البحوث بالتزام القنوات الفضائية الاخبارية بالمعايير المهنية الإعلامية، وعدم الانجرار وراء الرغبة في تحقيق السبق الصحافي على حساب الحقوق الإنسانية والأمنية. هذا يقتضي أن يتم التأكد من صحة الأخبار السياسية، وأن أن تكون معالجتها حيادية وموضوعية، وأن لا تقتصر على جانب من جوانب الحدث. وكذلك هي توصي بعدم إغفال الفضائيات العربية للجوانب الإيجابية في الدول العربية، وتجنّب التركيز على أخبار العنف والفساد والفضائح التي من

شأنها أن تعكّر صفو العلاقات، بل العمل على إعداد برامج تثقيفية مفيدة، وبأن لا يكون الهدف التنافس على تغطية الأخبار غير المألوفة وإيراد أخبار غير موثوقة، حتى لو تمت الإشارة إلى عدم التأكد من الخبر، لأن ذلك يتسبب في إحداث القلق والذبذبة لدى الجمهور. (أنور الزوبعي، 2018-2017) .

ب)- في تنمية المشاركة السياسية:

نحو تفعيل المشاركة السياسية، يقترح الباحثون تنمية الثقافة السياسية التي تحفّز الشباب اللبناني على المشاركة السياسية وممارسة حقهم السياسي في المجتمع، والتزام الإعلاميين بالأخلاق المهنية في تناولهم الأحداث والقضايا السياسية، وإشراك الشباب اللبناني بفعالية وإيجابية في البرامج السياسية والاجتماعية، سواء بالحضور أو بالمراسلات أو عبر التفاعل المباشر، كي تكون بمثابة منبر يعبرون من خلاله عن آرائهم ومشاكلهم. كما يقترحون إعداد برامج توعية تضع في أولوياتها المصلحة الوطنية، بعيدا عن تسييس الأمور لصالح بعض الفئات على غيرها، وإبعاد الشباب عن التعصب الطائفي والمذهبي والفئوي، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الفردية مع الاهتمام بزيادة ثقافتهم السياسية، وإعادة النظر في برامج الاتحادات الطلابية في الجامعات، بحيث تسمح لأكبر عدد من الطلاب المشاركة وممارسة الأنشطة الطلابية. (تغريد عبدالله، 2016- 2017) .

ت)- «مبادىء الرؤية الملكيّة للإعلام»:

في البحث الأردني حول النظريّة الانسانيّة في الاعلام، يرى الباحث أنّه أصبح من الضروري وضع استراتيجية إعلامية أردنية تقوم على تطبيق مبادئ الرؤية الملكية للإعلام. لذلك تمت دراسة مشروع «النظرية الإنسانية»، ومدى انسجامها مع مبادئ الرؤية الملكية للإعلام، ومحاولة تطبيقها على الإعلام الأردني ليكون نموذجاً إصلاحياً. (عدنان الزعبي، 2018-2017) .

وقام الباحث باستنتاج نقاط الضعف في مستوى تطبيق هذه المبادئ في الإعلام الأردني، ووجود تقصير واضح في تأطير السياسات الإعلامية لوسائل الإعلام الأردنية بمبادئ الرؤية الملكية للإعلام بالمنظور الدولي الإنساني. وقد أكد الباحث وجود الإرادة الحقيقية لذلك، ممثلة بالرؤية الملكية للإعلام، وحاجة الأردن الماسة لتطوير الإعلام ليتماشى مع الحراك والنشاط السياسي والانساني الأردني، والرسالة التي يسعى الأردن للتعبير عنها وعن الهوية الوطنية وثوابتها ورؤياها.

وهدف المشروع لتطوير دور الإعلام في التنمية الشاملة والإصلاح والانفتاح على العالم والاستفادة من التجارب العالمية والخبرات، وتعزيز مفهوم

المهنية والأخلاقيات الإعلامية، وتعزيز صناعة الإعلام والاستثمار المعرفي والإعلامي، وترسيخ الاستقلالية والتعددية والنهوض بقيم البحث والدراسات والتأهيل والتدريب، باعتبارها مرجعيات السياسات الإعلامية، وبناء شراكات مع الإعلام العالمي.كما يهدف إلى الانتقال من الإعلام التبعي أو المختلط، إلى الإعلام الحر المسؤول، ووضع ضوابط ومعايير للممارسات الإعلامية من خلال المجلس الأعلى للإعلام، والنقابات ومواثيق الشرف ومدونات السلوك وقواعدها، مع تفعيل دور النقابة في تنظيم العمل الإعلامي.

كما هدف المشروع المقترح خصوصا إلى بناء الرأي العام الوطني الصائب، من خلال التعامل المهني المحترف ذي المصداقية، والاعتمادعلى الحقيقة التي تتطلب الاستقصاء والوصول للمعلومة الصادقة، بعيداً عن التهويل والمبالغة أو الصمت والتردد، والتعرف على تطلعات وأولويات المواطنين وتوجهات الرأي العام، ورسم السياسات الإعلامية بناء على ذلك.

ويدعم البحث التوجه الإنساني في الرؤية الإعلامية الملكية، من خلال تشجيع عقد الشراكات وتبادل الأخبار والمعلومات، مع أكبر قدر ممكن من محطات التلفزة والإذاعات والمواقع العالمية، وتفعيل دور ووسائل الاتّصال المجتمعي لإيصال الرؤى والتوجهات والإنجازات الأردنية.

كل هذا يتطلب تطوير مناهج وخطط كليات الإعلام والاتصال ومراكز الدراسات الإعلامية، بما يتلاءم مع متطلبات الرؤية الملكية للإعلام ومبادئها في الجامعات والمدارس، ومراكز الإرشاد والتوجيه بما فيها المساجد والكنائس. (عدنان الزعبي، 2018-2017) .

ث)- دعم الصحافة الورقيّة:

توصّلت الرسالة حول تأثير الصحافة الالكترونية على الصحافة الورقية(البيان والتمدن نموذجا)، إلى أن رثاء الصحافة الورقية لن يبقيها على قيد الحياة. ومن الضروري بمكان أن يسعى القيّمون على الصحف الورقية إلى إنعاشها بالأفكار المبتكرة، وإعادة النظر في سبب وجودها، فنقل الأخبار والمعلومات لم يعد سبباً كافياً لطبعها. وعليهم أن يضعوا نصب أعينهم هذين السؤالين: لماذا سيقرر القارئ أن يدفع بدلاً مادياً من أجل شراء صحيفتنا؟ وما الجديد الذي سنقدمه له والذي لن يجده في المواقع الإلكترونية والقنوات الإخبارية؟

«ولا شك في أن الاعتماد على الاشتراكات المسبقة بالإضافة إلى الإعلانات وإلى مساهمة الدولة بتقديم دعم مالي مستمر عبر وزاراتها ومؤسساتها عن طريق الاشتراك السنوي بالصحف الورقية، يمكن أن يكون طوق النجاة الرئيسي للصحافة المطبوعة، بعد تغيير طريقة التفكير في محتواها، وتقديم المحتوى

المناسب للقارئ. فالعمق والمحتوى الحصري والابتعاد عن نمط الأخبار العادية، يمكن أن تجذب القارئ، وكذلك تجنّب أصحاب الجرائد الوقوع تحت رحمة الممولين من رجال المال والسياسة والاقتصاد الذين غالباً ما يتحكمون بسياسة الصحيفة وبتوجهاتها، ويخنقون حريتها». (أمل حمزة، 2018-2017) .

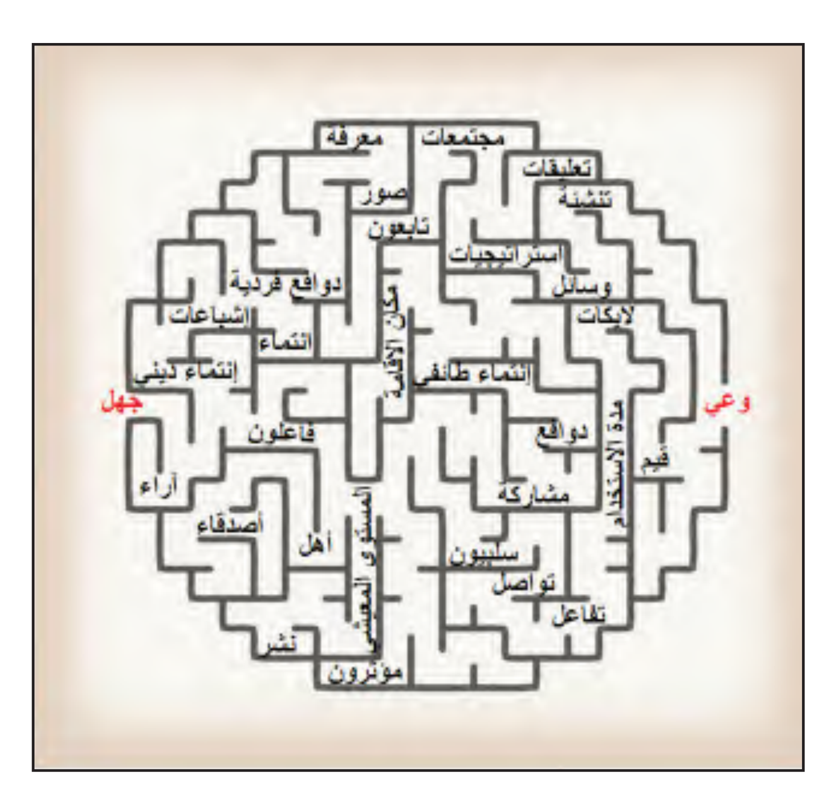
الخلاصة:

تناولت البحوث إشكاليّات مختلفة مرتبطة باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، ولكنها توصلت إلى مجموعة من النتائج المشتركة رسمت صورة واضحة لمتاهة الاتصال في عصر المعلومات. ومن أهم هذه النتائج أن الاتصال يشكّل اليوم العصب الحيوي لحياة المجتمعات. كما أن الاتصال الواعي يحقق الإشباعات المرغوبة منه. وتبين أن درجة القلق مرتبطة بدرجة الوعي، وأن الفئة العمرية من الشباب ما بين 18 و22 سنة هم، في المجتمعات العربية، مدركون لأهمية التدقيق في مصادر المعلومات ولا يتأثّرون بالمؤثّرين. هنا نلفت لضرورة الإشارة إلى متغيّر أساسي هو المستوى التعليمي الذي هو لدى أفراد العينة جامعي وما فوق، فمعظم من أرسل لهم الاستبيان هم من الوسط الجامعي. هذا يؤشر إلى أن حل المتاهة مرتبط إلى حد بعيد بالتنشئة الاجتماعية، وبالمستوى العلمي والمعرفي والثقافي للمستخدمين.

ويوجد ثلاثة أنواع من الفاعلين في متاهة الاتصال: المؤثرون في الآراء بتصميم ووعي، والمستخدمون الذين يتشاركون الآراء مع الآخرين بإدراك ووعي وهم الأغلبية، والتابعون السلبيون الذين يتفاعلون بجهل ومن دون وعي أو لا يتفاعلون كثيرا. وتتقدم الدوافع الاجتماعية للتواصل على الدوافع الفردية فدافع التواصل مع الأصدقاء والأهل يأتي بالدرجة الأولى. كما تؤثر مدة الاستخدام على تبنّي القيم الوافدة وحضور الوعي في التواصل المجتمعي، ويؤثّر من جهة ثانية، دور الأهل في عملية التنشئة الاجتماعية على المشاركة المجتمعية الواعية للأبناء.

وتترجم اللايكات ردود الفعل في المشاركة المجتمعية بالدرجة الأولى، تليها التعليقات ونشر الصور. وتؤثر الشبكات في تشكيل الوعي السياسي من خلال زيادة المعرفة، كما أن نوع التواصل المجتمعي لا يختلف بين النوعين أو الجنسين. ويؤثر متغيّر الانتماء الديني والطائفي على التواصل المجتمعي الواعي، بينما يؤثر متغيرا المستوى المعيشي ومكان الاقامة على التواصل المجتمعي الواعي.

وبيّنت كل الدراسات كم أصبح من الضروري إعتماد استراتيجيات للتواصل المجتمعي الواعي. (أنظر الرسم البياني لمتاهة الاتصال في عصر المعلومات)



الرسم البياني الأولي لمتاهة الاتصال في عصر المعلومات

ثانيا: متاهة التواصل الاجتماعي في

«أزمة فيروس كورونا»

دراسة مسحية إختبارية للمجتمع اللبناني شباط/نيسان 2020

(بمشاركة الباحثة سالي حمود)

1 - الإطار المنهجي:

لاستكمال بناء فرضيات نظرية متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام، أجرينا دراسة مسحية إختبارية خلال أزمة «وباء كورونا» على عينة عشوائية من 150 مستخدم في لبنان من كل المناطق اللبنانية، عدد الإناث فيهم أكثر بقليل من عدد الذكور، والعدد الأكبر أعمارهم هي ما فوق 37 سنة.

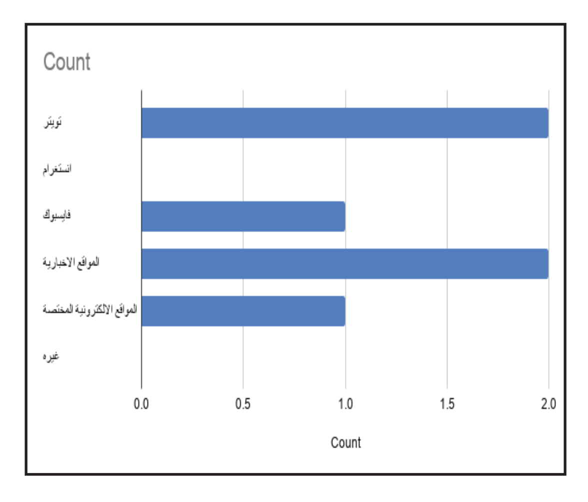
هدف الاستبيان إلى الرد على سؤال أساسي: ما هي تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي النفسية والاجتماعية في لبنان في وقت أزمة فيروس كورونا شباط- نيسان 2020؟ وهدف إلى تأكيد فرضية المتاهة في عملية التواصل الاجتماعي، والكشف عن العناصر التي تتشكل منها المتاهة، والوصول أخيرا إلى تأكيد أهمية المعرفة والوعي في الاستخدام لبناء مجتمعات جديدة.

للرد على السؤال الأساسي، طرحنا أسئلة فرعية لها علاقة باستخدامات وسائل الاتصال عامة، ووسائل التواصل الاجتماعي خاصة. ما هي عادات متابعة الأخبار، وعادات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وقراءة الأخبار ومشاركتها، ومشاركة الفيديوهات والصور، والتأكد من المصادر، وصولا إلى الأسئلة الخاصة بأزمة فيروس كورونا واستخدامات وسائل التواصل أثناء الأزمة. إضافة إلى أسئلة حول التغيرات في العادات وفي التأثير، وحول درجة القلق الناتجة عن التواصل، وكيفية التعامل مع الأخبار الصحية وغيرها، وكيفية التأكد من المعلومات وصحة الأخبار، ودور المؤثّرين في الاقناع أثناء الأزمة، وأخيرا الانطباع العام عن العلاقة بين المستخدم ووسيلة التواصل.

أ)- إستخدامات وسائل الاتصال:

بيّنت قراءتنا للنتائج أن المستطلعين يمضون من ساعتين إلى ست ساعات وما فوق باستخدام الانترنت. وأكثر المواقع استخداما هي تويتر والمواقع الاخبارية. وتذبذبت الأجوبة بخصوص استبدال التلفزيون بوسائل التواصل الالكترونية للحصول على الأخبار، وهذا يدل على استمرارية الوسائل التلقليدية والتلفزيون

خصوصا كمصدر هام للأخبار في الأزمات. استخدامات الانترنت هي بالتسلسل الدردشة ومتابعة الأخبار والبحث قبل غيرها.



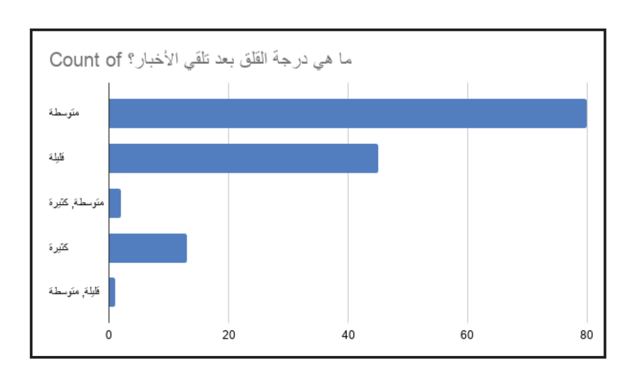
1 - مواقع التواصل الأكثر استخداما

من المفاجىء في النتائج أن عددا كبيرا من المستطلعين كان ردهم أنهم لا يشاركون الخبر بشكل سريع، بينما البعض الآخر يفعل ذلك. وهذا يدل على درجة وعي مقبولة حسب نظرية المتاهة التي ترتكز على الوعي في المشاركة. والأغلبيّة لا يعتبرون أنفسهم مساهمين بفعالية في نشر الأخبار وهذا أيضا دليل حذر ووعي. ويتابعون الأخبار بشكل دائم، كما يتشاركون الفيديوهات والصور، مع الآخرين.

وقد زادت قراءة الأخبار ومتابعتها بطبيعة الحال في أزمة كورونا، لا سيّما المقالات الخاصة بالصحة والمرض. كما تغيرت العادات الصحية والعادات الشرائية تأثرا بالتواصل الاجتماعي.

ب) - رهانات التواصل الاجتماعي:

لم يتسبب التواصل الاجتماعي بالقلق لكل المستطلعين بل الأغلبية كانت درجة القلق لديهم قليلة بنتيجة التواصل مع الآخرين. غالبيته يتأكدون من صحة الخبر قبل نشره، ولا يعتبرون أنفسهم مشاركين فعالين في نشر الأخبار. وهم لا يعتمدون صفحات المؤثرين على شبكة الانترنت لمتابعة الأخبار كما لا يتأثرون بهم. ويتضح أن متغيرات العمر والجنس لم تؤثر على الإجابات التي جاءت متباينة ولم يرتبط الاتجاه السلبي أو الايجابي بهذه المتغيرات، ولا نسب التكرار للاستخدامات وللأجوبة حول القلق ودرجة الوعي.

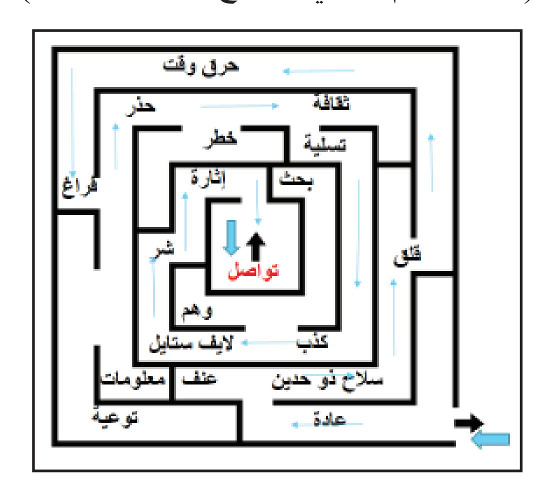


2 - درجة القلق بعد تلقي الأخبار

ج)- خلاصة النتائج: ما بين الرهانات والممكنات:

في المتاهة الأوليّة تم تسجيل العبارات الأكثر ترددا التي استخدمها المستطلعون لاختصار تجربتهم مع وسائل التواصل الاجتماعي خلال أزمة كورونا، وهي تجمع ما بين الرهانات والممكنات. وقد تم إدخالها بشكل عشوائي لأن المتاهة لعبة غير منتظمة وتتسم بالعشوائية والضياع والتعقيد وعدم الثبوت: سلاح ذو حدين، عادة، كذب، لايف ستايل، عنف، معلومات، توعية، قلق، ثقافة، تسلية، حذر، حرق وقت، خطر، وهم، فراغ، إثارة، بحث، معلومات، شر.

(أنظر الرسم البياني لنموذج متاهة المشاركة)



رسم بياني لنموذج متاهة المشاركة الاجتماعية (الرهانات والممكنات)

المصطلحات الأكثر تكرارا، ردا على سؤال بأي عبارة تختصر تجربة التواصل الاجتماعي في أزمة فيروس كورونا، هي تلك الواردة في المتاهة: سلاح ذو حدين، عادة، عنف، قلق، حرق وقت، فراغ، توعية، معلومات، حذر، ثقافة، خطر، تسلية، وهم، كذب، لايف ستايل، شر، إثارة، بحث. كم من خيارات واحتمالات ومخاطر قبل تحقق التواصل، أو أثناء تحققه.

هذه المصطلحات تشير إلى رهانات التواصل الاجتماعي، وتعكس مفارقات ومتناقضات التواصل الاجتماعي في «زمن ما بعد الحقيقة». وهي، وإن كانت مرتبطة بالجمهور اللبناني، تنطبق أيضا على المجتمعات العالمية، بحيث أن التواصل بات يحدث في فضاء عالمي مفتوح، وقد تم طرحها في هذه المتاهة المعقدة، بحثا عن المخارج والممكنات. هي رهانات تجري مناقشتها اليوم من قبل الباحثين في حقول متعددة، ونحاول في هذا الكتاب إعطاءها بعدا فلسفيا، أي تعميق التفكير فيها. فقد انطلقنا منذ البداية من فرضية مفادها أن التواصل قضية فلسفية. ورغم أن القاعدة التواصلية تبدو بسيطة وشفافة، حيث تحدد العملية التواصلية بأنها عملية إرسال إلى متلقي بواسطة قناة اتصال، إلا أن هذه العملية تتضمن رهانات ومفارقات تسمح بإعادة النظر في الشفافية والبساطة المزعومتين.

إن البحوث والنظريات قد أكدت على مر السنين أن الرسائل في العمليات الاتصالية نادرا ما تكون واضحة وأحادية المعنى، بل إنها على العكس من ذلك تتضمن تعددا دلاليا، وأن المتلقي لا يكون مجرد مسجل سلبي للمعطيات المرسلة، بل إنه يعمل على انتقائها وغربلتها وتحويلها. وبخصوص قناة الاتصال، فهي بدورها تؤثر في مضمون الرسالة بحسب طبيعة الوسائل المستخدمة. من هنا فالتواصل لا يتضمن فقط فعل الإخبار، بل يبحث أيضا عن طرق التأثير في الآخر وإقناعه وإغرائه، وقد بات عملية جد معقدة مع تطورات تكنلوجيا الاتصال.

ثالثا: مفاهيم وعناصر نظرية متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام

Social Communication Maze Theory in Public Space

تمهيد

منذ سنة 2019 ونحن نعمل ضمن فريقنا البحثي، على تطوير نظرية في الاتصال الاجتماعي مبنية على حصاد نتائج الدراسات الميدانية في عالمنا العربي. وقد توضح لنا في بادىء الأمر «نموذج المشاركة الاجتماعية»، الذي تطور في مرحلة لاحقة إلى نظرية «متاهة التواصل الاجتماعي في المجال العام». وفي هذا الفصل من الكتاب نطرح كل عناصر النظرية، بدءا بالمفاهيم، والفرضية الأساسية، ثم العناصر التي بني عليها نموذج النظرية، وصولا إلى مجالات التطبيق والآفاق البحثية.

وقد بيّنت لنا نتائج الدراسات السايقة، إضافة إلى نتائج بحوث الفريق البحثي، ضف عليها نتائج رصد المضامين والاستخدامات والتجارب الاتصالية، أن المشاركة المجتعيّة مقترنة بالوعي والاستراتيجية الاتصالية المتكاملة، هي الحلقات الأساسية في العامود الفقري للمجتمع.

وبالتالي علينا بالتأكيد أن نعرِّف بمفاهيم إشكاليّة عرفت جدلا كبيرا بين الباحثين في العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية وعلوم الإعلام والاتصال، وحتى كافة العلوم الانسانية، مثل مفهوم الاتصال الذي يصعب ضبطه، ولا بد من أن نضع له إطارا فلسفيا ومعرفيا محددا في مجال النظرية.

ويأخذنا مفهوم الوعي إلى جدل آخر، إذ يوجد حوله أيضا سجالات كثيرة، حتى أن العديد من الباحثين لا يعترفون به ويستطردون بالحديث عن اللاوعي عند الانسان. هذا إلى جانب ضرورة تحديد مفهوم الاستراتيجية الاتصالية، بحيث تحدد الاستراتيجية الاتصالية المعتمدة من قبل المجتمع بأكمله، أفرادا ومؤسسات وجماعات، مفهوم الوعي المجتمعي، ربطا مع صورة المجتمع الذي نريد. أما التواصل الاجتماعي، فهو مفهوم يزداد تعقيدا مع التطور التكنلوجي وظهور تقنيات الذكاء الاصطناعي، ما يأخذنا إلى أبعاد لا حدود لها للتواصل والتفاعل الانساني في المجتمعات. هكذا، وبربط المفهومين بمفهومنا للاتصال عامة في المجال العام، يكتمل الاطار المعرفي لنظرية **متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام** **Social Communication MazeTheory in Public**

.Space

1 - المفاهيم الأساسية:

أ) المتاهة:

المتاهة هي إحدى أنواع الألعاب التي تنشّط العقل وتحتوي على عدة طرق، منها السهلة والمعقدة التي يتطلب حلّها إيجاد الطريق الصحيح للوصول للنهاية. وهناك عدة قواعد لحلها أبرزها قاعدة اليد اليمنى، والتي تكون بسلك الجانب الأيمن من البداية وحتى الوصول إلى النهاية. وهي شبكة معقدة ومربكة من المسارات أو الممرات، مصممة لإثارة أولئك الذين يمشون من خلال نظام تماثلي خطّي وثابت.

من هنا تمّت المقاربة ما بين التواصل في عصر المعلومات والمتاهة، وقد أدت كل نتائج البحوث إلى هذه المقاربة التي تختصر كل إشكاليات التواصل الاجتماعي عير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة.

يبدو الإعلام في أيامنا هذه معقدا ومرتبكا وفاشلا، إن لم نقل مضللا ومحرضا أيضا، ففي السنوات الأخيرة، إنتقل من مربّع إلى آخر بسرعة كبيرة، واتسعت آفاقه وتشعبت اتجاهاته، حتى بات أقرب إلى المتاهة منه إلى الإعلام الحقيقي، وتاهت الرسالة الإعلامية السامية الموضوعية.

مع ثورة الاتصال والمعلومات، وانفتاح الفضاء الاعلامي والاتصالي العام لكل الناس، وانتشار آلاف الوسائل الإعلامية والاتصالية، ومواقع التواصل الاجتماعي، اختلط الحابل بالنابل، وعبر إلى هذا الفضاء أشخاص لا يمتّون بصلة إلى هذا المجال. وازداد المشهد تعقيدا مع الدور الذي لعبته وسائل الإعلام والاتصال التابعة للأحزاب التي تسنخدم هذا الفضاء لتسويق افكار ومفاهيم جديدة وخطيرة، وقيم أخلاقية معينة، وسلوكيات ومضامين تؤثر سلبا على المجتمعات وتشوّهها خصوصا مع غياب الجهات الرقابة وسياسات الدول الحاضنة.

في هذه المتاهة الاعلامية الاتصالية، كل الاحتمالات واردة، حيث يسيطر على الاتصال الدولي أصحاب المصالح الذين لا هم لهم إلا تسويق الأفكار المغرضة الخبيثة، وتشويه الحقائق والعبث بالثوابت، ونشر الكراهية بين الناس، وزرع بذور الطائفية، والترويج لأفكار سياسية دخيلة على مجتمعاتنا، تهدف إلى إلحاق الأذى بالمتلقي وتسييره في اتجاهات خاطئة.

ينطلق المتلقي باحثا عن الحقيقة والخبر اليقين أو المعلومة المفيدة، فيتيه في الممرات المتداخلة المعقدة أو المزيفة، التي ترسمها المنظمات الكبرى وقادة

العالم، ولا يصل إلى خط النهاية إلا بجهد جهيد وقد أضاع الكثير من الحقيقة على درب الوصول، بسبب آليات وتقنيات الإرهاب الإلكتروني، والقرصنة الذكية، والجيوش الالكترونية المسيطرة على الشبكات.

وتزداد المشكلة خطورة مع فتح مواقع التواصل الاجتماعي الباب لكل من أراد أن يدخل من دون حساب أو رقيب، وباتت مع الأسف هذه المواقع التي تهدف إلى التواصل بين الناس أو التفرقة بينهم، عوامل فرقة وكراهية وتحريض طائفي. وقد فتحت هذه الوسائل الحديثة الباب واسعا امام الحروب الطائفية والصراعات المذهبية والفكرية والعرقية والسياسية، والأيديولوجية بدلاً من ان تكون وسائل تجميع ونشر ثقافة الوعي، ومنابر حوار متمدن حضاري لتعزيز العصف الذهني، يفتح باب التواصل بين الناس ويؤطر علاقاتهم بشكل مفيد ونافع.

الاتصال كما هو معروف أسلوب منظم وخطير وسلاح ذو حدين، يستخدم للتأثير على جهة ما في سبيل زرع أو دعم أو إزالة فكرة أو عمل ما. بالإضافة إلى ذلك، إن الحرية المتاحة في مواقع التواصل الاجتماعي والمساحات الواسعة بدون رقيب، وإمكانية الدخول إلى هذه المواقع بأسماء مستعارة، تشجع بعض المغرضين وضعاف النفوس على الاعتقاد بإمكانية التحلل من المسؤولية من كل ما ينشرونه من مواد إخبارية أو إعلامية أو دينية أو سياسية أو فكرية أو أخلاقية، وهو أمر خطير يذهب بالإعلام والاتصال في عكس الاتجاه المطلوب حضاريا وهو زيادة الوعي، وتعريف الناس بما يدور حولهم.

ومما لا شكّ فيه أنّ للإعلام والاتصال دور فعّال في صناعة الرأي العام والتأثير على المتلقي، خصوصاً في عالمنا اليوم، حيث تحتل وسائل الإعلام والاتصال أهمية بالغة الخطورة والتأثير، وتعدّ أحد المرتكزات الأساسية في صناعة القرار والتحكم في آراء الناس وكسب عواطفهم. لذا نجد أغلب الدول المتطورة وكذلك المؤسسات الكبيرة قد أولتها أهمية كبيرة وخصصت لها الميزانيات الضخمة. وهي إمّا زرع فكرة ما في عقول الناس وتصنع رأيا عاما واعيا، أو تزيل الأفكار المفيدة وتصنع رأياً عاماً متفككاً ومهزوزاً، ومجتمعات متخلفة وجاهلة ومتزمتة ومتوترة، يسهل اختراقها وبث الفرقة بين أهلها.

ولذلك لا بد لنا من القول إن الرسالة الإعلامية الصادقة والموضوعية الواقعية والمهنية، هي المطلوبة في عالمنا اليوم الذي يعاني من أزمات متراكمة ومتعددة، والذي يغرق في متاهات كثيرة. لذلك نحن مطالبون بالبحث في ماهية ومعالم القوة في عالمنا المعاصر الذي رسمت الثورة التكنولوجية ملامحه، وأن نفكر في ما يجب علينا معرفته مسبقا، ونحن نبحر بسرعة فائقة نحو مستقبل الذكاء الاصطناعي المريب. علينا أن نكون مستعدّين للتغيرات المتوقعة على كل صعيد، في شكل وأسلوب ومستقبل الحياة البشريّة.

ب) التواصل الاجتماعي:

إعتمدنا مصطلح التواصل الاجتماعي لأنه يشير إلى تضافر الناس وتفاعلهم مع بعضهم البعض، وإلى علاقات التفاعل والتبادل والمشاركة التي تستهدفها النظرية بالبحث. كما يشير المصطلح إلى نوعية وعدد العلاقات التي تربط أعضاء المجتمع بالآخرين في الدائرة الاجتماعية التي تشمل العائلة والأصدقاء والمعارف، ودور هذه العلاقات في بناء المجتمع وتوطيد أسس النسيج الاجتماعي، سواء بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمع ككل.

التواصل الاجتماعي، في مفهومنا، هو من أهمّ ضروريات الحياة، حيث إنّه يعمل على تفاهم الأشخاص مع بعضهم البعض، ويساعد على تناقل الخبرات ووجهات النظر. هو أساس العمليّة التعليميّة وعمليّات البحث، وعمليّات التنسيق ما بين الإدارة ومختلف الأقسام، سواء في المدارس أو المصانع أو المؤسسات. وهو يساعد على زيادة فعالية الأشخاص المشاركين في النشاطات التنموية، ويلعب دوراً مهماً في التحفيز، وزيادة روح الالتزام لدى الأشخاص العاملين، كما يساعد على تنظيم الوقت ورفع الكفاءة فيما يتعلق باستخدام المعلومات أو نشرها. ويساعد على إدارة الأعمال التنموية وتطويرها بشكل فعّال.

بناء على نظريتنا، فإن التواصل الاجتماعي هو الوسيلة الأساسية لتحقيق الأهداف. يساعد على تبادل المعلومات، والأفكار، والآراء بين الناس، كما ويزيد من فُرص النجاح والتحكّم في الظروف المحيطة بالإنسان. هو يساعد على إنجاح العلاقات الزوجية، وعلاقات العمل، ويساعد على منع ظهور الخلافات التي تظهر بسبب اختلاف وجهات النظر أو سوء الفِهم. كما يساعد على السيطرة بشكل غير تام على الأشخاص المستمعين فكرياً وجسدياً. والتواصل الاجتماعي في مفهوم النظرية هو الطريقة التي يتحدث بها الناس ويتصرفون مع بعضهم البعض، باستخدام اللغات المتعددة في السياقات الاجتماعية. ولكي يؤدي إلى التعاون والتفاهم، يتطلب امتلاك مهارات تواصلية جيدة، تمكِّن الناس من التعبير عن أنفسهم بطريقة إيجابية وواضحة.

وقد يعرف التواصل الاجتماعي الاضطراب إذا واجهته صعوبات في استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية، أو في التفاعل أوالإدراك أوالتفكير البراغماتي.

ج)- الفضاء العام:

مفهومنا للفضاء العام بناء على النظريّة، هو المكان الذي يجتمع فيه المواطنون للنقاش والجدال لبلورة رأي عام مشترك فيما بينهم، يؤثر على القرار والفعل الاجتماعي، وصياغة اتجاهاتهم نحو مختلف القضايا. كما يجب أن يُشكّل الفضاء العام في المجتمعات الحديثة مسرحاً مفتوحاً يعمل على تفعيل المشاركة السياسية،

من خلال النقاش والحديث بين المواطنين. إن الفضاء العام يشترط توفر حرية التعبير وحرية الاجتماع، وحرية المشاركة في النقاشات وفي صناعة القرارات. والوظيفة الإستراتيجية للفضاء العام هي المساهمة في تكوين رأي عام قوي وفعَّال لتحقيق أكبر قدر من الوفاق لتشكيل السياسات الوطنية والخارجية. (مي العبدالله وعبد الكريم شين، 2005)

ويتوزّع الفضاء العام إلى ثلاثة مجالات تعمل في شكل حلقات، لكلّ منها آليّاتها وضوابطها الخاصّة، دون أن تكون معزولة عن الحلقتين الأخريين. المجال الأوّل هو الفضاء المجتمعي المفتوح حيث تناقش القواعد والقوانين بمستويات متفاوتة من العمق والتناغم والتنافر. والمجال الثاني هو الفضاء السياسي أي دوائر الحكم حيث تصاغ السياسات وتتّخذ القرارات. أمّا المجال الثالث فهو فضاء وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري حيث يفترض أن يلتقي المجالان الأوّل والثاني ليتصارعا من أجل تشكيل الرّأي العام.

إن ممارسة الفضاء العام تختلف حسب طبيعة النظم السياسية في العالم، والمتمثلة في ثلاثة أنماط رئيسة وهي النظم الشمولية والنظم السلطوية والنظم الليبرالية. والنظام الشمولي بحكم طبيعته لا يسمح إطلاقاً بوجود فضاء عام فعَّال تتم فيه مناقشة توجيهات النظام الأساسية وسياسات الحكومة. وذلك لأنه غالباً يقوم على أساس هيمنة حزب سياسي أوحد، ربما كان مثاله البارز الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق. وفي هذا النظام الشمولي ليس هناك مجتمع مدني مستقل عن السلطة على وجه الإطلاق، ولا يمكن أن يعلو صوت على صوت الحزب الشيوعي الذي ينفرد بالساحة السياسية، ويصدر توجيهاته للتنفيذ، وهي توجيهات غير قابلة للمناقشة.

عندما تحوّلت المجتمعات الغربية إلى مجتمعات صناعية، وتحوَّلت وسائل الإعلام إلى أدوات للآلة الصناعية الغربية، تم توظيف وسائل الإعلام الجماهيري لخدمة المصالح السياسية والاقتصادية التي شوّهت وحرّفت من الدور النموذجي لمفهوم الفضاء العام. وهذا ما عبَّر عنه هابرماس Habermas بثقافة المؤسسات corporate culture التي عملت على تضليل الرأي العام بجهود خاصة من ماكينة العلاقات العامة والإعلان وصنعت فضاءً عاماً هامشياً في القضايا والاهتمامات، فحوّلت وسائل الإعلام الحديثة الفضاء العام إلى حلبة من التلاعب السياسي والأيديولوجي والسيطرة على عقول الحشود والجماهير، وقضت بذلك على كل النقاشات الجادة التي من شأنها أن تضع حداً لسيطرة أباطرة السياسة والمال على شؤون الحياة العامة. وتُساهم وسائل الإعلام اليوم في عملية التلاعب بالحشود والجماهير وجعلهم مجرد مستهلكين ومستقبلين سلبيين، في عالم معولم تسيطر عليها الشركات المتعددة الجنسية التي أصبحت تسيطر على الصناعات

الإعلامية والثقافية والإعلانية. وهذه الشركات قد اغتصبت الفضاء العام وحوّلته من فضاء رشيد إلى فضاء التلاعب من أجل الاستهلاك والجمهور السلبي، الذي لا يفكّر ولا يحاول أن يناقش قضاياه اليومية ولا قضايا الشأن العام. وبهذا تحوّل الرأي العام من الوفاق الوطني المبني على النقاشات والحوارات المستنيرة، إلى رأي عام مفبرك من قبل استطلاعات الرأي وخبراء الإعلام والمتلاعبين بالعقول.

لقد زاد تعميم استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال خصوصا مع ظهور شبكات التواصل الاجتماعي، من التداخل بين المجالين العام والخاص، مما خلق فوضى اتصالية مقنّعة وراء شعار حريّة الرّأي والتعبير. فصار التمييز بين الفضاء الخاص والفضاء العام اليوم أكثر من ضرورة أمام التداخل بين هذين المجالين تحت تأثير عدّة عوامل، ممّا يهدّد بالتضييق على الحريات الأساسية والعامّة. من أهمّ أسباب هذا التداخل تعميم استخدام تكنولوجيا الاتصال الذي نتج عنه بروز فضاءات جديدة هجينة تقع بين الخاص والعام، دون أن يترافق ذلك بما يكفي من الوعي بخصوصيتها والتحديات الإيتيقية والاجتماعية والقانونية والنفسية التي تطرحها.

ويشير مصطلح العالم الافتراضي Virtual world أيضاً إلى ذلك العالم الذي يلجأ المبرمج لصنعه بالاعتماد بشكل أساسي على الحاسب الآلي، فيتفاعل معه الإنسان وكأنه عالم حقيقي يحيط به. ومن الجدير بالذكر أنّ البعد الثالث 3D، أو ما يسمى بالتجسيم الثلاثي الأبعاد، يلعب دوراً فعالاً في تقنية الواقع الافتراضي، إذ يساهم في تقديم المخرجات على هيئة نماذج مماثلة للواقع حتى تساهم في إشعار المستخدم كأنه مغموس بالواقع المحيط به. إن ذلك العالم سوف يمثّل بيئة ثلاثيّة الأبعاد تفاعلية لتصميم تجربة المستخدم User experience design.

د)- المشاركة الاجتماعية:

تشير المشاركة الاجتماعية بمفهوم النظريّة، إلى عمل جماعي مدني يتشاركه ويؤديه عدد كبير من الناس. وتتم المشاركة الاجتماعية في سياق المجتمع، حيث يشارك الأشخاص في الأنشطة الاجتماعية في العديد من الشبكات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية. ويتم تحديد أشكال المشاركة من خلال القضايا الناشئة داخل المجتمع، والمكان، وتشمل ثقافته ومعاييره وقيمه ومؤسساته.

يمكن تعريف المشاركة المجتمعية على أنها مشاركة الناس في المجتمع في المشاريع لحل مشاكلهم الخاصة. ومجالاتها هي:

1- الاتصالات الاجتماعية والأنشطة الاجتماعية،

2- العمل والدعم غير الرسمي،

3- الأنشطة الثقافية والأحداث العامة،

4- السياسة ووسائل الإعلام والاتصال.

وتلعب الثقافة، بناءعلى النظريّة، دورًا محوريًا في دعم وتعزيز جودة حياة الأفراد والمجتمعات ورفاههم. فإن الممارسات الثقافية هي وسائل رئيسية لتعزيز الإدراك وخلق ونقل وإعادة تفسير القيم، التي يعبر من خلالها الأفراد والمجتمعات عن المعاني التي يعطونها لحياتهم ولتنمية أنفسهم. وتشكل القيم والعادات والمعتقدات، طبيعة ونوعية العلاقات الاجتماعية، مما يؤثر على شعور الناس بالاندماج، وعلى قبول التنوع والاختلاف، وبالتالي على الثقة والتعاون.

تحدد مستويات المشاركة الاجتماعية ومستويات الترابط داخل المجتمع والشعور بالتضامن والتعاون، الطرق المتعددة الأبعاد التي تؤثّر بها الثقافة على الحفاظ على بيئة تمكينية وتعزيزها من أجل التقدم الاجتماعي والتنمية.

المشاركة الشعبية هي المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للبلد من قبل المواطنين. كما يمكن اعتبارها عملية لإشراك المواطنين في حكومة بلادهم وتحديد الأمور المهمة للدولة.

توفر المشاركة في الأنشطة الاجتماعية الدعم العاطفي والحيوية، وتعطي إحساسًا بالأهمية والمعنى والانتماء، وتساعد في تخفيف القلق من العزلة الاجتماعية.

ه)- خداع التواصل:

الخداع هو الترويج للاعتقاد بشيء غير حقيقي، أو جزء منه فقط حقيقة. وهواعتداء كبير في العلاقات، غالباً ما يؤدي إلى مشاعر الخيانة وعدم الثقة بين الشركاء، إذ يتوقع الناس عادة حد أدنى من الصدق من الآخرين، وإلا لما استطاعوا التعامل والتواصل في ما بينهم.

والخداع يمكن أن يكون تحريفاً احتيالياً متعمداً، فيشكل أساس التقاضي المدني ويؤدي إلى الملاحقة الجنائية والقانونية. ويمكن أن يتمثل في أشكال عديدة كالبروباغندا وخفة اليد، والإلهاء، والتمويه، والإخفاء، أو خداع النفس كما في سوء النية.

من أساليب الخداع الكذب، وهو يعني اختلاق أو إعطاء معلومات هي مختلفة عن الحقيقة. والمراوغة هو التصريح بقول غير مباشر، غامض أو متناقض. والكتمان هو حذف معلومات مهمة أو ذات صلة بالسياق، أو الانخراط في سلوك يساعد على إخفاء المعلومات ذات الصلة. أما المبالغة فهي التهويل أو تشويه

الحقيقة، والتهوين هو الحد أو التقليل من شأن الحقيقة.

وفي زمن الصورة والاتصال الالكتروني، غالباً ما نرى الأشياء عبر الصور والبرامج المختلفة، وهي في حقيقة الأمر تختلف تمامًا عما تبدو عليه، كما أنه في الكثير من الأحيان يشكّك الإنسان في نفسه وفي بصره ويظن أنه هو المخطئ وأن ما يرى هو الحقيقي، وهذا بالضبط ما يُعرف باسم الخداع البصري والذي يُعتبر أحد أهم أنواع الفنون الابتكارية والإبداعية. يُمكننا تعريف الخداع البصري على أنه قيام العين بتصوّر ومعالجة المعلومات التي تصل إليها بطريقة خاطئة، وهو أمر لا علاقة له مُطلقًا بالواقع، وهذا ما يجعل الإنسان يرى الأشياء على غير حقيقتها بل في كثير من الأحيان قد يُصاب الشخص بالوهم، وهذا يتم عبر مجموعة من الخدع والحيل من خلال تركيب مجموعة من المشاهد والصور بطريقة مُبتكرة ودقيقة تجعل من الصعب على العين أن تركّز في محتواها وتفهم حقيقتها. يتم الخداع من خلال الأشكال الهندسية، وخدع الألوان، ومختلف أساليب وتقنيات تركيب وفبركة الصوت والصور.

يمكن تجنّب الوقوع في شرك الخداع من خلال التَّربية الصحيحة على الأخلاق الفاضلة، والقناعة، والصحبة الصالحة، ووجود عقوبة رادعة للمخادع، وخصوصا من خلال تعليم النَّاس حقيقة الخِدَاع وتبيين صوره ليحذروه. من الأقوال المأثورة في الخداع قول مارك تواين: « لولا البلهاء لما حقق الآخرون أي نجاح»، وقول مكيافيلي: «لا يُخدع من يعلم أنه خدع»، ويقول أرسطو: «يسهل خداع الشباب لأنهم يستعجلون الأمل». (أنظر الرسم الرمزي المتاهة التواصل)

و)- هستيريا التواصل الاجتماعي:

يعبر مصطلح الهستيريا الجماعية Mass Hysteria بالنسبة لنا عن ظاهرة نفسية إجتماعية تتجسد فيها نفس الأعراض الهستيرية في أكثر من شخص واحد، وتساهم اليوم في حدوثها وسائل التواصل الاجتماعي. بالتالي هو يشير إلى مجموعة من من المشاكل والاضطرابات النفسية التي تشيع بين الناس كرد فعل على المقالات الإخبارية والأفلام والمحتوى الإعلامي الاتصالي.

من المفترض أن تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً إيجابياً في المجتمعات، بحيث تقرّب البعيد وتفتح آفاقا للمعرفة والتنور، وأن تكون منصات سهلة الإستخدام لجميع الأعمار. هي متاحة لأي كان وفي أي مكان وزمان، والناس يتشاركون ويتواصلون من خلالها، إلا أن الفارق هو في كيفية استخدامها، والضوابط الذاتية وحدها من شأنها أن تلزم بالسلوكيات الاتصالية بواسطتها. فمن غير المقبول نقل الأخبار والمعلومات من دون التحقق منها، أو

معرفة مصدرها الأساسي، ومن دون وعي أو حس بالوطنية والمسؤولية، لمجرد الاتصال والتسلية والنشر، أو النشر من دون تفكير لأقوال يتم تناقلها وكأنها مثبتة أو علمية موثوقة ودقيقة ولا تقبل الشك، وهي لأشخاص لا نعرفهم جيّدا.

نحن نتعرض لموجة غير مسبوقة من الأخبار المفبركة والإشاعات عبر منصات التواصل الاجتماعي الممنهجة التي تتسبب بحالة الهستيريا الجماعية التي نشهدها في الآونة الأخيرة، وهذه الأخبار تأتينا من كل صوب بزخم بشكل هستيري، وكأن الجبهات انفتحت على مصراعيها، حتى أن قنوات الرصد والتحليل باتت تحتاج لمنظومة معلوماتية دفاعية كاملة، لمواجهة هذا الكم الهائل من الأخبار الذي يصل من كل صوب.

ز)- الوعي:

الوعي هو في مفهومنا من أهم أسلحة العصر، فبه وحده ستتمكن الشعوب من مواجهة كل النوايا التي تستهدف الهيمنة عليها أو تفتيتها أو إضعافها أو حتى إلغاءها، وستتمكن من خلق ونشر ثقافة داعمة للمشاركة المجتمعية، ومن المساهمة في خدمة المجتمع، للارتقاء ورفع مستوى نوعية الحياة الإنسانية والبيئية. وذلك لا يمكن أن يحدث إلا بالتعاون التام بين المنظمات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، وجميع أعضاء المجتمع المحلى، وبنشر الوعى بثقافة الجودة، وبتنمية الإحساس بالانتماء للمجتمع. الوعي هو تلك العملية الذهنية التي تؤدي إلى التفكير العقلاني، والتخطيط الاجتماعي، وصولا إلى توحيد المجتمع حول المصلحة العليا.

ر)- الاستراتيجية:

مفهوم الاستراتيجية هو ذو دلالة عسكرية، إذ استُخدمت في الحروب القديمة من أجل وضع الخطط المناسبة للإعداد للحرب قبل وقوعها، أو من أجل حماية المعسكر، أو الدولة من أيّ هجوم محتمل. لذلك تمّ تصنيفها كفن من الفنون العسكرية، يساهم في الاستعداد لحالة الحرب. ومن تعريفات الاستراتيجية أنّها مجموعة من القواعد والمبادئ التي تساعد الأفراد على اتخاذ القرارات المناسبة، بناءً على مجموعة من الخطط الدقيقة، تهدف للوصول إلى تحقيق نتائج ناجحة. وتعرف أيضاً، بأنها الأفعال، والأساليب التي تسعى إلى تحقيق الأهداف المخطط لها، مع الأخذ بعين الاعتبار كافة العوامل التي تؤثر على إمكانية حدوثها، أو تطبيقها بشكل فعلي. لذلك من المهم الحرص على تعديل الاستراتيجيات المتبعة في حال عدم مناسبتها للأحداث الواقعية المرتبطة بها، وحتى لا تؤثّر على مسار تَحقيق الأهداف بأسلوب صحيح. (مجد خضر، 2016)

وتعتمد الاستراتيجية على وضع كافة الأهداف التي سيتم تحقيقها، وتُعتبر

المبدأ الأول من مبادئ الاستراتيجية، ثم الحرص على أن تتميّز الاستراتيجية بالمرونة، أي أن تكون سهلة التطبيق في بيئة العمل. وتعدّ الاستراتيجية وسيلةً من الوسائل المساندة لوظيفة التخطيط الإداري، ويجب أن تكون شاملة، ومتكاملة، أي أن لا تغفل أي جزء من أجزاء الخطة التي سيتمّ تنفيذها.

يعتمد التواصل الاجتماعي بالدرجة الأولى الاستراتيجية التوجيهية، وهي تعني توجيه الأفراد المُستهدفين منها للقيام بالوظائف والمهام التي تتناسب مع طبيعة خطة العمل، من خلال إقناع كل فرد بأنه قادرٌ على القيام بالمهمة الخاصة به، ضمن بيئة العمل التي يوجد فيها، ممّا يُساهم في تعزيز دور المشاركة في اتخاذ القرار بناءً على رأي كافة الأفراد المشاركين في استراتيجية العمل. أما الاستراتيجية الإدارية للتوصل الاجتماعي، فهي التي تعتمد على قوة الإدارة، أو السلطة المسؤولة عن العمل، ودورها في دعم وتوجيه الأفراد للقيام بالعمل بشكل صحيح. هي تضع مجموعة من التعليمات والقواعد التي تسعى لتحقيق وظيفتي التوجيه، والرقابة الإدارية على كيفية سير العمل بأسلوب مناسب، مع مراعاة وضع كافة الإجراءات في مسارها الصحيح.

2- فلسفة النظرية:

إن السؤال الذي تدعونا إليه «نظرية متاهة التواصل الاجتماعي في المجال العام» يطرح إشكالية فلسفية ميتافيزيقية أساسيّة: كيف يمكننا التفكير في الاتصال أو التواصل الاجتماعي انطلاقا من المتاهة؟ و بالمقابل كيف يمكننا التفكير في المتاهة انطلاقا من الاتصال؟ وهل يتم التواصل الاجتماعي كتيه في عمق العلاقات الانسانية، أم أنه يتأسس كتقدم نحو غايات، أي نحو اكتمال الاتصال؟ وهل يوجد أمل في اكتمال الاتصال المجتمعي في ظل النظام العالمي الجديد، أم للواقع دلالات كثيرة لاستحالة بلوغ المخرج ولضياع الاتصال الأكيد في المتاهة؟

الإشكالية مرتبطة بوضعنا الجديد داخل عالم أضحى من الهشاشة بحيث زالت الحدود والعوائق التي كانت تشكل سدودا يصعب اختراقها. صارت العلاقات وعمليات الاتصال تتم بدون رقابة، وكل شيء يتم إنجازه ونقله في اللحظة ذاتها في غياب تام للوصاية. من هنا تزداد الحميمية في الاتصال وتتغلف العلاقات بالكتمان والأسرار، بينما تحاول القوى المتحكمة بنظام الفضاء العام، تجريد العلاقات من طابعها السري، وهي لا تستهدف نزع السر وإنما الإستحواذ عليه. وقد أصبحت التقنية ذلك الوسيط الحتمي للتواصل الاجتماعي، وهو وضع جديد لوجود الإنسان.

هي حتمية «المتاهة التكنولوجية»، فلم يعد إثبات الوجود يرتكز على مقولة ديكارت Descartes «أنا أفكر إذا أنا موجود»، و إنما في منطق التقنية الجديدة

«أنا أتواصل، إذن أنا موجود». هي لحظة من تشميل الوجود، تختزل فيها التقنية العالم إلى أقصى درجة التناهي. هذا العالم الجديد الذي انفتحت فضاءاته، أصبح منغلقا داخل المتاهة. وبقدر ما يتقلص في الزمان والمكان، فهو يبدو محدودا أو عاريا، وتتسع فجواته. وتزداد رهاناته، و يتكاثر الفاعلون فيه، وتتشابك دروبه وتتعدد ممكناته إلى حدود اللاتناهي. هو التيه في المجال العام الجديد حيث تكتمل المعرفة بواسطة التقنية التي حوّلت العالم إلى نقطة محدودة باعتبارها المنطلق ولكنها ليست النهاية، وهو وضع جديد للتيه يلقي بالموجود داخل متاهة لا حدود لها.

من هنا، تنطلق النظرية من الفرضية الأساسية: لن تتحرر الذات الاتصالية من المتاهة، إلا إن تخلصت من الاحتواء التشميلي، وهذا يعني أن تؤسس لعلاقات مبنيّة على الأخلاقيات، وعلى الاقتراب من الآخر وليس على التملك أو الاحتياز. إن الاقتراب هو الطريقة التي نجعل بها من الاتصال إنفتاحا للتجربة الإنسانية، أي طريقة ابتكارية للخروج نحو الآخر، فحيثما يوجد آخر فهناك إمكانية قصوى للتخلص من تشميل المتاهة.

لقد مكّنتنا أبحاثنا من تحديد ثلاث اشكال لمفارقات التواصل الاجتماعي (الرهانات): مفارقات سلوكية وترتبط عادة بما يسمى بالإلزامات المفارقة Paradoxal Injections، ومفارقات لغوية أو سيمانتيقية حيث يتخذ الملفوظ دلالة متناقضة، ومفارقات منطقية أو تسمى رياضية (فكرية). هذا يعني أن المتناقضات حاضرة على مختلف المستويات: فكرية ولسانية وسلوكية. ولأن الأمر يتعلّق بفعالية الإنسان وبتفاعلاته، فإن فعله التواصلي يظل رهين المفارقات، كما أن رهانه سيتمثل في الحفاظ على تقاليد الحوار والتحاور وقبول الآخر المختلف.

وإذا ما حاولنا تشخيص الوضع التواصلي بناء على كل ما سبق، فإننا سنتوصل إلى مجموعة من الحقائق أهمها تعدد المعاني التي يحتويها مضمون رسالة ما، إذ إن كل معلومة تتوفر على مضمون ظاهر وآخر خفي. وقد أكدت الأبحاث السيميائية (بيرس Pearce، بارث Barthes، إيكو Eco) أن غموض المعنى يرجع إلى تعدد دلالات العلامات المستخدمة في عملية التواصل. وفي هذا الإطار، أكدت عمليات تحليل الحوار في مجال الإثنو-لسانيات أن تبادل العلاقات والرموز، يؤدي إلى سوء التفاهم وإلى تحويل المعنى المقصود.

وترتكز النظرية على الرهان المعياري، لأنه يتعلق بآفاق العلاقات الإنسانية، التي تتلخص في ضرورة بناء مجتمع حواري يوجهه مبدأ قبول الآخر المختلف. فالتواصل، وإن كان ينطلق من استراتيجية تأكيد الذات والتأثير في الآخر، إلا أنه يهدف في العمق إلى بناء ما يسميه هابرماس Habermas بـ «الفضاء العمومي»، كفضاء للعلاقات القائمة على الاختلاف والحوار، وسيادة

روح الديمقراطية والتسامح.

لذلك انطلقنا من نموذج المتاهة لنبني نموذجا آخر للتواصل، يعطي الأهمية الأولى للحوار والنقاش والتشاور بين جميع أفراد المجتمع، بهدف تحقيق المواطنة الصحيحة، مما سيؤدي إلى تبادلات أوسع، يتم فيها إعادة الاعتبار إلى الذات الفاعلة في الفضاء المجتمعي. في ضوء هذه المعطيات نتساءل: كيف يتحدد فعل التواصل في فلسفة الاتصال، وما هي رهانات هذه الفلسفة؟ وكيف يمكن لفلسفة التواصل أن تكون فضاءاً للحوار وللديمقراطية، وأن تحقق التعايش بين الحرية والضرورة؟ إن الأمر يتعلق هنا تحديداً بالحرية المتمثلة في ممارسة التفكير النقدي التساؤلي وبالضرورة المتمثلة في المؤسسة التربوية، والإلزامات البيداغوجية التي تطرحها فلسفة التواصل. إذ لا بد من التربية والتعليم على استخدام وسائل الإعلام والتواصل، فهل يمكن تعليم فلسفة التواصل للمتلقي، التي هي الأساس؟

ترتبط هذه الإشكالية بمسألة تبليغ فلسفة التواصل إلى المتلقي، وهي مسألة وإن كانت راهنة، إلا أنها تحيل إلى نقاشات فلسفية قديمة، برزت بالأخص مع أفلاطون ضمن مقولات النضج الفلسفي وسن التفلسف، واستمرت عبر تاريخ الفكر الفلسفي مع كانط، هيجل ونيتشه، وصولا إلى شاتلي، دولوز ودريدا. وقد أثيرت في إطارها علاقة الفلسفة بالمؤسسة التربوية، كإنتاج للمعارف وللحقائق، وأيضا علاقة حرية الفرد في التفكير وفي إصدار الأحكام والقرارات المصيرية. إن تعلم التفكير وممارسته، ليس تعلما لمحتويات أو لأنساق، بل إنه استعمال نقدي للعقل، وتجاوز لكل الصيغ الدوغماتية التي أسسها العقل نفسه. وهذا الاستعمال النقدي للعقل هو حوار، وباعتباره كذلك، فإنه يحدد الفضاء المؤسساتي للتفلسف كمكان للصراع الفكري وليس أبدا كمكان للحرب أو العنف. ولا يسمح هذا التحديد بوضع تصور دقيق حول ما يجب أن يكون عليه تدريس الفلسفة، فهو يشير فقط إلى ضرورة الاستعمال الحر للعقل النقدي وإلى فهم الممارسة الفلسفية كتفلسف. وهو ما دفع كانط إلى إقرار الصيغة المشهورة: «لا يمكننا أن نتعلم الفلسفة بل يمكننا أن نتعلم التفلسف».(E.Kant, 1985)

ويمكن للمتمعن في هذه الصيغة أن يخرج بملاحظتين أساسيتين: أولاهما أن كانط يميّز بين التفلسف كفعالية عقلية والفلسفة كمعرفة. وهذا معناه أن درس الفلسفة هو المجال الذي يمكن فيه الانفتاح على الشأن الإنساني، أي على كل ما له صلة بالفعالية الإنسانيّة: اجتماعيّا وسياسيّا وثقافيّا وفكريّا.

من جهة ثانية، الحداثة هي إقرار للتعدد والاختلاف ورفض للتجانس والتماهي والخضوع، ولذلك فإن مفاهيم الذاتية والفردية والحرية، تشكل العدة التي نفتخر بها المجتمعات الحديثة، حيث تعبّر العلاقات الاجتماعية عن حرية

الأفراد واستقلالهم الذاتي. وكما يؤكد ألان تورين Alain Touraine فإن «الفرد مواطن بسبب وجوده الفردي الحر، مثلما أنه حر بسبب المواطنة التي يتمتع بها». (A.Touraine, 2001) من هذا المنطلق، يمكن اعتبار فلسفة التواصل مجالا لتجلي الفكر الحداثي، لأنها تنبني على الاعتراف بتعدد المواقف والرؤى، وتستند على مبدأ الإنصات والتحاور مع الآخر وعلى المساءلة والنقد، أي أنها تقوم على ما يدعوه كانط بـ«الحرية العقلية» التي لا يمكن للفلسفة أن توجد بدونها.

ولأن التفلسف في التواصل هو بمثابة ممارسة نقدية، فهو يستدعي خوض غمار المساءلة والدخول في معترك الأسئلة، عبر تتبع مسارات الفكر الذي ينادينا ويدعونا للقيام بفعل التفكير، فهو إذن «دعوة للابتكار والخلق ولخلخلة الثوابت والبديهيات والمطلقات وتفكيكها من الداخل. فعبر عملية التفكيك، تصبح كل القضايا عرضة للمساءلة والنقد والحوار»(Jacques Derrida, 1992)، وهذا هو الهدف الأساسي من كل ممارسة فلسفية.

ولأننا اخترنا الفلسفة نهجا للتواصل الاجتماعي، ولأن الفلسفة اختارت هذا المسار منهجا، فإنها تلزمنا بخلق فضاء حواري قائم على الاستفهام والاستشكال، بغية بعث روح النقد والمساءلة لدى متلقي المعرفة الفلسفية في التواصل واصوله. وبطبيعة الحال، فإن ذلك يستوجب توفر فضاء إجتماعي مبني على الحرية واحترام الآراء المعارضة والمغايرة وإمكانية الإبداع. إذ لا يمكن الحديث عن حرية الرأي والتعبير، دون ربطها بوضع الحريات بمختلف مؤسسات المجتمع ومن ضمنها المؤسسات التعليمية. وبذلك سيصبح رهان الفلسفة مجتمعياً وسياسياً وثقافياً. إنه رهان العقلانية والحداثة والحق في الاختلاف.

3- عناصر نظرية متاهة التواصل الاجتماعي:

تتكون النظرية من أربعة عناصر أساسية:

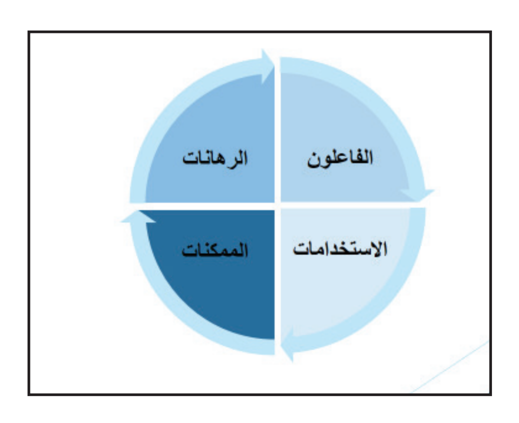
1) **الاستخدامات،**

2) **الرهانات،**

3) **الممكنات،**

4) **الفاعلون.**

إختصرناها في الرسم البياني التالي:



مكونات متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام

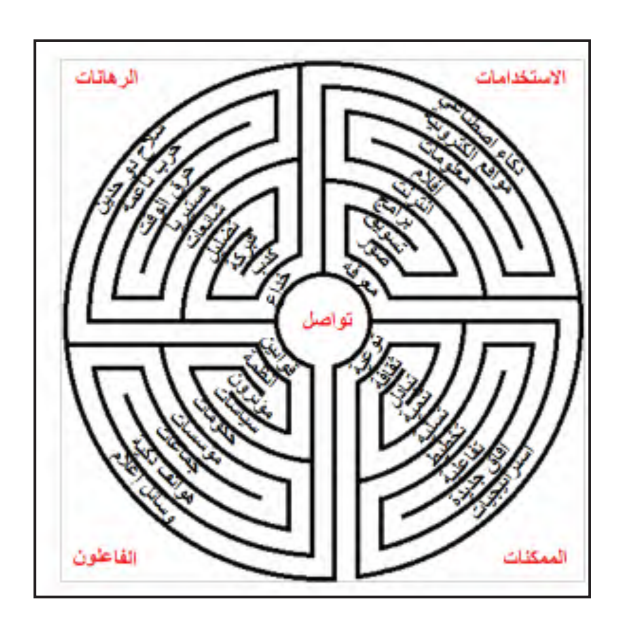
1- الاستخدامات	2- الرهانات	3- الممكنات	4- الفاعلون
بحث	حرب ناعمة	استراتيجيات	أنظمة
معلومات	سلاح ذو حدين	قوانين	وسائل إعلام
دردشات	شائعات	ذكاء اصطناعي	انترنت
أفلام	كذب	معرفة	هواتف ذكية
أخبار	تضليل	تسلية	حكومات
مشاركات	قلق	تفاعلية	سياسات
برامج	خوف	لايف ستايل	جماعات
لايكات	تدمير	ثقافة	مؤثرون
تسويق	إثارة	توعية	مؤسسات
ثقافة	عنف	تنمية	أفراد

عناصر نموذج نظرية متاهة التواصل الاجتماعي

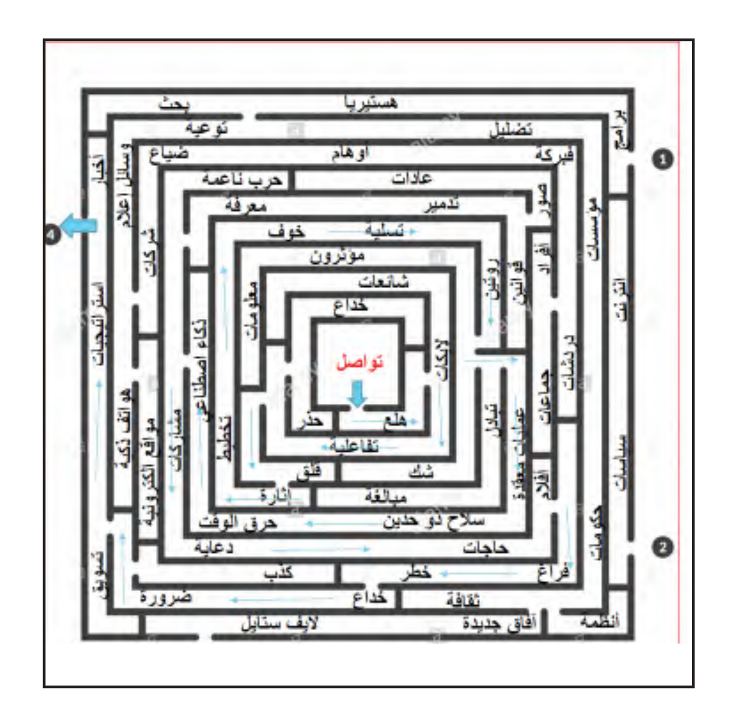
رابعا: نموذج نظرية متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام

أ- العناصر المتكاملة للمتاهة المعقّدة:

في هذه المتاهة المعقدة رتّبنا عناصر العملية التواصالية كلها، ويتبيّن كم من عوامل تتداخل فيها لتجعل عملية الخروج صعبة وشبه مستحيلة من دون تأثر وتأثير. وتتراوح العناصر ما بين الكلمات التي تعبر عن المفارقات والتناقضات، والرهانات التي تواجه عمليات التواصل، وعاموديا معظم الأطراف المشاركة في الاتصال الدولي وعمليات التواصل الاجتماعي والمجتمعي والممكنات أمامها. وبهذا النموذج، باستكماله بكل عنصر جديد، يمكن تحليل العوامل المؤثرة على العمليات الاتصالية من نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية وغيرها. هي متاهة تحتوي كل النظريات التي سبقتها وتنتظر جهود الباحثين لنكتمل أو تتطور. (أنظر شكل متاهة التواصل الاجتماعي المثالي 1 والنموذج المدمج 2).



شكل نموذج متاهة التواصل الاجتماعي(1)



شكل النموذج المدمج لمتاهة التواصل الاجتماعي(2)

ج)- الأسس العملية للنظرية:

يشهد العالم اليوم لحظة تاريخية جديدة حاسمة للإنسان، وقد حضَّرته تجربة وباء كورونا للوعي بالعيوب العميقة للبشرية، وبالاختلالات البارزة في النظامين الاقتصادي والاجتماعي العالميين، ليتمكن من استبداله بنظام عالمي إنساني يسمح للبشرية بالبقاء.

لقد لقنت أزمة فيروس كورونا البشرية درسا لا ينسى، وحان الوقت للنظر في الجذور التي أدت إلى أزمة كهذه، وللتحضير للمرحلة المقبلة التي ربما تكون أسوأ مما نواجهه اليوم. ففي الوقت الذي تزداد فيه المسافة الاجتماعية من جراء العزل المنزلي والحجر الصحي والتباعد الاجتماعي بين ملايين البشر في البلد الواحد، أو بين مليارات الأشخاص عبر العالم، لا يمكننا إلا تطبيق نظرية متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام، من خلال استخدام وسائل التواصل بحيث تؤدي إلى خلق حركة اجتماعية عالمية نشطة تواجه ما نعيشه اليوم، أو ما هو مقبل وقريب جداً من تهديدات وجودية.

بقد بدأت العزلة الاجتماعية قبل كورونا بكثير، وقد تسبب بها الاستخدام

المفرط للهواتف الذكية المرتبطة بالإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي ومختلف خدمات تكنولوجيا المعلومات لا سيما بين أوساط الشباب. لكن وسائل التواصل الاجتماعي هي في نفس الوقت المخرج والوسيلة إذا أحسن استخدامها لتنظيم الصفوف والتضامن الاجتماعي، لخلق حركة اجتماعية واسعة النطاق، إن تمكن الناس من استخدام هذه التقنيات استخداماً واعيا في زمن العزل المنزلي والتباعد الاجتماعي، للانضمام والاستقطاب والتعاون والتنسيق والتشاور المتعمد، على الرغم من بعض العوائق التقنية والسياسية لاستخدام شبكة الانترنت في العالم.

نظرية متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام Social Communication Maze in Public Space مبنية على مبدأ التفاعل المباشر بين المرسل والمتلقي وتعطي الجمهور الدور الأساسي في الإعلام والاتصال، ومن هنا فسلوكيات الجمهور، ودرجة وعيه وانضباطه، هي الأساس في عمليات الاتصال المجتمعي، وبالتالي في حركة المجتمع ككل.

بالتالي ترتبط شروط تحقق النظرية بأخلاقيات أطراف التواصل، من مرسل ومتلقي ووسيط أو وسطاء بينها. وبناء على النظرية، عملية التواصل هي متكاملة وكل الأطراف المشاركة تلعب دورا في تحديد مخارج ونتائج التواصل. وبالتالي لا تخضع عملية التواصل الاجتماعية، بحسب النظرية، لأي سيطرة مركزية، وللأفراد والجماعات الحق المطلق للوصول إلى وسائل الإعلام والاتصال واستخدامها.

ويشارك المواطن بواسطة التواصل الاجتماعي، بوعي كبير للمصلحة العامة للمجتمع، في صناعة الإعلام التي لم تعد حكرا على مالكي وسائل الإعلام. تعتمد النظرية على مبدأ التحرر من وهم الاحزاب السياسية والنظام البرلماني الديمقراطي، وقد أظهرت تجارب الدول هذا النظام قد بدأ ينفصل عن جذوره وأنه يعيق المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، بدلا من ان يدعمها ويسهّلها.

ومن مجالات تطبيق النظرية، المجال السياسي بحيث يساهم الوعي بالتواصل في تلبية الاحتياجات ومصالح وآمال جمهور متلق نشط، وفي رفضه لمركزية وسائل الإعلام والاتصال، أو السيطرة الحكومية عليها. وفي المجال الاجتماعي تشجع النظرية التعددية المحلية، والتفاعل بين المرسل والمستقبل، والاتصال الافقي الذي يشمل كل مستويات المجتمع. وتشجع إهتمام وسائل الإعلام بصورة أكبر بالحياة الاجتماعية، وتخضع لسيطرة مباشرة من جمهورها.

وتكمن شروط الاستفادة من النظرية في ما يلي:

1- وجود تعددية اجتماعية وثقافية واضحة في المجتمع، ومستوى معرفي وثقافي متطور.

2- حاجة المجتمع للاتصال الافقي الواسع بين قطاعاته وشرائحه المختلفة، لتعزيز روح المواطنة والوحدة الوطنية وفتح قنوات جماهيرية للحوار بعيدا عن اية وصاية سياسية.

3- مشاركة المتلقين بعملية صنع القرارات، وتحديد السياسات الاعلامية، وعدم ترك هذه المهمة للمهنيين فقط لخطورتها وتأثيرها على الرأي العام.

4- تنمية دور الأسرة في المجتمع في متابعة ومراقبة استخدامات الأبناء، وفي التربية والتوعية وترسيخ مفاهيم المشاركة المجتمعية الواعية.

5- وجود دور فعال لمؤسسات المجتمع المدني في التوعية على استخدام وسائل التواصل، وفي التكوين الاعلامي والتربية والتوجيه، والتغيير الاجتماعي.

6- وجود دور فعال للمؤسسات الحكومية في الرقابة والمتابعة لما ينشر ويعرض للمحافظة على المنظومة القيمية والاخلاقية للمجتمع، وهذا يتطلب مشاركة مجتمعية شاملة، وشراكة بين المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني ومؤسساته.

د)- أين يكمن حل المتاهة؟

بعد أن توضحت لدينا عناصر المتاهة، والمفارقات والامكانات وهوية اللاعبين والفاعلين في المتاهة، يبقى أن نطرح سؤال أين يكمن الحل؟ الإحتمالات كثيرة، والمتاهة، كما رأينا، شبكة معقدة من الممرات التي يتعين على المرء من خلالها إيجاد الطريق المناسب لحلها.

بناء على أعمال جيمس أولدز James Olds، عالم الأعصاب ومدير معهد كراسنو Krasnow للدراسات المتقدمة في جامعة جورج ميسون George Masonفي فيرفاكس Fairfax، فيرجينيا Virginia، يمكننا إلقاء بعض الضوء على علم حل المتاهات. فالمتاهة هي شيء ينشئه بشر آخرون، ويمثّل تحديًا لأحد أهم مهاراتنا: القدرة على إنشاء خريطة إدراكية مركزية لبيئتنا والتنقل عبر تلك الخريطة المعرفية. وهنا بالذات يكمن رهان متاهة التواصل الاجتماعي، وهو مرتبط بنشاط ״الحصين״ أو ما يسمى ب «قرن آمون».

الحُصين Hippocampus، هو عضو بالغ الأهمية لحل المتاهة، وهو يقع على سطح للدماغ. إنه بنية عميقة، لذا فهو ليس على السطح المجعّد الذي نعرفه، أي القشرة الدماغيّة، وإنه في الواقع فقط داخل القشرة الدماغية. الحصين هو جزء أقدم من الدماغ، وهو الذي يسمح لنا بفهم بيئتنا، ووضع معالم مختلفة في مكانها. هو بنية حاسمة من أجل اختزان الذاكرة ومن أجل التمثيل الحيزي للبيئة المادية. وهو لدى النساء أكبر منه لدى الرجال.

وقد أظهرت دراسات أُجريت في كل من جامعة ولاية أريزونا وجامعة ستانفورد أن الحصين يزوّد مناطق الدماغ بالمعلومات أثناء التعلم. فكما هو الحال عند سيلان لعاب الكلاب في تجربة بافلوف عند سماع الجرس، يتعلم البشر إنشاء روابط مع محيطهم وما يحدث فيه. وقد حلل باحثون من جامعة ولاية أريزونا وجامعة ستانفورد أنماطًا لنشاط الدماغ عند البشر، واكتشفوا دورًا لمنطقة الحصين لم يكن معروفًا من قبل، وذلك بإنشائه روابط أثناء التعلم بالإضافة لدوره الهام في الذاكرة. وهذه الروابط ذات تأثير كبير على السلوك، لكن، في العالم الحقيقي، الأحداث والأشياء تُحدد بأكثر من عنصر واحد أو مجموعة عناصر. وللكشف عن طريقة تعامل الدماغ مع مشكلة بناء روابط مرتكزة على المعلومات المعقدة المأخوذة من العالم الحقيقي، ركز فريق من الباحثين على بنية صغيرة في الدماغ تشبه قوقعة الحلزون هو ما يسمى بالحصين أو قرن آمون.

تم استخدام المتاهات في البحث العلمي لسنوات، في المقام الأول في الدراسات مع القوارض. أشهر متاهة للفئران هذه الأيام، خاصة في التعامل مع الحصين، تسمى متاهة موريس المائية. إنه في الأساس حوض سباحة دائري مملوء بالماء، مع منصة خفية تسمح للحيوان بالهروب. عندما يشغل القوارض حصينه، فإنه يتحول في الواقع من نوع من الاستراتيجية العشوائية للنظر في المنصة المخفية إلى السباحة مباشرة إلى المنصة المخفية بغض النظر عن مكان وضعها في حوض السباحة.

فماذا عن المتاهة البشرية؟

يوجد اليوم في العالم مختبرات متخصصة في علم المتاهة، تحاول دراسة العقول بواسطة أجهزة مسح الدماغ. ويقول العلماء أنه يمكن للبشر حل المتاهات باستخدام عدد من الاستراتيجيات. تتمثل إحدى هذه الإستراتيجيات في ملاحظة الإشارات البيئية (مثل موقع النجوم ليلاً)، أو استخدام تلميح بارز (مثل كرة حمراء كبيرة معلقة مباشرة على مربع الهدف) أو، في متاهات معينة، يمكن تطبيق استراتيجية بسيطة للغاية مثل أخذ المنعطفات اليمنى فقط.

هذا يعني أنه يمكن للباحثين الآن إعادة بناء ما نراه في أذهاننا عندما نتصفح، وشرح كيف نخطئ في الاتجاهات. ويساعدنا الدماغ على التنقل من خلال توليد وترشيد وتحليل كميات كبيرة من المعلومات. على سبيل المثال، تساعدنا هذه الوظيفة الفطرية الشبيهة بنظام تحديد المواقع العالمي (GPS)، في العثور على طريقنا في المدن، أو اتباع التوجيهات إلى وجهة معينة، أو الذهاب إلى مطعم معين لإشباع الرغبة الشديدة.

والدماغ يبقى متأهبا، ناقدا وموجها في المتاهة، فعندما يحاول الناس الانتقال من

مكان إلى آخر، لا بد وأن يتجاوزوا الأفكار المسبقة، لأنهم عادة يتوقعون المشهد القادم في أذهانهم. لذلك يحاول العلماء فك شفرة الاعتقاد المسبق في الدماغ، لأنه أمر بالغ الأهمية للتنقل المكاني.

باستخدام متاهات ثلاثية الأبعاد افتراضية، جنبًا إلى جنب مع التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (FMRI) ، درس الباحثون ما إذا كان يمكن تمثيل التصورات المسبقة للشخص في نشاط الدماغ. وتم توجيه المشاركين من خلال كل متاهة، وحفظ سلسلة من المشاهد من خلال تلقي الاتجاهات لكل خطوة. ثم، أثناء التصوير باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي، طُلب منهم التنقل عبر المتاهة عن طريق اختيار المشهد القادم من خيارين. على النقيض من الأساليب في الدراسات السابقة، ركز الباحثون على أسس التوقع والتنبؤ، والعمليات المعرفية الحاسمة في صنع القرار اليومي. قام 12 جهازا من أجهزة فك التشفير بفك تشفير نشاط الدماغ من عمليات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي عن طريق ربط الإشارات بمتغيرات الإخراج. وتمكنوا في نهاية المطاف من إعادة بناء المشهد الذي صوره المشاركون في أذهانهم أثناء تقدمهم في المتاهة.

إكتشفوا أيضًا أن الشعور الإنساني بالموضوعية قد يتغلب عليه أحيانًا القرار أو الموقف المسبق، والذي يتضمن التحيزات الناشئة عن الإشارات الخارجية والمعرفة السابقة. وقال كبير المؤلفين شين إيشي Shin Ishii : «وجدنا أن أنماط النشاط في المناطق الجدارية تعكس توقعات المشاركين حتى عندما يكونوا مخطئين ، مما يدل على أن الاعتقاد الذاتي يمكن أن يتجاوز الواقع الموضوعي». يأمل Ishii أن تسهم البحوث في تطوير أدوات اتصال جديدة تستفيد من نشاط الدماغ. «هناك الكثير من الأشياء التي لا يمكن إيصالها بالكلمات واللغة فقط. نظرًا لأننا تمكنا من فك رموز التوقعات الافتراضية سواء كانت صحيحة أو خاطئة، فقد يساهم ذلك في تطوير نوع جديد من الأدوات التي تسمح للأشخاص بالتواصل. لذلك نحتاج الآن لأن نكون قادرين على فك رموز المشاهد الأكثر تعقيدًا من المتاهات البسيطة.»(Shin Ishii, 2018)

الخاتمة العامة

لقد هز وباء «كورونا» بعمق الركيزتين النظاميتين الرئيسيتين، أي الاقتصاد العالمي والأمن الدولي. ويمكن أن تؤثر هاتان الركيزتان بشكل مباشر على شكل مستقبل النظام الدولي. إذ يبدو أن ما سيحدث من الآن فصاعدا سيتحول إلى عملية تحمّل لجميع الجهات الفاعلة، وسيتم إجراء اختبار التحمل الأول على الاقتصاد الوطني لكل دولة. ولن يكون لدى البلدان ذات الاقتصاد القوي مخاوف مالية بشأن ما يجب فعله ضد الوباء، ولكن التقلبات التي ستظهر في الاقتصاد العالمي ستؤثر في نهاية المطاف على القوى الاقتصادية الكبرى.

لقد شكّل فيروس «كورونا» أزمة صحية غير مسبوقة في التاريخ السياسي الحديث، ووضع دول العالم امام اختبار كبير، وأمام تحديات لها تداعياتها على العلاقات الدولية التي حكمت معظم دول العالم. وهناك مؤشرات كثيرة تدل على بدء التغير في المواقف الدولية، وعلى قرب انهيار المنظومة الدولية، وبالتالي على طبيعة وشكل وحجم العلاقات الدولية لما بعد «كورونا». وتوقع المراقبون أن تكون عناوين المرحلة ما بعد «الكورونا» الانكفاء القومي، والعزلة الاستراتيجية، والانطواء الاقتصادي. والأقوياء برأي المراقبين هم من سيسجلون لأنفسهم مكانا في التاريخ، وهم الراسمون الحقيقيون لملامح العالم القادم، وهم المؤثرون على المسارات الهامة التي ستتشكل هوية العالم لما بعد كورونا. وفيما تؤسس الولايات المتحدة الامريكية للعزلة والانكفاء، تفرض الصين نفسها كقوة عالمية بديلة عن هذا العجز والفشل الأمريكي، وقد ينتقل مركز العولمة والقيادة للعالم من الولايات المتحدة الامريكية إلى الصين.

الحرب هذه المرة هي من نوع مختلف، يشارك فيها العالم كله، وسيعاني من تأثيراتها العالم كله، خاصة على المستوى الاقتصادى. لكن ربما تكون لها انعكاسات اجتماعية مفيدة، إذا استفادت الشعوب من العادات الجديدة التى فرضتها «الكورونا» عليها.

تحدّث المفكّر توماس هوبز Thomas Hobbes عن ذئبية الإنسان، ووصوله إلى مراحل غريبة من التوحّش، وها هو «توحش» الإنسان ينعكس على سلوك وتصرّفات الدول وقادتها، ويشكّل جوهر العلاقات الدولية. من هنا، فإن تصرف الدول في الأزمات الحادّة العالميّة المعاصرة، كتلك الناتجة عن انتشار فيروس الكورونا، قد أكّد توظيف هذا المرض الخطير في أسهم البورصات السياسية، الأمر الذي يعدّ مصدر قلق كبير لزيادة الكراهية بين الدول والناس. لقد تحوّل الوباء إلى إيديولوجيا في عالم العلاقات الدولية، ويبقى من المهم ملاحظة عملية

التوظيف السياسي في طريقة التعاطي، والمعالجة العالمية لهذا التحدّي الكبير.

كذلك في هذه الأزمة العالمية، انتشرت الأكاذيب والأخبار المضللة والشائعات، فى ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعى التى تسمح لكل من يملك هاتفًا ذكيًا متصلاً بالشبكة العنكبوتية أن يطلق نظريّاته الخارقة لتفسير الأحداث. وأمام التهامس التآمري الجارف في العقل السياسي، بحثاً وتنقيباً عن تفسير واضح لتحليل ما يحصل في عالمنا الموبوء، مع انتشار فيروس «كورونا» المستجد، أقل ما يمكن قوله إنه يهدّد بتقويض منازل القوة، ويعمّم حالة الفوضى في العلاقات الدولية، وقد استثمر كبضاعة في البورصات السياسية، مما يعني أنه سوف تكون له آثار جيوسياسية عالمية مهمة.

من جهة ثانية، تعاني وسائل الإعلام والاتصال في هذه الأيام من نقطة ضعف خطيرة هي كثرتها وفيضانها، وهي تتولى يومياً بث وترويج سيول من المعلومات والصور والأفكار، تصل لدرجة الفوضى في خيارات المشاهدين أو المتصفحين. وهذا الأمر يتطابق مع المعادلة الرياضية: كثرة العرض تؤدي إلى نـدرة الإنتبـــاه والتركيز. لذلك، في أزمة خطيرة كأزمة «كورونا»، يتوجب على الإعلاميين اللجوء إلى وكالات الصحة الإقليمية ووكالة الصحة العامة الكندية «فاك» PHAC للحصول على معلومات ونصائح موثوقة ودقيقة. وتعمل PHAC مع منظمة الصحة العالمية لرصد الوضع وتقديم التوجيه للناس وفقًا للمراكز الأميركية لمكافحة الأمراض والوقاية منها.

ماذا سيخرج من هذه المحنة الكوكبية؟ أشار جاك أتالي Jacques Attali إلى كيفية قلب الأوراق عندما تكون الحوكمة العالمية من قبل «الأوليغارشية النيوليبرالية» موضع شك، وكشف عن بعض الأوهام العميقة لعالم الأوليغارشية. برأيه، حيث فشل الانهيار المالي حتى الآن، يمكن أن يؤدي وباء صغير جديد إلى تحفيز قادتنا على قبول إنشاء حكومة عالمية. ويعلمنا التاريخ أن الإنسانية لا تتطور بشكل ملحوظ إلا عندما تكون خائفة حقًا. لقد انتقلنا في بضعة قرون من سلطة قائمة على الإيمان، إلى سلطة قائمة على احترام القوة، ثم إلى سلطة أكثر فعالية، قائمة على احترام سيادة القانون. وفي كل مرة يدمر فيها الوباء قارة، يسقط نظام المعتقدات والسيطرة، الذي فشل في منع وفاة عدد لا يحصى من الناس، وينتقم الناجون من أسيادهم، مما يزعزع العلاقة بالسلطة.

إذا فشلت الأنظمة الغربية، يمكننا أن نرى إنشاء ليس فقط أنظمة مراقبة استبدادية فعالة للغاية باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، ولكن أيضًا أنظمة تخصيص الموارد الاستبدادية. والدرس الجديد من الأزمة هو أن الرغبة في الحياة هي الأقوى دائمًا، وفي النهاية، يقاوم البشر كل ما يمنعهم من الاستمتاع باللحظات النادرة في مرورهم على الأرض. وعندما يزول الوباء، هل سنرى

ولادة شرعية جديدة للسلطة، وهل ستكون السلطة السياسية لأولئك الذين يمكنهم إظهار التعاطف الأكبر مع الآخرين، والقطاعات الاقتصادية الأهم: الصحة، الشؤون الاجتماعية، الغذاء، التعليم، البيئة؟...

ومن خلال الاعتماد على الشبكات الكبيرة لإنتاج وتداول الطاقة والمعلومات اللازمة، هل سنتوقف بشكل محموم عن شراء أشياء غير ضرورية ونعود إلى الأساسيات، وهي الاستفادة القصوى من وقتنا على هذا الكوكب، والذي تعلمنا أن ندرك أنه نادر وثمين؟

دورنا هو جعل هذا الانتقال سلسًا قدر الإمكان. وكلّما أسرعنا في تنفيذ هذه الاستراتيجية، كلّما تخلصنا بسرعة من هذا الوباء، ومن الأزمة الاقتصادية الرهيبة التي ستتبعه.

عندما ينتشر الخداع ويصبح حالة عامة، ينشأ جو هستيري محموم بعيد تماماً عن المعقول، يؤدي إلى إضعاف قدرة الجمهور على التمييز بين درجات الأهمية للأخبار. وبدلا من أن تساهم وسائل الإعلام والاتصال في تركيز الإدراك وبلورة المعنى، نجدها تتداول خطابا يميل للإقرار الضمني بعدم القدرة على التعامل مع الأحداث. وهكذا يبقى الجمهور في دوامة من الأخبار المتدفقة والإغراق، ولا يجد فسحة للتأمل والتفكير والتحليل. هذه هي المتاهة التي أردنا توضيح مختلف جوانبها وعناصرها في هذا الكتاب، بهدف الوصول إلى تحديد الرهانات والممكنات.

تحتاج دول المنطقة اليوم الى البحث عن خيار آخر يحقق أهدافها غير القوة الصلبة، وربما يجلب السلام المفقود فيما بينها، وهنا تبرز أهمية التوظيف الفعّال للثقافة. فمن المفترض أن تكون سياسات التعليم متقدمة على مستوى الكم ومستوى النوع، ولكن أي سياسة تعليمية مؤثرة لن يكتب لها النجاح ما لم تلبي حاجات المجتمع السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والفكرية، والتعليمية. الجامعة عليها أن تستجيب لحاجات المجتمع أكثر مما تستجيب لحاجات الدولة الرسمية، كذلك لابد من الاهتمام بجودة وكفاءة عملية البحث العلمي عند وضع أي سياسة تعليمية مؤثرة، من خلال الاهتمام بدوائر البحث العلمي عموما، وبمراكز البحث والتفكير بشكل خاص. هذه المؤسسات تعد من أهم ادوات القوة الناعمة، ورافد مهم لصانع القرار، وتأتي قوة مراكز التفكير وصلابتها من خلال ما تتمتع به من سمات مميّزة.

اما بالنسبة للسياسات الخارجية، فمن الأفضل التذكير بأن القوة الناعمة تعتمد على عملية الجاذبية وليس على القوة العسكرية أو الرشاوى، وأنها تعتمد جزئياً على كيفية قيامنا بوضع إطار لأهدافنا ذاتها. فالسياسات القائمة على تحديدات

شاملة وبعيدة النظر في المصالح الوطنية يسهّل جعلها جذابة للآخرين أكثر من السياسة ذات المنظور الضيق. وبالمثل فإن السياسات التي تعبر عن قيم مهمة يزيد احتمال جاذبيتها عندما تكون القيم مشتركة. وأي سياسة خارجية ناجحة هي تلك التي تقوم على كسب الأصدقاء والحلفاء في الميدان الدولي.

لا بد من التأكيد على حقيقة مهمة هي أن التوظيف الاستراتيجي للقوة الناعمة من قبل دول الشرق الاوسط لن يكتب له النجاح بدون تعزيز قوة القيم والمثل والسياسات وانظمة الحكم المحلية فيها، فميزة هذه القوة أنها تنطلق من قوة الداخل. وترتكز فعالية وسائل الإعلام والاتصال ومعظم مواردها على كيفية تعامل الجمهور وطريقة استجابته لها، فالإنسان هو القيمة الحقيقية الصافية التي تصاغ على أعتابها كافة الإستراتيجيات.

من جانب آخر، يمكن للقوة الناعمة الثقافية أن تلعب دوراً كبيراً في احتواء مظاهر التطرف والإرهاب، الفكري والسلوكي، ومحاصرة الحركات والتنظيمات المتطرفة، عندما يكون خطابها الثقافي أكثر اعتدالا واقناعا، وأقرب الى فهم الناس ومستواهم الفكري. فالتطرف في الشرق الأوسط اليوم جزء من مغذياته الرئيسة يكمن في الفراغ الثقافي الذي استطاعت ملئه التنظيمات المتطرفة، وهذا الفراغ لا يقل تأثيره عن تأثير السياسات الحكومية الفاشلة التي لم تستطع استيعاب جميع مواطني الدولة، ولم تنجح في حل مشاكلهم الرئيسة المرتبطة بالتعليم، والفقر، والحرية، والحاجات الرئيسة والجمالية.

واليوم، لا بد من اشتراك الشعوب في إيصال صورة مغايرة إلى العالم، وهذا يمكن أن يتم من خلال التأثير الثقافي الواسع، مما يتطلب إعادة دراسة لطبيعة المنتج الثقافي الحالي، ومعرفة كيف يتم تغييره ليعطي انطباعا مؤثراً في الخارج.

كما ان تطور وسائل الإعلام واستقلاليتها يعدّ آلية مهمة من آليات القوة الناعمة الثقافية لنشر قيم المجتمع وخلق جاذبية عالية له، للتأثير في الرأي العام العالمي من اجل تحقيق اهداف الدولة. وقد فطنت الى هذه الحقيقة كل الدول التي تريد لها دوراً فاعلاً في العلاقات الدولية. ودول الشرق الأوسط هي بحاجة أيضا إلى أن تفطن اليها، فتعمل على توفير البنية المناسبة لإعلام ناجح مهني ومؤثر، غير مسيطر عليه من الحكومات، وغير متورط في إثارة مشاعر التطرف والكراهية.

لذلك تحتاج دول الشرق الأوسط بشكل عام، إلى تطوير قدراتها الناعمة، لتجنّب تعرضها إلى اهتزازات مستمرة، تدفعها إلى حالة عدم استقرار دائمة تتسبّب في إعادة تشكيلها بما لا يتوافق ومصالح شعوبها، لا سيّما مع الانفتاح الذي خلقته تحديات العولمة بمختلف أشكالها، وما تنطوي عليه هذه التحديات من اندفاع تلقائي او متعمد لثقافات وأيديولوجيات وسياسات قد تهدد احيانا الأمن

القومي للدول. وأي تجاهل لتأثير القوة الناعمة في السياسة الدولية مع استمرار الافراط في التركيز على دور القوة الصلبة، سيقود المنطقة إلى نتائج كارثية بعيدة المدى على الصعيدين الداخلي والخارجي.

يواجه الشرق الأوسط تحديات خطيرة، ويمرّ بتغيرات حقيقية، بعضها ناجم عن عوامل إقليميّة ذاتية، وبعضها الآخر ناجم عن التفاعل مع التطورات المعقدة والمتشابكة والعميقة الحاصلة في الميدان الدولي. وإزاء هذا الوضع الحرج بات من الضروري إعادة النظر في الاستراتيجيات والسياسات القديمة التي اثبتت فشلها، على ان يكون هناك استعداد لتبنّي استراتيجيات وسياسات جديدة تنسجم مع حاجات الشعوب، وحجم التحديات التي تواجهها، وسيكون الجمع بين قوة صلبة عاقلة، وقوة ناعمة جاذبة أحد الخيارات الذكيّة الصحيحة لرسم معالم الطريق نحو مستقبل أفضل لحكومات وشعوب المنطقة.

لقد أثبتت أزمة كورونا أنّنا بحاجة إلى أن نكون على دراية أكثر بأفعالنا عبر الإنترنت. فوسائل التواصل الاجتماعي مناسبة تمامًا للتعبير عن الآراء الشخصيّة، ولكن يجب على المستخدم توخّي الحذر في ما أسميناه «متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام». ومن القواعد الأساسيّة لتحديد ما يريد نشره هو افتراض أنه في مرحلة ما في المستقبل، وأن المشاركة ستصبح عامة، وبالتالي يجب اختيار الكلمات ولغة التواصل وفقًا لذلك. من هنا لا بد من تثقيف الذات حول قدرات كل منصة للتعامل مع المواد والتفاعلات المسيئة أو غير القانونية، وبالطبع، إحترام أخلاقيات المشاركة كعدم الكذب، أو تخويف أو مضايقة أو تهديد الآخرين على وسائل التواصل الاجتماعي.

فالتدفّق المعلوماتي الهائل من الفضائيّات والإنترنت والصحف وأدوات الاتصال يحتاج إلى مؤهلات وأدوات منهجيّة جديدة يجب امتلاكها للخروج من الحصار الذي تفرضه على الأفراد والمجتمعات بل والدول والمؤسسات، إلى درجة لا تكاد تختلف عن الحصار بالتكتّم والحظر.

إن تفكيرنا في المستقبل يفرض علينا التفكير في أساس وحدة الوجود التي تتمثل اليوم في التواصل الاجتماعي في المجال العام بواسطة التقنيات الحديثة، كما يفرض علينا التفكير في الأوهام التي يخلقها إنتشار التقنيات الحديثة، وبالتالي التفكير في إمكانية انبثاق المستقبل كانفصال عن اتصال المتاهة. فهل «الوجود في المتاهة» هو نهاية الإنسان والاتصال والتاريخ؟ بمعنى آخر، هل يمكن الانفلات عن الوجود في المتاهة، وهل يمكن للتقنية ذاتها أن تساهم في حدوث ذلك وأن يستعيد الإنسان وجوده خارج المتاهة، أم أنه سيخضع لمكر قوة ما بعد التقنية؟

في متاهة التقنية يدخل الإنسان في حال من الطمأنينية، أو هو وهم الطمأنينة، الذي يجعل النفسية الإنسانية ترتاح إلى وضعها المشروط بالتقنية، أي التقبل الطوعي لوضعية الرهينة، والخضوع لهذه القوة التي يتحدد اليوم على أساسها المصير الإنساني. من هنا يعني الإنفلات فك الارتباط بالوحدة التكنولوجية، أي التخلص من وضعية الارتهان والنمطية التي أدت إلى التواجد في متاهة التقنية، ومن التيه اللامشروط، في المغامرة التي تقود إلى المجهول، ويعني ضرورة المحاولة لاستعادة الوجود، وتحقيق الحضور لتعويض الحاجات والشعور بالعجز.

21/6/2020

قائمة المراجع

المراجع العربية:

1 -إبراهيم عصمت مطاوع، (2002) التنمية البشرية بالتعليم والتعلم، القاهرة: دار الفكر العربي.
2 - احمد علي الحاج، (1999) التخطيط التربوي، بيروت: المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع.
3 - احمد علي الحاج، (2000) التخطيط التربوي اطار لمدخل تنموي جديد، ط 1، عمّان، دار المناهج للنشر والتوزيع.
4 - أحمد المهدي عبد الحليم، (1999) التحديات التربوية للأمة العربية، القاهرة، دار الشروق.
5 - إسماعيل صبري عبد الله، (1994) التنمية البشرية، القاهرة، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية.
6 - أنطوان حبيب رحمة، (1991) الخريطة المدرسية ومنهجيتها، تونس، اليسكو.
7 - جان بول سارتر، (1983) الوجودية مذهب إنساني، ترجمة كمال الحاج، بيروت: منشورات مكتبة الحياة.
8 - جعفر يعقوب العريان، (2000) التعليم الجامعي ودوره في العملية التربوية، قطر: المركز العربي للبحوث التربوية.
9 - حسين عبد الله، (1999) العولمة والتعليم في دولة البحرين، ثوابت وتحديات، البحرينك جامعة البحرين.
10 - حسن مظفر الرزو، (2007) الفضاء العمومي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
11 - حلمي أحمد الوكيل وحسين بشير، (1999) الاتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير مناهج المرحلة الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي.
12 - راتب قاسم وعبد الرحيم عوض، (2004) المناهج بين النظرية والتطبيق، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
13 - سامي الموصللي، (2008) برمجة الوعي، عمان: دار شعاع.
14 - سعد هجرس، (1970) «التنمية الريفية والتخطيط لها على المستوى القومي والمستوى الإقليمي والمستوى المحلي»، في كتاب «التخطيط للتنمية الريفية»، عمان: وزارة الشؤون الاجتماعية.
15 - سليمان موسى، (2018) الحركة العربية، 1908- 1924، عمان: دار النهار للنشر.
16 - سليمان شريفة، (2009) دور الاتصال والعلاقات العامة في الحكومة الإلكترونية: دراسة حالة على إمارة دبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
17 - شارل بتلهيم، (1966) «التخطيط والتنمية»، ترجمة إسماعيل صبري عبدالله، القاهرة: دار المعارف.
18 - عبد الباسط محمد حسن، (1998) «التنمية الاجتماعية»، القاهرة: مكتبة وهبة.
19 - عبد العزيز بن عبدالله، (2004) التربية والتعليم على مشارف القرن الحادي والعشرين، الرياض: دار المريخ.
20 - عبدالله الدايم، (1993) التخطيط التربوي أصوله وأساليبه، ط7، بيروت: دار العلم للملاين.

21 - عبدالله الدايم، (1995) التخطيط لتعليم العالي، بيروت: المكتب الإقليمي للتخطيط التربوي.
22 - عبد الرحمن عزي، (2013) منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، تونس: الدار المتوسطية للنشر، الطبعة الأولى.
23 - عرفات عبد العزيز، (2000) الاتجاهات التربوية المعاصرة، القاهرة:.مكتبة الانجلو المصرية.
24 - عز الدين الخطابي وإدريس كثير، (2000) أسئلة الفلسفة المغربية، المغرب: منشورات الزمن.
25 - علي محمد رحومة، (يناير/كانون الثاني 2008) «علم الاجتماع الآلي: مقاربة علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب»، الكويت: عالم المعرفة، العدد 347.
26 - علي الوردي، (2008) خوارق اللاشعور، عمّان: الوراق للنشر، ، ط. 2.
27 - عمر احمد الحاج، (2000) التخطيط التربوي، إطار لمدخل تنموي جديد، عمّان: دار المناهج.
28 - كمال حميدو، (يوليو/تموز 2014- يونيو/حزيران 2015) «الجماعات الافتراضية على الإنترنت: نحو مجتمعات موازية أم نحو ارتسام جديد لمفهوم التواصل؟»، تونس: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد المزدوج 64-63.
29 - لمياء محمد احمد، (2002) العولمة ورسالة الجامعة – رؤية مستقبلية، بيروت: الدار المصرية اللبنانية.
30 - مركز الحرب الناعمة للدراسات، (10-2015) الحرب الناعمة - الأسس النظرية والتطبيقية، بيروت: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
31 - معتصم بابكر، (2014) أيديولوجيا شبكات التواصل الاجتماعي وتشكيل الرأي العام، الخرطوم: مركز التنوير، ط 1.
32 - محمد عاطف غيث (تحرير)، (1995) «قاموس علم الاجتماع»، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
33 - محي الدين عبد الحليم، (1998) إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر.
34 - مي العبدالله، (1999) الاتصال في عصر العولمة- الدور و التحديات الجديدة، بحث نظري و ميداني، بيروت: الدار الجامعية للطباعة و النشر.
35 - مي العبدالله، (2001) الاتصال في عصر العولمة، طبعة ثانية منقحة و مزيدة، بيروت: دار النهضة العربية.
36 - مي العبدالله، (2004) وسائل الاتصال و الديمقراطية- الفضائيات و الحرب الاعلامية، بيروت: دار النهضة العربية.
37 - مي العبدالله، (2005) نظريات الاتصال، بيروت: دار النهضة العربية.
38 - مي العبدالله، (2006) الدعاية و أساليب الاقناع، بيروت: دار النهضة العربية.
39 - مي العبدالله، (2009) علوم الإعلام والاتصال واشكاليات التكوين المهني، بيروت: بيروت دار النهضة العربية.
40 - مي العبدالله، (2010) البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال من الأطر المعرفية الى القواعد المنهجية، بيروت: دار النهضة العربية.
41 - مي العبدالله وعبد الكريم شين، (2012) معجم المفاهيم الحديثة في الإعلام والاتصال- مشروع توحيد المصطلحات، جزء 2-1، بيروت: دار النهضة العربية.
42 - مي العبدالله، (2015) الاتصال والانهيار الثقافي في الشرق الأوسط، بيروت: دار

النهضة العربية.
43 - مي العبدالله، (3-25- 2020) «وسائل الإعلام والاتصال في المشهد العالمي الجديد»، بيروت: جريدة النهار.
44 - نعومي كلاين، (2006) عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث، ترجمة نادين خوري، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.
45 - نصر الدين لعياضي، (يونيو 2011) «رهانات تدريس الأنواع الصحفية في المنطقة العربية في ظل مواقع الشبكات الاجتماعية»، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، الشارقة: جامعة الشارقة، المجلد 8، العدد 2.
46 - نصر الدين لعياضي، (1999) وسائل الاتصال والمجتمع الجماهيري، أراء ورؤى ، الجزائر: دار القصبة.
47 - نهوند القادري عيسى، (2005) « التربية والإعلام، مواجهة مرشحة للتزايد»، إذاعات عربية، بيروت: إتحاد إذاعات الدول العربية.

1 - المراجع الأجنبية:

1- Adams, R. M., (October 1989), “Should Ethics be More Impersonal? a Critical Notice of Derek Parfit, Reasons and Persons”. The Philosophical Review, Oxford: Clarendon Press.

2- Adorno, Th., (2003), Dialectique Negative, Paris: Payot.

3- Adorno, Th., & Horkheimer, M., (1974), La dialectique de la raison, Paris: Gallimard.

4- Alibeck, K., (2001), “Firepower in the Lab: Automation in the Fight Against Infectious Diseases and Bioterrorism”, Chapter15 of Biological Weapons: Past, Present, and Future, Washington, D.C : National Academy Press,., Institute of Medicine.

5- Altman I., & Taylor, A., (1973), The Development of interpersonal Relatuionships: Social Penetration Processes, University of Delaware, USA.

6- Bachelard, G., (1999), Water and Dreams: An Essay on the imagination of Matter, Dallas Inst humanities & Culture, 3rd edition.

7- Bachelard, G., (1975), La formation de l’esprit scientifique. Contribution à une psychanalyse de la connaissance objective, Paris: Librairie philosophique Vrin.

8- Bachmann and Gil de Zuniga, (2013), “Expressive Versus Consumptive Blog Use”, USC, Unniversity of southern California: International journal of communication.

9- Bamberger, M., (1988), “The role of community participation in development planning and project management : report of a Workshop on Community Participation”, held in Washington, D.C., September 22-25, 1986, Washington, D.C.: World Bank.

10- Bandura, A., (1986), Social Foundations of Thought and Action: A Social Cognitive Theory, Prentice Hall, New York: Englewood Cliffs.

11- Barusch, A. S., (2006) , Foundations of Social Policy, Social Justice in Human Perspective, 3rd Edition, New Zealand: University of Otago.

12- Bourdieu, P., (1988), « Penser la politique », Actes de la recherche en sciences sociales 71 (1), persee.fr.

13- Bouquillion, P., & Combès, Y., (2011), Diversite et industries

culturelles, Paris : L'Harmattan.

14- Bollacker, K., Evans, C., Paritosh, P., et al., (2008), Freebase: a collaboratively created graph database for structuring human knowledge. In: Proceedings of the 2008 ACM SIGMOD, International Conference on management of data - SIGMOD '08, New York: ACM Press.

15- Bostrom, N., (2013), "Existential risk prevention as global priority", Global Policy, Durham University.

16- Boyle, F., 2005, Biowarfare and Terrorism, Atlanta: Clarity Press.

17- Bruguière, J. M., (2009), Droit d'auteur, Paris : Dalloz.

18- Burt, A., Stewart, M., (2009), "How to obtain excellent response rates when surveying physicians, Family practice 26 (1), Oxford Academic.

19- Coakes, S., (1999), "Consulting communities: a policy maker's guide to consulting with communities and interest groups." Dept. of Agriculture, Fisheries and Forestry, Australia: Canberra.

20- Cogan, A., & Sharpe, S., (1986), The theory of citizen involvement. In Planning analysis: The theory of citizen participation, University of Oregon.

21- Chomsky, N., (2017), American dream, Seven stories Press.

22- Chamala, S., (1995), Overview of participative action approaches in Australian land and water management. In 'Participative approaches for Landcare', Ed. K Keith, Brisbane: Australian Academic Press.

23- Costanza-Chock, S., (2009), « Common Cause: Global Resistance to Intellectual Property Rights », in Kidd, Dorothy ; Rodriguez, Clemencia.

24- Dalton, J. H., Elias, Maurice J., and Wandersman, A., (2007), Community psychology: Linking individuals and communities. (2nd edn.) Belmont, CA: Wadsworth/ Thomson Learning.

25- Daoud, A., (2012), « Atoms Want to Be Free Too! Expanding the Critique of Intellectual Property to Physical Goods » (p. 66-76), TripleC (Cognition, Communication, Cooperation), vol. 10, n°1.

26- Debray, R., (2001), Cours de médiologie générale, Paris : rééd., Gallimard, Folio.

27- Deleuze, G., Guattari, F., (1991), Qu'est ce que la philosophie ?,

Paris : Edition de Minuit.

28- Derrida, J., (1986), « Les antinomies de la discipline philosophique », in La grève des philosophes, Collectif, Paris : Osiris.

29- DeSario, J., and Stuart L., (1987), Citizen participation in public decision making, Westport, CT: Greenwood.

30- Dorcey, A., Doney, L., Rueggeberg, H., (1994), "Public Involvement in government decision making: choosing the right model", British Columbia's Round Table on the Environment and the Economy, Victoria.

31- Dortier, J. F., (1997), Le mystère de la communication, Revue des sciences humaines –hors- série, n°16 .

32- Dunham, C., (1999), Lectures on Materia Medica, New Delhi: B. Jain Publishers.

33- Eyben, R., Ladbury, S., (1995), Popular participation in aid-assisted projects: why more in theory than practice? In 'Power and Participatory Development', Ed. S Wright), London: Intermediate Technology Publications.

34- Finch, K. C., Snook, K. R., Duke, C. H., et al., (2016), Public health implications of social media use during natural disasters, environmental disasters, and other environmental concerns, Nat Hazards.

35- Graves, C. W., (2005), The Never Ending Quest, eds. Christopher Cowan and Natasha Todorovic Santa Barbara, CA: ECLET Publishing.

36- Hamidou, K., (2016), "New Interactive Teaching Technologies Education Process at the UAE: what uses, obstacles and added values?", Journal of Arab & Muslim Media Research, London: Intellect, Vol 9, N° 2.

37- Hamilton, E., (2019), Americans maintain high levels of trust in science, University Communications, University of Wisconsin-Madison.

38- Hansen, D. M., & al., (2003), What adolescents learn in organized youth activities, Journal of Research on Adolescence, 13(1), Royal College of Physicians.

39- Hartman, G., (1980), Criticism in the wilderness : The Study of Literatude Today. New Haven: Yale University Press.

40- Hilger, S., Inez, M., (1951), “Chippewa child life and its cultural background”, Washington DC: Smithsonian Institution, Bureau of American Ethnology.

41- Holzhauer, R., (2002), The Economics of Intellectual Property: 93 Articles, Dating from 1934 to 1999, Londres : Edward Elgar Publishing.

42- Hussein, K., (1995), Participatory ideology and practical development: agency control in a fisheries project, Kariba Lake, In “Power and Participatory Development”, Ed. S Wright, London : Intermediate Technology Publications.

43- Ihde, D., (1990), Technology and the lifeworld: from garden to earth (No. 560), Bloomington: Indiana University Press.

44- Innis, H., (1951), The Bias of Communication, Toronto: University of Toronto Press.

45- Ishii, S., & Shoichiro, Y., & Honda, N. & Muneki, I., & Yuki,T., & Shunji, N., & Ikue, M., (May 2018), “Open access research for Identification of animal behavioral strategies by inverse reinforcement learning”, in PLOS Computational Biology.

46- Jones, N. M., Thompson, R. R., Schetter, C. D., et al, (2017), Distress and rumor exposure on social media during a campus lockdown. USA: Proc Natl Acad Sci.

47- Kant, E., (1985), (Réponse à la question : Qu’est ce que les lumières), in Critique de la faculté de juger, Paris : Gallimard.

48- Kantrowitz, A., (1988), in Proceedings of the International Conference on Lasers ‘87, F. J. Duarte, VA : STS Press, Mc Lean.

49- Kaplan, R., & Kaplan, S., (1989), The experience of nature: A psychological perspective, Cambridge : University Press.

50- Katz, E., Blumler, J. G., Gurevitch, M., (1974), “Utilization of mass communication by the individual”, In Blumler. J. G.; Katz, E. (Eds.), The uses of mass communications: Current perspectives on gratifications research, Beverly Hills: Sage.

51- Kelly, P., (2001), 100 Years The Australian Story, South Australia; Griffin Press.

52- Key, W. B., (1973), Subliminal Seduction: Ad Media Manipulation of No So Innocent America, Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall.

53- Kruglanski, et al., (2002), A Theory of goal Systems, Advances in experimental social psychology, 34, 331-378.

54- Kweit and Kweit, (1986), Kweit, M. G., & Kweit, R. W. (1981), Implement-ing citizen participation in a bureaucratic society, New York: Praeger.

55- Lalande, A., (2006), Vocabulaire technique et critique de la philosophie, Quadrige Dicos Poche Edition : PUF.

56- Lane, J., (1995), Non-governmental organisations and participatory development: the concept in theory versus the concept in practice. In "Power and Participatory Development", Intermediate Technology Publications, London: S. Wrigh.

57- Lang, K., (1986), A Language Theory of Discrimination, The Quarterly Journal of Economics, 1986, vol. 101, issue 2, 363-382.

58- Latrive, F., (2004), Du bon usage de la piraterie, Culture libre, sciences ouvertes?, Paris : Exils.

59- Lazarus, A., (1996), The Utility and Futility of Combining Treatments in Psychotherapy, The Journal of Analytical Psychology, London: Wiley.

60- Lee, J., (1997), "Mass customization at Hewlett- Packard: The power of postponement", Harvard Business Review, 75, no1.

61- Lee, J., (2013), Introduction to Smooth Manifolds, Graduate Texts in Mathematics, Seattle: University of Washington.

62- Lévy, P., (2012), "Designing for Perceptual Crossing: Applying and Evaluating Design Notions", in International Journal of Design 6 (3).

63- Lévy, M., & Jouyet, J. P., (2006), L'économie de l'immatériel, La croissance de demain, Rapport de la commission sur l'économie de l'immatériel auprès du Ministre de l'économie des finances et de l'industrie, Paris.

64- Lessig, L., (1999), Code and Other Law of Cyberspace, New York: Basic Books. Lessig, Lawrence (2004), Free Culture, New York : Penguin Books.

65- Lessig, L., (2005 – 1ère édition américaine, 2001), L'avenir des idées, Le sort des biens communs à l'heure des réseaux numériques, Lyon : Presses universitaires de Lyon.

66- Lewinski, S., (2004), « Américanisation » (p. 13-29), in Vivant, Michel (dir.), Propriété intellectuelle et mondialisation. La propriété intellectuelle est-elle une marchandise ?, Paris : Dalloz.

67- Litman, J., (2006), Digital Copyright, Amherst : Prometheus Books. McLeod, Kebrew (2001), Owning Culture. Autorship, Ownership and Intellectual Property Law, New York : Peter Lang Publishing.

68- Lovink, G., (2020), Uncanny Networks : Dialogues with the Virtual Intelligentsia, Leonardo Book Series.

69- Lyons, M., Smuts, C., Stephens, A., (2001), Participation, empowerment and sustainability: (how) do the links work? Urban Studies 38, 1233-1251.

70- Lyotard, J. F., (2015), Pourquoi philosopher ? Paris : Université d'Ottawa.

71- Magnuson, M.J., Dundes, L., (2008), Gender differences in "social portraits" reflected in MySpace profiles. Cyber Psychology & Behavior.

72- Manago, A.M., Graham, M.B., Greenfield, P.M., Salimkhan, G., (2008), "Self-presentation and gender on MySpace". Journal of Applied Developmental Psychology, Amsterdam: Elsevier.

73- Marwick, A., (2005), I'm a lot more interesting than a Friendster profile: Identity presentation, authenticity, and power in social networking services. In: Internet Research 6.0, Chicago: USA Google Scholar.

74- Maskus, K., (2000), Intellectual Property Rights in the Global Economy, Washington : Institute for International Economics.

75- Maslow, A. H., (1943), A theory of human motivation, Psychological Review, 50(4).

76- Maslow, A. H., (1954), Motivation and personality, New York : Harper.

77- Mattelart, T., (dir.) (2011), Piratages audiovisuels. Les réseaux souterrains de la mondialisation culturelle. Paris : INA Editions.

78- Matthews, D., (2002), Globalising Intellectual Property Rights. The TRIPS Agreement, Londres : Routledge.

79- May, Ch., (2010 – 1ère édition 2000), The Global Political Economy of Intellectual Property Rights. The new enclosures, Londres :

Routledge.

80- McLuhan, M., (Apr., 1976), "Misunderstanding the Media's Laws", Technology and Culture Vol. 17, No. 2, The Johns Hopkins University Press and the Society for the History of Technology.

81- McLuhan, M,, (1968), War and Peace in the Global Village , design/layout by Quentin Fiore, produced by Jerome Agel, 1st Ed.: Bantam, NY; reissued by Gingko Press, 2001.

82- Meardon, S., (2006), « How TRIPs got legs : Copyright, trade policy, and the role of government in nineteenth-century American economic thought », History of Political Economy, vol. 37. Merges, Robert .

83- Menière, Y., (2003), Economie de la propriété intellectuelle, Paris: La Découverte.

84- Meredith, J. C., and Dunham, C. M., (1999), Real clout: A how-to manual for community-based activists trying to expand healthcare access by changing public policy, Boston: The Access Project.

85- Merleau-Ponty M.(1945), Phénoménologie de la perception, Paris: Gallimard.

86- Merleau-Ponty, M., (1945), Phenomenology of Perception, Paris: Gallimard.

87- Meunier, P., 2004(), Introduction aux théories **de** la communication, Bruxelles : De Boeck, coll. « Culture et Communication », 2e éd.

88- Miège, B., (2010), L'espace public contemporain, Grenoble : Presses universitaires de Grenoble.

89- Mill, J. S., (1963-91), The Collected Works of John Stuart Mill. Gen. Ed. John M. Robson. 33 vols. Toronto: University of Toronto Press.

90- Mitnik, B., & Baek, S., (2013), "The Kumarawamy distribution median dispersion re-parametrisations for regression modeling and simulation-based estimation," Statical Papers, Dortmund.

91- Mize, C. E., (1972), Citizen participation in public decision-making: a study of the Willamette National Forest, M.S. Oregon: School of Community Service and Public Affairs.

92- Morin, J.F., (2003), « Les accords bilatéraux et régionaux de propriété intellectuelle dans la francophonie », Publication de

l’Observatoire des Amériques de l’UQAM.

93- Morin, E., (1977), La méthode, Paris: Points.

94- Morin, E., (2014), Enseigner a vivre, Paris : Domaine du possible.

95- Munro, M.C., Huff, S.L., Marcolin, B.L., Compeau, D.R., (1997), Understanding and Measuring User Competence. Information & Management, 11(2), 239-241.

96- Mucchielli, A., (1995), Psychologie de la communication, Paris: PUF.Netanel, Neil, (2008), Copyright’s paradox, Oxford: Oxford University Press.

97- Ndekha, A., Hansen EH., Molgaard, P., Woelk, G., Furu, P., (2003), “Community participation as an interactive learning process: experiences from a schistosomiasis control project in Zimbabwe”, Zimbabwe: Acta Tropica.

98- Netanel, N., (2009), The development Agenda. Global Intellectual Property and Developing Countries, Oxford : Oxford University Press.

99- Nelson, N., Wright, S., (1995), Participation and power, In “Power and participatory development”, London: S. Wright, Intermediate Technology Publications.

100- Nguyen, TH, Grishman, R., (2018), Graph convolutional networks with argument-aware pooling for event detection. In: The Association for the advancement of artificial intelligence (AAAI). California.: AAAI Press, Menlo Park.

101- Nguyen, TH., Cho, K., Grishman, R., (2016), Joint event extraction via recurrent neural networks. In: Proceedings of the 2016 Conference of the North American Chapter of the Association for Computational Linguistics.

102- Nye, J., (2002), Soft power the means to success in world politics, Public affairs a member of the perseus, Italia: Books Group.

103- Nye, J., (2004), Power in the Global Information Age: From Realism to Globalization, London: Routledge.

104- Nye, J., (2015), Is the American Century Over?, Oxford: Polity.

105- Parfit, D., (1984), Reasons and Persons. Oxford: Clarendon Press.

106- Patton, C. V., and Sawicicki, D., S.,(1986), Basic Methods of Policy Analysisand planning, Engliwood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

107- Paul, S., (1987), "Community Participation in Development Projects," Discussion Paper No. 6, Washington, D.C.: World Bank.

108- Pelling, M., (1998), Participation, social capital and vulnerability to urban flooding in Guyana, Guyana: Journal of International Development.

109- Pirotton, M., (2015), Labyrinth and Piano Key Weirs, III :CRC Press/Balkema, Braun. W.

110- Posner, R., (2003), The Economic Structure of Intellectual Property Laws, Cambridge : Belknap Press of Harvard University Press.

111- Reginald, A, E., (1991), Greek Philosophy: Thales to Aristotle, Free Press.

112- Reinhart, C., M., & Rogoff , Kenneth, S., (September 2009), This Time Is Different: Eight Centuries of Financial Folly (Englisch). Gebundene Ausgabe – 11.

113- Ricoeur, P., (1997), Le sens d'une vie, Paris: La Découverte.

114- Rubin, A., Haridakis, P., Hullman, M., Gwen. A., et. al, (2003), "Television Exposure Not Predictive of Terrorism Fear", Newspaper Research Journal, (24 (1).

115- Saarinen, E., Taylor, Mark C., (1994), Imagologies: Media Philosophy, London: Routledge.

116- Sagan, C., (1983), "Nuclear war and climatic catastrophe: Some policy implications", Foreign Affairs, 62 (2): 257–292.

117- Sagot-Duvauroux, D., (2002), La propriété intellectuelle, c'est le vol ! Les majorats littérraires (et un choix de contributions au débat sur le droit d'auteur au XIXe siècle), Dijon : Les Presses du réel.

118- Sarkissian, W., Walsh, K., Cook, A., (1997), "Community participation in practice : a practical guide", Institute for Science and Technology Policy, Murdoch, W.A.: Murdoch University.

119- Sartre, J. P., (1946), L'existentialisme est un humanisme, coll. Pensées, Paris : Nagel. Segal, E. A., & Brzuzy, S., (1998), Social welfare policy, programs, and practice, Illinois: F.E. Peacock

Publishers.

120- Searle, J. R., (1992), La Redécouverte de l'esprit. Paris : Gallimard.

121- Seeger, A., (2004), « Traditional Music Ownership in a Commodified World » (p. 157-170), in Frith, Simon, Marshall, Lee (dir.), Music and Copyright, Edinburgh : Edinburgh University Press.

122- Sell, S., (2003), Private Power, Public Law. The Globalization of Intellectual Property Rights, Cambridge : Cambridge University Press.

123- Sell, S., (2010), « The Global IP Upward Ratchet, Anti-Counterfeiting and Piracy Enforcement Efforts: The State of Play », PIJIP Research Paper, American University, Washington College of Law, n° 15.

124- Sfez, L., (1992), Critique de la Communication, Paris : Le Seuil, 3e édition .

125- Shenkar, O., (2004), One More Time: International Business in a Global Economy, in Journal of International Business Studies, 35(2).

126- Schneider, H., (1999), Participatory governance for poverty reduction, Journal of International Development .

127- Schröder, K.P., Connon Smith, R., (2008). "Distant future of the Sun and Earth revisited". Monthly Notices of the Royal Astronomical Society, 386 (1).

128- Scott, I., (2011), American Politics in Hollywood film, 2nd edition, Edinburgh, Edinburgh University Press.

129- Stewart, I., (1992), Eric Berne: Volume 2 of Key Figures in Counselling and Psychotherapy. London: Sage Publications.

130- Spitzberg, B. H., (2014), Toward a Model of Meme Diffusion (M3D), London: Wiley Library.

131- Taylor, P. (2003), Munition of the mind: A history of propaganda from the ancient world to the present day, Manchester university press.

132- Thibaut, N.,& Kelley, H., (1959), The social psychology of grouos, New York: Wiley.

133- Vaidhyanathan, S., (2001), Copyrights and Copywrongs: The Rise of Intellectual Property and How It Threatens Creativity, New York : New York University Press.

134- Van, A., Marjolein, BA., Rijkens-Klomp, N., (2002), A look in the mirror: reflection on participation in Integrated Assessment from a methodological perspective, Global Environmental Change.

135- Van Maanen, J., and Barley S., (1984), "Occupational Communities: Culture and control in organizations," Research in Organizational Behavior, 6.

136- Villar, ME., Marsh, E., (2018), Social media and infectious disease perceptions in a multicultural society. In: Villar ME, Marsh E (eds) Reconceptualizing new media and intercultural communication in a networked society, Pennsylvania, US: IGI Global.

137- Vincent, B., (2013), « Perspectives critiques sur la propriété artistique, », Les Enjeux de l'information et de la communication, Grenoble : Gresec.

138- Wandersman, A.,(2007), Empowerment evaluation, American journal of evaluation 28 (2).

139- Wang, Z., Ye, X., Tsou, M-H., (2016), Spatial, temporal, and content analysis of Twitter for wildfire hazards, Nat Hazards.

140- Warner, M., (1997), "Consensus" participation: an example for protected areas planning, Public Administration and Development .

141- White, A., (1981), "Community participation in water and sanitation : concepts, strategies and methods", IRC: The Hague.

142- Ye X, Li S, Sharag-Eldin A et al., (2017), Geography of social media in public response to policy-based topics. In: Ye X, Li S, Sharag-Eldin A et al (eds) Geospatial data science techniques and applications. CRC Press, Boca Raton, US.

143- Ye, X., Li, S., Yang, X., et al., (2018), The fear of ebola: a tale of two cities in China, Big Data.

144- Yin, W., Roth, D., (2018), TwoWingOS: a two-wing optimization strategy for evidential claim verification. In: Proceedings of the 2018 conference on empirical methods in natural language processing. Brussels, Belgium: Association for Computational Linguistics.

145- Yin, J., Lampert, A., Cameron, M., et al (2012), Using social media to enhance emergency situation awareness, IEEE Intell Syst.

146- Zhang, J., Goodchild, MF., (2002), Uncertainty in geographical information, CRC Press, Boca Raton, FL.

147- Zhao, B., Zhang, S., (2018), Rethinking spatial data quality: pokémon go as a case study of location spoofing, Prof Geogr.

148- Zubiaga, A., Aker, A., Bontcheva, K., et al., (2018), Detection and resolution of rumours in social media, ACM Comput Surv.

المراجع الالكترونية بالعربية:

1 - إبراهيم أبو غزالة، «تاريخ الفلسفة»، 21 كانون الثاني 2020، www.mawdoo3.com . تاريخ الدخول:5/2/2020

2 - إبراهيم البيومي غانم، «تحديات المجتمع المدني العربي»، موقع الجزيرة 2020، www.arjazeera.net. تاريخ الدخول: 5/2/2020

3 - احمد زكرد، إشكالية تعريف الفلسفة، الحوار المتمدن، العدد: 6370 - 2019/ 10/ 5 ،

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=651505. تاريخ الدخول: 10/11/2019

4 - الإمارات اليوم، «أسعار الإنترنت في الإمارات بين الأعلى عربيًّا خلال 2015»، 29 أيار 2016، www.emaratalyoum.com. تاريخ الدخول: 10/11/2019

5 - جاد تابت، «مؤسسات المجتمع المدني أمام تحدّيات الانتفاضة التشرينية»، 29 تشرين الأول 2019، www.annahar.com. تاريخ الدخول: 22/11/2019

6 - حسين الموسوي، «إنجاز لبناني: تطبيق لمنع انتشار كورونا...هكذا يعمل!،» لبنان 24، 15 نيسان 2015، www.lebanon24.com. تاريخ الدخول: 6/11/2019

7 - خالد المنشاوي، «كورونا يدخل الاقتصاد العالمي في مرحلة الركود الحتمي»، مجلة اندبندنت عربي، الأحد 22 مارس 2020، https://www.independentarabia.com. تاريخ الدخول: 6/3/2020

8 - رواد عرب، "النظام الإقتصادي العالمي الجديد بعد جائحة كورونا»، 2020، www.rowad-arab.com. تاريخ الدخول: 6/3/2020

9 - روي كيلان جونز، «فيروس كورونا: الأخبار المزيفة تنتشر بسرعة»، أخبار بي بي سي News Arabic 27 شباط 2020، www.BBC.com. تاريخ الدخول: 5/3/2020

10 - الشرق الأوسط، «ظاهرة «المؤثرين» على وسائل التواصل الاجتماعي... وسيلة تسويق ناجحة أم خدعة للمستهلك؟ »،الاثنين - 27 شهر ربيع الأول 1441 هـ - 25 نوفمبر 2019. www.m.aawsat.com. تاريخ الدخول: 27/11/2019

11 - عبد الحفيظ يحيى خوجه، «كوفيد - 19... لغز بيولوجي أم تحور فيروسي؟»، الشرق الأوسط الجمعة - 18 . www.m.aawsat.com رجب 1441 هـ - 13 آذار 2020. تاريخ الدخول: 15/3/2020

12 - عبد الحليم عباس، «ما أهمية الوعي بالإنسان»، مدونات الجزيرة، 19/8/2016، www.blogs.aljazeera.net/blogs/2016/8/19/. تاريخ الدخول: 10/10/2019

13 - علي زياد العلي، «إشكاليات العمليات السبرانية في شبكات الجيل الخامس»، شبكة النبأ المعلوماتية، 7 آذار 2019. www.m.annabaa.org، تاريخ الدخول: 20/3/2019

14 - عمار محيي الدين، «الاستعمار الثقافي والفكري وخطره على الشعوب»، 13 أيلول 2018، رابطة علماء اليمن، www.yemenscholars.com تاريخ الدخول: 24/3/2019
.

15 - غادة الحلايقة، «مفهوم اللاوعي في الفلسفة»، 2 أغسطس 2016، www.mawdoo3.com. تاريخ الدخول: 20/3/2019

16 - غيتا غوبيناث، «الإغلاق الكبير: أسوأ هبوط اقتصادي منذ الكساد الكبير»، 14 نيسان 2020، مدونات صندوق النقد الدولي، www.imf.org. تاريخ الدخول: 15/4/2020

17 - غيث تريكي، «دور منظمات المجتمع المدني في مجابهة وباء كورونا»، 19 آذار 2020، www.jamaity.org. تاريخ الدخول: 22/3/2020

18 - فيصل قاسم، «هل سيكون العالم أكثر ديكتاتورية وتحكماً بالشعوب بعد كورونا وتكنولوجيا الجيل الخامس؟»، 10نيسان 2020، www.alquds.co.uk/ . تاريخ الدخول: 12/4/2020

19 - قتيبة قاسم العرب، «دور المجتمع المدني في تحقيق السلم والاستقرار والديمقراطية والتنمية»، المركز الديمقراطي العربي، www.sada.pro/Home/DetailRepublish/1402. تاريخ الدخول: 20/3/2020

20 - كارين اليان ضاهر، «المؤثرون في وسائل التواصل الاجتماعي... ظاهرة مصدرها ومصيرها مجهولان، باتت تشكل مصدر قلق حقيقي نتيجة العشوائية السائدة فيها»، www.independentarabia.com. تاريخ الدخول: 21/6/2019.

21 - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، "إستراتيجيات الحكومة الإلكترونية في الدول العربية: الواقع وآفاق التطور"، كانون الأول 2013، www.css.escwa.org. تاريخ الدخول: 8/7/2018

22 - المراقب العراقي 2017/03/07، www.almuraqeb-aliraqi.org/2017/03/07. تاريخ الدخول: 8/7/2018

23 - مركز اضواء الاستشاري للدراسات والبحوث، August 25, 2013، https://www.facebook.com/adwaaa.D.akram/posts/207304869434404 . تاريخ الدخول: 8/7/2018

24 - المستقبل الاماراتية، «القوة الناعمة، ما هي؟ وكيف تستغلها الأمم في تطوير اقتصادها للمستقبل وتعميق تأثيرها العالمي؟»، 22 أيار2017، www.mostaqbal.ae. تاريخ الدخول: 18/9/2018

25 - مجد خضر، «مفهوم الاستراتيجية»، موقع موضوع، نيسان 2016، www.mawdoo3.com. تاريخ الدخول: 23/9/2018

26 - محمد مروان، «الخداع الإعلامي ... جسد المارد وعقل الطفل»، موقع ميدل ايست أونلاين، السبت 2018/07/07، www.middle-east-online.com/. تاريخ الدخول: 5/9/2018

27 - محمد علي جعفر، «الحرب الناعمة والحاجة إلى استراتيجيات المواجهة»، الخميس 27 تشرين الأول 2016، www.al-akhbar.com/Opinion/221382. تاريخ الدخول: 16/8/2018

28 - محمد السيد، «ما هو مرض الهستيريا»، 2018،

https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%A7_%D9%87%D9%88_%D9

%85%D8%B1%D8%B6_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%B3%D
4/7/2019 :تاريخ الدخول .8%AA%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%A7

29 - منظمة العفو الدولية، «سبع طرق يؤثر بها فيروس كورونا على حقوق الإنسان»، شباط 2020، 5UTC ، www.amnesty.org. تاريخ الدخول: 25/2/2020

30 - مهارات، «إنتهاكات حرية الرأي والتعبير في لبنان»، أيار 2018 - نيسان 2019، مؤسسة مهارات، 30 نيسان 2019، www.maharatfoundation.org. تاريخ الدخول: 16/2/2020

31 - ناصر الهزاني، «هل بات على الصحفيين أن يتحسسوا مواقعهم؟»، الإثنين - 10 ديسمبر، 2018. www.makkahnewspaper.com/article/. تاريخ الدخول: 17/5/2019

32 - جريدة النور، «القوة الناعمة والقوة الصلبة»، 20 آب 2018، https://alnnour.com/?p=67353، تاريخ الدخول: 20/5/2020

3- المراجع الالكترونية بالأجنبية:

1- Collaborer à l'ère du numérique Colloque santé 2.0, Université de Montréal Inforoute Santé du Canada, www.colloquesantenumerique.wordpress.com. 3/2/2020

2- Community Media Sustainability, Guide: the Business of Changing Lives, Arcata California: Internews, 2009, www.internews.org. 12/3/2019

3- Geert, Lovink, Discipline Design: The Rise of Media Philosophy, An Email Exchange with Frank Hartmann, www.noemalab.eu/ideas/interview/the-rise-of-media-philosophy. 13/3/2020

4- Giddens, Anthony, 1990, Modernity and Self Identity,

www.books.google.pl. 3/9/2019

5- Harvey, Pierre-Leonard, Design communautique, système sociaux numériques et engagement des usagers. www.LCA.UQAM.CA . 10/4/2020

6- Halpern, Daniel & Jennifer Gibbs, "Social media as a catalyst for online deliberation? Exploring the affordances of Facebook and YouTube for political expression," Publication:Computers in Human Behavior, May 2013, www.doi.org/10.1016/j.chb.2012.10.008 . 3/8/2019

7- Matthews, Robert, "A black hole ate my planet," New Scientist, August 28, 1999, www.newscientist.com/article . 23/9/2019

8- Nekmat, E Gower, KK Gonzenbach, WJ et al., “Source effects in the micro-mobilization of collective action via social media”, Permalink, Journal Information Communication and Society, 18(9) ISSN 1369-118X, Publication Date 2015, escholarship.org/uc/item/51x4631q. 3/8/2018

9- O’Boyle, Britta, “What is VR? Virtual reality explained”, www.pocket-lint.com

10- Ravinder, Kumar Verma, Emerged model of fake news, May 2019,www.researchgate.net/figure/Emerged-model-of-fake-news-authentication_fig2_333700939 . 4/7/2018

11- Tang, Lee, 2015, “Dual Momentum Trend Trading”, (Place of publication not identified : publisher not identified), e-book. www.books.google.com.lb. 6/9/2018

4- الرسائل الجامعية:

1 - أليسار أسامة قزق، إستخدامات وكالات السياحة والفر اللبنانية لوسائل الاتصال الحديثة لتحقيق أهدافها والاشباعات المتحققة منها، الجامعة اللبنانية (2017-2018)

2 - اياد هلال حمادي المعالجة الاخبارية للقضايا العربية في القنوات التلفزيونية الموجهة، دراسة لقناتي العالم والحرة (2015-2016).

3 - أميرة مولى، صورة المرأة في الاعلان (منتجات التجميل)، الجامعة اللبنانية (2009-2010).

4 - أنور ابراهيم عبد الزوبعي، إستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي في الفضائيات العربية ودورها في صناعة الخبر السياسي الجزيرة والعربية نموذجا، الجامعة اللبنانية (2016-2017).

5 - أمل زيد حمزة، عوامل تاثير الصحافة الالكترونية على الصحافة الورقية الاسبوعية في طرابلس البيان والتمدن نموذجا، جامعة الجنان، (2018-2019).

6 - بتريسيا عبيد، دور الاستراتيجية الإعلامية في تفعيل العمل الالداري داخل المؤسسة التربية الحكومية في لبنان، الجامعة اللبنانية (2016-2017).

7 - تغريد عيسى عبدالله، دور وسائل الإعلام والاتصال في تحفيز المشاركة السياسية لدى الشباب الجامعي اللبناني، الجامعة اللبنانية (2017 -2018).

8 - خالد مصطفى هدار، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي عند الطلبة الجامعيين الجزائريين، الجامعة اللبنانية (2016-2017).

9 - رانية احمد عبود، تاثير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة على الثقافة المحلية طلاب المرحلة الثانوية في شمالي لبنان نموذجا ، الجامعة اللبنانية (2016-2017).

10 - سمر عبدالعزيز كرامي، اسهامات المرأة في الصحافة اللبنانية، 2002-1991، السفير والنهار نموذجا، الجامعة اللبنانية (2006-2005)

11 - سيف سعدي عثمان الدليمي مهارات القائم بالتصال في الإعلام المرئي العراقي دراسة مسحية في القنوات الفضائية العراقية العراقية الرسمية والسومرية المستقلة وبغداد الحزبية نموذجاز 4-1 2014 الى 2014-11-1، الجامعة اللبنانية (2014-2013).

12 - سيرين التيماني، صناعة المحتوى الاعلامي في المواقع الاخبارية الالكترونية اللبنانية، والاستخدامات والاشباعات المتحققة منها، موقع للنشر ليباتون فايلز لبتلت 24 نموذجا، الجامعة اللبنانية (2016-2015).

13 - عبد الرحمن بن صالح العبد الواحد، معالجة الإعلام الفضائي العربي لقضايا المرأة العربية، شبكة تلفزيون أمبي سي وقناة هي المرأة العربية نموذجا، الجامعة اللبنانية (-2016 2017).

14 - عبد الرحمن عبدالله شكير، اشراف بسام بركة، تغطية الفضائيات العربية لحرب تموز 2006 المنار الجزيرة المستقبل العربية نموذجا-قراءة في الخطاب الاعلامي العربي السمعي-البصري، الجامعة اللبنانية (2016-2015).

15 عبدالله احمد محمد عطيات وسائل الإعلام الاردنية واثرها عللى التنوع في المجتمع الا ردني، الجامعة اللبنانية (2019-2018).

16 - عبدالكريم شين، استخدامات الشباب الجزائري لموقعي فاسبوك وتويتر والاشباعات المتحققة منها، الجامعة اللبنانية (2019-2018).

17 - عدنان سعد الزعبي، نحو نظرية المسؤولية الانسانية والرؤية الملكية للاعلام في الاردن نموذجا، الجامعة اللبنانية (2018-2017)

18 - ليبا غالي حوا، استراتيجيات الاتصال المؤسساتي وبناء الصورة: الجامعة اللبنانية2016-2011 نموذجا، على عهد رئيسها البروفسور عدنان السيد حسين، الجامعة اللبنانية (2017-2016).

19 - مرسيل عيسى الجوينات، اتجاهات الصحافة الاردنية اليومية في تغطية المشاركة السياسية للمرأة، الجامعة اللبنانية (2016-2015).

20 - محمود احمد محمد الرجبي، صورة المراة في المواقع الالكترونية العربية، الجامعة اللبنانية (2017-2016).

21 - هاجر يوسف شبكوه، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحديدي الاتجاهات الانتخابية الطلابية لدى جمهور الشباب الناخبين نموذج طلاب جامعة الكويت، الجامعة اللبنانية (-2016 2017).

22 - هناء الصعوب، دور وسائل الإعلام والاتصال والانشطة الاتصالية للعلاقات العامة في صناديق التنمية الاردنية في توعية الشباب الجامعي الاردني باهداف تلك الصناديق، الجامعة اللبنانية (2018-2017)

23- Zeina Habchi, « Le développement des stratégies publicitaires au liban entre 2000 et 2015 », Université Libanaise, (2017-2018).

24- Pascale Asmar, Une analyse discursive du nom et des représentations du Hezbollah dans la presse libanaise francaise et américaine, Université Libanaise, (2010-2011).

****

في هذا الكتاب

إن تفكيرنا في المستقبل يفرض علينا التفكير في أساس وحدة الوجود التي تمثل اليوم في التواصل الاجتماعي في المجال العام بواسطة التقنيات الحديثة. كما يفرض علينا التفكير في الأوهام التي يخلقها انتشار التقنيات الحديثة. وبالتالي التفكير في إمكانية انبثاق المستقبل كانفصال عن اتصال المتاهة. فهل "الوجود في المتاهة" هو نهاية الإنسان و الاتصال و التاريخ؟ بمعنى آخر، هل يمكن الانفلات عن الوجود في المتاهة. وهل يمكن للتقنية ذاتها أن تساهم في حدوث ذلك وأن يستعيد الإنسان وجوده خارج المتاهة. أم أنه سيخضع لمكر قوة ما بعد التقنية؟

في متاهة التقنية يدخل الإنسان في حال من الطمأنينة، أو هو وهم الطمأنينة، الذي يجعل النفسية الإنسانية تطمئن إلى وضعها المشروط بالتقنية، أي التقبل الطوعي لوضعية الرهينة، والخضوع لهذه القوة التي يتحدد اليوم على أساسها المصير الإنساني. من هنا يعني الإنفلات فك الارتباط بالوحدة التكنولوجية، أي التخلص من وضعية الارتهان والنمطية التي أدت إلى التواجد في متاهة التقنية، ومن التيه اللامشروط، في المغامرة التي تقود إلى المجهول، ويعني ضرورة المحاولة لاستعادة الوجود، وتحقيق الحضور لتعويض الحاجات والشعور بالعجز.

